الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة الأمير عبد القادر
للعلوم الإسلامية
قسنطينة

كلية الآداب والعلوم الإنسانية
قسم التاريخ

رقم التسجيل :...../2006

الرقم التسلسلي:.....

أسرة أولاد مقران خلال العهد العثماني (1518-1837)

بحث مقدم لنيل شهادة الماجستير في تاريخ الجزائر خلال العهد العثماني

إعداد الطالب:بوطبة لخضر

إشراف الأستاذ:د.أحمد صاري

لجنة المناقشة

اسم ولقب الأستاذ	الدرجة	الجامعة	الصفة
-عميراوي حميدة	أ.ت .ع	جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية	رئيسا
-أحمد صاري	أ.ت. ع	جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية	مقررا ومشرفا
-عمر بن خروف	أ.ت .ع	جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية	عضوا
-علاوة عمارة	أ.ت. ع	جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية	عضوا

السنة الجامعية: 1426-1427هـ/ 2005-2006م

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

إهداء

إلى الوالدين الكريمين أطال الله في عمرهما.

إلى زوجتي وولدي "يعقوب" و"يحي".

إلى كل أفراد الأسرة وجميع الأصدقاء.

إلى كل الشهداء والمخلصين لهذا الوطن.

أهدي ثمرة جهدي.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المختصرات المستعملة:

R.A: Revue Africaine.
R.H.M: Revue d'Histoire Maghrébine.
R.S.A.C: Recueil des notices et mémoires de la société archéologique de la Province de Constantine.
T.S.E.F: Tableau de la situation des établissements Français en Algérie.
S.D: sans date.
V: Volume.

ج: جزء.

د.ت: دون تاريخ.

د.ط: دون طبعة.

د.م.ج: ديوان المطبوعات الجامعية.

ط: طبعة.

ع: عدد.

مج: مجلد.

م.و.ك: المؤسسة الوطنية للكتاب.

ش.و.ن.ت: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

مقدمة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

1-تقديم الموضوع:

عرفت منطقة البيبان بالجزائر ظهور إمارة أسرة أولاد مقران في قلعة بني عباس التي يذكرها المؤرخون والكتاب بإمارة بني عباس في مطلع القرن السادس عشر، حيث شهدت مجيء الأتراك العثمانيين الذين لقوا مقاومة شرسة على يد سلاطين هذه الإمارة في بداية الأمر، ثم سعى هؤلاء إلى ربط علاقات حسنة مع الإمارة، لكن تلك العلاقة كانت تتحول إلى عداء ومواجهة أحيانا، واستمر ت بين مد وجزر إلى غاية نهاية الحكم العثماني في الجزائر، وأسست الأسرة أيضا المشيخة في بجانة بعد زوال إمارة بني عباس، واستمرت في لعب دور سياسي و عسكري واقتصادي حتى الاحتلال الفرنسي عام 1830 الذي كانت الأسرة من الأوائل الذين تصدوا له من خلال المشاركة في الدفاع عن مدينة الجزائر وقسنطينة.

ويعتبر الموضوع ذا أهمية كبرى لأنه يسلط الأضواء على واحدة من الأسر الجزائرية ويبين دورها السياسي والعسكري والاقتصادي والاجتماعي خلال العهد العثماني في الجزائر، كما يظهر أن مكانة الأسرة ونفوذها ليس وليد العهد الاستعماري وإنما هو أبعد من ذلك.

2- دواعي اختيار الموضوع:

وقد اخترت مناقشة هذا الموضوع لعدة اعتبارات منها أهمية الدور الذي لعبته الأسرة بالمنطقة سواء بقلعة بني عباس أو بجانة، وتمكنها من إجبار السلطة التركية، على الاعتراف بحكمها، وكذلك للمكانة والنفوذ الذي كانت تتمتع بهما الأسرة دينيا وسياسيا وعسكريا.

كما أردت من خلال هذه المذكرة الإسهام في مثل هذه الدراسات الاجتماعية والتي تعد قليلة إذا ما قورنت بتلك التي تناولت الجوانب السياسية والبطولات العسكرية والملحمية المحظة التي نالت حظا وافرا من اهتمامات الكتاب والمؤرخين والباحثين، خاصة تلك المتعلقة بالفترة الأخيرة من الحكم العثماني بالجزائر، وأردت كذلك التعريف بالدور الذي لعبه الأهالي من خلال مساعدتهم للأتراك في ترسيخ نفوذهم والحفاظ عليه طوال فترة حكمهم للإيالة، هذا الدور الذي تجاهله الكثير من المؤرخين والكتاب الذين ركزوا اهتماماتهم على تتبع أعمال وسياسات الحكام الأتراك، لا سيما التركيز على ما كان يحدث في البحر الأبيض المتوسط، الذي كان مسرحا للأحداث التي تميزت باستمرار الصراع بين الدولة الإسلامية الممثلة في الخلافة العثمانية، وأوروبا المسيحية الممثلة في أسبانيا الكاثوليكية، منذ أن ظهر الإخوة بربروس بالمنطقة الغربية للبحر المتوسط.

وهدفت من خلال هذا البحث كذلك إلى إثراء المكتبة الوطنية والتعريف بأسرة أولاد مقران التي ارتبط اسمها بثورة 1871، وبالتالي تمكين الباحثين والقراء من التعرف على إحدى الأسر المحلية النافذة خلال العهد العثماني، والدور الذي قامت به في إرساء قواعد الحكم العثماني بالإيالة طوال فترة تزيد عن ثلاثة قرون.

وقد اخترت الخوض في هذا الموضوع أيضا إعجابا مني بالدور الذي لعبته الأسرة في الجهة الغربية من بايلك الشرق طوال العهد العثماني، ورغبتي في معرفة دورها في بداية الاحتلال الفرنسي، وكذلك تشجيع مثل هذه البحوث والدراسات لعلها تكون حافزا لبعض الأسر التاريخية العريقة لإخراج ما لديها من وثائق ومخطوطات قد تخدم الباحثين في تاريخ الجزائر العثمانية، ومن ثمة المساهمة في دفع مسعى كتابة التاريخ الوطني.

3- اشكالية الموضوع:

ارتبطت أسرة أولاد مقران بثورة عام 1871 بمنطقة القبائل الصغرى والبيبان وهي من أكثر الثورات الشعبية تهديدا للوجود الفرنسي بالجزائر باعتراف الفرنسيين أنفسهم، لكن هذه نظرة العامة وغير العارفين بتاريخ الأسر الجزائرية، فأسرة أولاد مقران هي التي أوجدت الثورة وليس العكس، حيث كان لها مكانة ودورا خاصة في العهد العثماني. حول هذا الموضوع تتمحور إشكالية هذه الدراسة.

فما هو الدور الذي لعبته أسرة أولاد مقران خلال العهد العثماني في الجزائر باعتبارها من الأسر الجزائرية العريقة المتنفذة في بايلك الشرق الجزائري، وكيف تميزت علاقاتها مع الحكام الأتراك؟

أما الأسئلة الفرعية التي نود الإجابة عليها فتتمثل فيما يلي:

مامدى صحة الروايات التي تنسب الأسرة إلى الأشراف؟ وما علاقتها بسكان بني عباس؟ ومتى تأسست إمارتهم ببني عباس وعلى يد من؟

كيف كان موقف الأسرة من مجيء الأتراك العثمانيين إلى الجزائر؟ وما الدور الذي لعبته الأسرة في الميادين السياسية والعسكرية والاقتصادية في الجزائر في ظل الحكم العثماني، وما مدى تحكمها في منطقة البيبان التي كان يمر بها الطريق الذي كان يربط بايلك الشرق بمقر الحكم المركزي بمدينة الجزائر؟

كيف كان مصير الأسرة بعد زوال إمارة بني عباس؟ وما الأسباب التي أدت إلى انقسام الأسرة وضعفها وهل كان للحكام الأتراك دور في ضعفها وانقسامها؟

وباعتبار أسرة أولاد مقران من الأسر المحلية الكبيرة ما هو موقفها من الاحتلال الفرنسي للجزائر وما مصيرها بعد الاحتلال؟

سنحاول الإجابة على هذه الأسئلة قدر ما توفر لدينا من مصادر ومراجع.

4- نقد المصادر والمراجع:

لقد كان اعتمادنا في هذا البحث على المصادر والمراجع الأجنبية كبيرا، وذلك بسبب قلة المصادر المحلية إن لم نقل انعدامها، فباستثناء مخطوط المؤرخ المغربي أبوعلي إبراهيم المريني[1] الذي قام بترجمته إلى اللغة الفرنسية مترجم الجيش الفرنسي الرائد شارل فيرو(Charles Féraud)[2] ونشره في المجلة الإفريقية لعامي 1868- 1869، ولكنه لم ينشر النص الأصلي باللغة العربية، مما يجعلنا نتناول المخطوط بحيطة وحذر، وذلك لأن الكتاب الفرنسيين لهذه الفترة وكانوا حريصين على إعطاء صورة حالكة عن الجزائر في العهد العثماني، لكي يتبادر للأذهان أن الفرنسيين ما جاؤوا إلا ليخلصوا الجزائريين من ظلم الأتراك، واستبداله بنظامهم "العادل"، باستثناء هذا المخطوط لم نتمكن من الحصول على وثائق أو مخطوطات تتعلق بتاريخ الأسرة وعلاقتها بالحكام الأتراك، وذلك رغم ترددنا على منطقة بني عباس وبجانة، واتصالنا بأفراد من الأسرة، إلا أنهم أخبرونا أن الوثائق المتعلقة بتاريخ الأسرة ضاعت وأتلفت خاصة بعد ثورة 1871.

وقد دفعني غياب المصادر المحلية إلى الاستعانة بالمصادر و المراجع الأجنبية، فمن بين المصادر التي كانت استفادتي منها كبيرة، كتاب المؤرخ الأسباني مرمول (Marmol)[3] بالرغم من أنه اعتمد على وصف الأحداث البارزة فقط دون إعطاء أهمية للأحداث الأخرى، واعتمدنا أيضا على ما كتبه مواطنه هايدو (Haédo)في

---

[1] - هو أبو علي إبراهيم المريني البجائي، من علماء بجاية ، ويعتبر مخطوطه من أهم المصادر في تاريخ الجزائر عامة وبايلك الشرق خاصة، ويحمل مخطوطه عنوان:(عنوان الأخبار في ما مر على بجاية)، ويعتقد الأستاذ سعد الله أبو القاسم أن العنوان غير كامل، لأن كتاب ذلك العصر كانوا يسجعون عناوين كتبهم، ويذكر أن المعلومات حول هذا المؤرخ لا تزال غير دقيقة.

[2] - «Conquète de Bougie par les Espagnoles d'après un manuscrit Arabe»in R.A n°: 13, 1868.

[3]- Louis Carvajal Marmol Del: **Description général de L'Afrique**, traduit par Nicolas Perrot sieur dablancourt. Paris. T2, LV.

كتابه الأول بعنوان **تاريخ ملوك الجزائر**[1] الذي يعتبر من أهم مصادر تاريخ الجزائر في بداية الفترة العثمانية، **أما الكتاب الثاني فيحمل عنوان تاريخ وطوبوغرافية الجزائر**[2]، بالإضافة إلى ما تركه لنا الرحالة الفرنسيون عن الإيالة مثل بيسونال ودي فونتان Desfontaines (Peyssonnel et)في كتاب **رحلة إلى إيالات تونس والجزائر**[3] وفونتير دي بارادي (Venture de Paradis) في كتابه **الجزائر وتونس خلال القرن الثامن عشر**[4].

وفيما يتصل بالمراجع فإن أول من كتب عن أسرة أولاد مقران وأشار إلى إمارة بني عباس ولو بصفة مختصرة هو الكاتب العسكري الفرنسي بيليسي (Péllissier de Reynaud) في كتابه الذي أصدره عام 1838 بعنوان **حوليات جزائرية** [5]، كما تناول بعض الكتاب و المؤرخين الفرنسيين بالدراسة الأسر المحلية النافذة خلال العهد العثماني،لأغراض استعمارية سياسية، أمثال إرنست كاريت(Ernest Carette)[6] وفيرو(Féraud) [7] ويعتبر هذا الأخير من الباحثين العسكريين الفرنسيين في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، وقد سمح له منصبه كمترجم للجيش الفرنسي في الجزائر

---

[1]-Fray Diego de Haedo : « Histoire des Rois d'Alger », tradiut de l'Espagnole par, in **R.A**, N°25, 1880-1881.

[2]- **Topographie et histoire générale d'Alger**, traduit de l'espagnol par Monereau et A Berbrugger, édition Bouchène, Paris, 1998.

[3]- **Voyages dans les Régences de Tunis et d'Alger**, T1, Gide, Paris, 1838.

[4]- **Alger et Tunis aux XVIII ciècle**, édition Sandbad Paris,

[5]- **Annales Algériennes**, première édition, vol, I-II-III, Alger, 1836.

[6]- **Exploration scientifique de l'Algérie pendant les années, 1840, 1841, 1842, Etudes sur la Kabylie**, T1, Imprimerie Nationale, Paris, 1847.

[7]- « Histoire des villes de Constantine – Bordj Bou Arrérij», in, **R. S. A. C**, Constantine, 1872.

من الإطلاع على الوثائق المحلية، كما تمكن من التوغل في الزوايا والتعرف على تحويه من مخطوطات نادرة، بحكم العلاقات التي أقامها مع بعض شيوخ القبائل ذات النفوذ الكبير.

وبالاضافة إلى كتابات أوجان دوماس(Eugène Daumas)[1]ولويس رين(Louis Rinn) [2] وأدريـــان بربروجـــر(Adrien Berbrugger)[3]ودوغرامـــون (De Henri Delmas Grammont) [4] و أوجان فايســـات (EugèneVayssette) [5] وغيرهم معتمدين في ذلك على المصادر الأجنبية والمحلية. كما اعتمـــد بعضـــهم مثـــل شارل فيرو ولويس رين على الرواية الشفوية والأخبار المتداولة لدى سكان المنطقة.

وبالرغم من أن غوفيون تناول الأسر الجزائرية الكبيرة في كتابه أعيان المغاربة [6] إلا أنـــه لم يتعرض لأسرة أولاد مقران إلا في صفحتين، وربما يكون ذلك بسبب ثورة 1871.

أما عن الكتاب والباحثين الجزائريين الذين بحثوا في تاريخ بايلك الشـــرق خـــلال العهد العثماني بصفة عامة حسب إطلاعي، فنذكر منهم جميلة معاشي الـــتي تطرقـــت إلى أسرة أولاد مقران، في رسالة ماجستير بعنوان **الأسر المحلية الحاكمـــة ببايلـــك الشـــرق الجزائري**، حيث تطرقت إلى أصول أسرة أولاد مقـــران ومقومـــات ســـلطان الأســـرة،

---

[1]-Eugène Daumas et Fabar : **la grande Kabylie, études historiques,** Librairie, Hachette, Paris, 1847.

[2]- **Histoire de l'insurrection de 1871 en Algérie**, Librairie Adolphe Jordan, Alger, 1891.

[3]- **les époques militaires de la grande Kabylie**, Paris. 1857.

[4]- **Histoire d'Alger sous la domination Turque1515-1830**, édition bouchène, Paris, 2002.

[5]- **Histoire de Constantine sous la domination Turcs (1517-1837),** édition Bouchènne, Paris, 2002.

[6]- Marthe et Edmond Gouvion : **Kitab Ayane El Maghariba,** Imprimerie Orientale fontana-frères, Alger 1920.

وتطرقت إلى موقف الأسرة من الوجود العثماني، وسياسة بايات قسنطينة اتجاهها الأسرة، وتناولت أيضا الصراع بين شيوخ الأسرة وضعف قوتها.

كما يعد ناصر الدين سعيدوني أهم من كتبوا عن بايلك الشرق في المجال الاجتماعي والاقتصادي [1]، وحضرت فلة القشاعي مذكرة ماجيستير تحت عنوان **الريف القسنطيني اجتماعيا واقتصاديا**، في وهي دراسة قيمة تناولت فيها الوضع الاقتصادي والاجتماعي في الريف القسنطيني في أواخر العهد العثماني، ورغم أنها لم تتناول أسرة أولاد مقران إلا في بعض الإشارات، إلا أن استفادتنا منها كانت كبيرة.

بالإضافة إلى رسالة أحمد سيساوي بعنوان **النظام الإداري ببايلك الشرق 1791-1830**، والذي تناول فيها أشكال التنظيم الإداري العثماني في بايلك الشرق الجزائري، وعلاقته بالقبائل والأسر الكبيرة.

5- خطة البحث:

يتألف موضوع بحثي من مدخل وثلاثة فصول وخاتمة.

ففي الفصل الأول والذي وضعته تحت عنوان، أولاد مقران بقلعة بني عباس من سنة 1500م إلى 1635، تطرقت فيه إلى أصول أولاد مقران وتأسيس قلعة بني عباس وقيام إمارتهم بها، ثم تعرضت إلى علاقة الإمارة بالحامية العسكرية الأسبانية ببجاية، وقسمت هذا العنصر إلى: علاقة تحالف وتعاون، وعلاقة حرب وتصادم، ثم انتقلت إلى

---

[1] - **النظام المالي للجزائر في الفترة العثمانية، 1830/1800**، الجزائر، ش.و.ن.ت ، 1979.

و **دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر الحديث – العهد العثماني**- م. و. ك، الجزائر، 1984.

الحديث عن علاقتها بالحكام الأتراك وقسمتها أيضا إلى ثلاثة عناصر: هي علاقة حرب وتصادم، وعلاقة تحالف وتعاون ثم أولاد مقران بين السلم والحرب مع الأتراك، وفي آخر الفصل تطرقت إلى مقتل سيدي ناصر وزوال إمارة المقرانيين بقلعة بني عباس.

وأما الفصل الثاني فوضعته تحت عنوان، أولاد مقران بمجانة من سنة 1635م إلى 1830م، وتناولت فيه كيفية انتقال حكم أولاد مقران من قلعة بني عباس إلى منطقة مجانة، وقيام المشيخة بها، وعلاقة شيخ مجانة بالحكام الأتراك، وقسمت هذا العنصر إلى ثلاثة فروع هي: علاقة حرب وتصادم، ثم علاقة ود وتعاون، ثم علاقات المصاهرة، ثم تطرقت إلى الصراع بين شيوخ الأسرة وموقف الأتراك منه، وتناولت أسرة أولاد مقران والحاج أحمد باي نظرا لعلاقة القرابة التي كانت تجمع الأسرة بهذا الباي، وختمت هذا الفصل بالحديث عن موقف أولاد مقران من الاحتلال الفرنسي، وضمنته العناصر التالية: مرحلة المقاومة، وتناولت فيها أولاد مقران و مقاومة الحاج أحمد باي، ثم أولاد مقران و مقاومة الأمير عبد القادر، وفي الأخير مرحلة استسلام الأسرة.

و أدرجت الفصل الثالث تحت عنوان، الحياة الاقتصادية والاجتماعية للأسرة، وتعرضت فيه إلى الأنشطة الاقتصادية والموارد الرئيسية للأسرة بسلطنة بني عباس ومشيخة مجانة، من صناعة وزراعة ونشاط تجاري، وتناولت دور أسرة أولاد مقران في استغلال غابات الخراسة، وبعد ذلك انتقلت إلى الحياة الاجتماعية للأسرة، وبعض العادات والتقاليد، وعلاقات الأسرة مع المناطق والقبائل المجاورة لها، وتطرقت إلى التعليم واللباس ووضعية المسكن.

أما الخاتمة فقد خصصتها لبعض النتائج التي توصلت إليها من خلال استعراضي لفصول البحث.

وأرجو أن أكون قد سلطت الأضواء على مثل هذه المواضيع التي تتناول التاريخ المحلي، وتبرز الدور الذي لعبه الأهالي في الجزائر طوال فترة الحكم العثماني لها،

هذا الدور الذي جحده كثير من المؤرخين والكتاب سواء عن قصد أو عن غير قصد، ولا أدعي أنني بلغت الهدف من وراء بحثي هذا، بل أعتقد أنه لا يمثل إلا بداية للاهتمام بتاريخ الأسر المحلية والتشجيع على الخوض في مثل هذه المواضيع التي تفتقر إليها مكتبتنا الجزائرية.

صعوبات البحث:

واجهت في هذا البحث عدة صعوبات منها، شح المصادر المحلية التي تتناول موضوع الأسرة، رغم ترددي على أماكن كنت آمل أن أجد فيها ما يخدم موضوعي من وثائق ومخطوطات وكتب مطبوعة، حيث انتقلت إلى زاوية الهامل ببوسعادة، وانتقلت أيضا إلى زاوية طولقة كما زرت زاوية الشيخ الحداد بصدوق دون أن أصل إلى تحقيق مبتغاي، إذ لم أعثر على أية وثيقة أو كتاب يتصل مباشرة بموضوعي، الأمر الذي جعلني اعتمد أساسا على المصادر والمراجع الأجنبية، وهو ما أضاف لعملي عبئا جديدا يتمثل في عملية الترجمة و غربلة المعلومات الواردة فيها.

كما أنني واجهت صعوبات أيضا فيما يتصل بالمصطلحات التي وردت في كتابات المؤرخين والكتاب الأجانب، فبعضهم يصفها بالمملكة ويصف حكامها بالملوك، كما جاء في كتب جل المؤرخين الأسبانيين أمثال مرمول وهايدو، والبعض الآخر نعتها بالإمارة وحكامها بالأمراء مثل المؤرخين الفرنسين كاريت و بربروجر وفيرو ورين، أحيانا أخرى توصف بالسلطنة ويوصف حكامها بالسلاطين، وقد استعمل هذا المصطلح بعض الكتاب المؤرخين الجزائريين الذين تناولوا بالدراسة والبحث تاريخ الجزائر في الفترة العثمانية استعملوا كثيرا هذا المصطلح الأخير، مثل مبارك الميلي وتوفيق المدني و عبد الرحمان الجيلالي. وبعد الدراسة والبحث فضلنا وصف حكم الأسرة في قلعة بني عباس بالإمارة ووصف حكامها بالسلاطين، لاعتقادنا أن أسرة أولاد مقران شكلت إمارة

حقيقية في قلعة بني عباس، حيث كان لها نظام حكم وجيش وموارد اقتصادية وحدود متعارف عليها، وكانت تحكم عدد كبير من القبائل، ودام حكم الإمارة أكثر من قرن لم يتمكن الحكام الأتراك من إخضاعها بالقوة.

ولا يفوتني في الأخير أن أتوجه بالشكر الجزيل إلى الأستاذ الدكتور أحمد صاري المشرف على هذا العمل المتواضع والذي لم يبخل علي بالنصح والتوجيه والنقد، وتتبعه لخطوات إنجازه حتى اكتمل، كما أتوجه بالشكر والعرفان إلى كل من ساهم في إنجاح هذا العمل المتواضع من المشرفين والقائمين على المكتبات الجامعية، وأخص بالذكر مكتبة مجمع كوحيل لخضر بجامعة قسنطينة ومكتبة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، والمكتبة الوطنية الجزائرية، ومركز الأرشيف لولاية قسنطينة، وأوجه شكري أيضا إلى زوجتي التي شجعتني كثيرا في إتمام الدراسات العليا وتحملتني طوال فترة انشغالي بإنجاز هذه المذكرة، ولا أنسى أن أشكر أيضا زميلاي محمد أوجرتني وزكريا العابد.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

مدخل: الإطار الجغرافي والتاريخي لمنطقة بني عباس ومجانة:

أولا: الإطار الجغرافي:

قبل التطرق إلى تحديد الموقع الجغرافي لمنطقة بني عباس ومجانة مقر حكم أسرة أولاد مقران موضوع الدراسة، يجدر بنا أولا التعريف بسكان بني عباس، من حيث نسبهم و تاريخ استيطانهم بالمنطقة، وما علاقتهم بأسرة أولاد مقران؟.

يرجع فيرو أصول سكان بني عباس إلى قبيلة سدويكش إحدى فروع قبيلة كتامة البربرية الشهيرة[1]، وحسب ما ذكر العلامة ابن خلدون فقد دخلت قبيلة سدويكش تحت زعامة قبيلة أولاد سواق المنحدرة من قبيلة أولاد سليم وانتسبت إليها، ثم توطنت قبيلة سدويكش في المنطقة الجبلية المجاورة لبجاية [2]، ولا شك أنها اختارت المكان المنيع الذي بنيت عليه قلعة بني عباس فيما بعد للاحتماء من الأعداء، فالجبال الشديدة الارتفاع أضحت ملاذا وملجأ ضد الأعداء في ذلك الوقت حسب ما يقول برودال (Fernand Braudel)[3].

وتنقسم قبيلة سدويكش حسب ابن خلدون إلى فرعين رئيسيين هما: فرع أولاد علاوة وفرع أولاد بن يوسف، استقر أولاد علاوة في منطقة المسيلة، بينما فضل أولاد بن يوسف الاستقرار في المنطقة الجبلية الشمالية(منطقة البيبان)، ويتألف أولاد بن يوسف من

---

[1]- Ch. Féraud : op, cit, p345.

[2]- عبد الرحمان ابن خلدون: **كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**، المجلد السادس، الكتاب الثالث، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1969، ص304.

أنظر أيضا:

- Mouloud Gaid: **les Beni yala**, O, P, U, Alger, 1990, p12.

[3]- **La Méditerranée et le monde méditerranéen à l'époque de Philippe II**, Colin, Paris, 1985, p27.

أربعة فروع هي: بني محمد بن يوسف و بني مهدي وبني براهم وبني إعزيزن، استقر بني مهدي وبني يوسف وقسم من أولاد براهم بنواحي قسنطينة، بينما استقر قسم من أولاد براهم بجبال البيبان والحضنة، في حين اختار أولاد محمد وبني إعزيزن الاستقرار في حوض الصومام والجبال الواقعة جنوب وجنوب شرق جبال البيبان والبابور.

وينسب بعض المؤرخين حسب ما يذكر يحي بوعزيز، بني إعزيزن إلى أمهم تاعزيزت و لا تزال تسمية إعزيزن تشمل قسم من بني عباس والجعافرة وتافرق وتازمالت، ويسود الاعتقاد حسب نفس المؤرخ أن بني عباس ينحدرون من العباس وهو أحد أبناء تاعزيزت الستة وهم:منديل، جعفر، جورة، سيد الملوك، عباس وعيسى[1]. يبدو لنا من خلال ما سبق أن سكان بني عباس ذووأصول بربرية وذلك استنادا إلى ما ذكره ابن خلدون.

وفيما يتعلق بالموقع الجغرافي لقلعة بني عباس[2]، فهي تقع في أعالي جبال الونوغة التي أصبح الجزء الشمالي منها يعرف بجبال البيبان [3]، ويعد الأتراك أول من أطلق هذه التسمية عليها حسب ما ذكره كاريت [4] فكانوا يسمونها باللغة التركية Demir Capou ومعنى كلمة كابو الباب، وأما كلمة دومير الحديد[5] وبالتالي فهي تعني أبواب الحديد.

---

[1] - يحي بوعزيز: **ثورة 1871، (دور عائلتي المقراني والحداد)**، ش، و، ن، ت، الجزائر، ص 43.

[2] - أنظر الملحق رقم: 3 و 4.

[3] - ولكي يميز سكان المنطقة الجبال الواقعة شمال الطريق المؤدي إلى مدينة الجزائر كانوا يسمونها "أبـــيض وذنو" وكانوا يطلقون على الجبال الواقعة جنوبه"أكحل وذنو"، وذلك بسبب الشكل واللون الذي تبـــدو عليه هذه الجبال للمشاهد القادم إليها من جهة الغرب.

[4]- E. Carette: op, cit, p145.

[5]- **Dictionnaire Turc- Français**: Diran Kélékian, editor, imprimeur, mihran Istanbul, 1911, p850.

ويرجع كاريت سبب إطلاق هذه التسمية إلى الكتل الصخرية التي تشكل عدة أبواب طبيعية متتالية شديدة الارتفاع، ويمر وسطها وادي البيبان الذي يتميز بالضيق إلى درجة لا يمكن اجتيازه أثناء تهاطل الأمطار الغزيرة، كما يوجد بين تلك الكتل الصخرية الممر الوحيد الذي كان يصل بايلك الشرق بمقر الحكم المركزي بمدينة الجزائر [1].

أما توفيق المدني فيرجع سبب إطلاق تلك التسمية إلى الكتل الصخرية التي تشبه الأبواب، وتعتبر الممر الوحيد بين الشرق والغرب ومن أهم تلك الأبواب باب الحديد الشهير الذي يشقه الطريق الرابط بين مدينة الجزائر وقسنطينة [2].

ويحد قلعة بني عباس منطقة بني عيدل من جهة الشمال، وقبيلة أولاد بليل وسهل مجانة من جهة الشرق والجنوب الشرقي، وجبال مزيتة من جهة الجنوب، ومنطقتي تازمالت وبني منصور من جهة الغرب [3]، وتبعد عن مدينة برج بو عريريج [4] بحوالي 49كلم، وهي حاليا تابعة لبلدية إيغيل علي بولاية بجاية.

---

[1]- E. Carette: op, cit, p145.

[2]- أحمد توفيق المدني: **جغرافية الجزائر**، ط2، الجزائر، 1953، ص13.

[3]- صالح فركوس: **احتلال ومقاومة المكاتب العربية بمقاطعة قسنطينة، (1844- 1871)**، رسالة دكتوراه دولة في التاريخ المعاصر، قسم التاريخ، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة منتوري، قسنطينة، ، 2000-2001، ج2، ص 399.

[4]- وهو عبارة عن قلعة حصينة بناها البايلرباس حسن باشا عام 1559، ويذكر المؤرخون أن هذا البرج يعود إلى العهد الروماني، ولا شك أن الرومان قد استخدموه لنفس الغرض أي المراقبة، ولمدينة برج بوعريريج علاقة بهذا البرج حسب ما تقول الأسطورة، التي تروي أن حارس البرج أثناء العهد التركي، كان يضع على رأسه خوذة نحاسية عليها ريش أحمر على شكل عروج الديك، فأطلق سكان المنطقة عليه اسم برج وهو يعني الحصن، وبو وتعني صاحب وعريريج وهي تصغير لكلمة عروج، راجع: ن. شراد: « برج المقراني في عداد الآثار المنسية»، **جريدة الشروق اليومي**، عدد 1392، 2005/05/31، ص7.

وأما مجانة المركز الثاني لحكم أولاد مقران بعد قلعة بني عباس، فهي تقع شمال شرق مدينة برج بوعريريج، وتبعد عنها بحوالي 10كلم، وهي عبارة عن سهل فسيح يقع على ارتفاع يزيد عن 500م فوق مستوى سطح البحر [1]، يحدها برج زمورة [2] وقبيلة الحشم العربية من جهة الشرق والشمال الشرقي، و مرتفعات مزيتة و المنصورة من جهة الغرب،[3].

ونظرا لطابعها السهلي وتربتها الخصبة اشتهرت مجانة منذ عهد الرومان بإنتاجها الوفير للحبوب [4] كما ورد ذكرها في كتب الجغرافيين العرب كاليعقوبي الذي قال عنها: « يوجد بمجانة معادن الفضة والحديد والرصاص».[5]

ومنطقة بني عباس ذات طبيعة جبلية، وهي جزء من سلسلة البيبان التي تمتد ما بين مدينة سور الغزلان غربا وسطيف شرقا وخراطة والقرقور شمالا، ويبلغ متوسط ارتفاعها 1417م، وهي تتميز بقممها الجيرية والكوارتزية، وخوانقها ومضائقها، وتربتها بصفة عامة فقيرة خفيفة تتكون من صخور حصوية أو رملية تسمى بالتربة الخشنة عند السكان[6].

---

[1]- **Archives de Cadastre:PV, n°:24, Medjana, 1890, p21.**

[2] - هي قرية جبلية وجدت قبل مجيئ العثمانيين إلى الجزائر، أصبحت تعرف ببرج زمورة بعد أن قام البايلر باي حسن باشا ابن خير الدين ببناء برج عسكري بها عام 1559 لمراقبة إمارة بني عباس، وكلمة "زمورة" مشتقة من كلمة"أزمور" البربرية والتي تعني "الزيتون" وأصل سكانها عرب حسب ما يعتقد سكانها.

[3] - صالح فركوس: المرجع نفسه، ص، 401، نقلا عن،.A.O.M. H47

[4]- Marmol : op, cit, P345.

[5]- جودت عبد الكريم يوسف: **الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية في المغرب الأوسط خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين (9-10 م)**، د. م. ج، الجزائر، 1992، ص105.

[6]- عبد القادر حليمي: **جغرافية الجزائر، طبيعية-بشرية- اقتصادية**، ط1، المطبعة العربية، الجزائر، 1968، ص ص 50- 47.

ونظرا للكميات المعتبرة من الأمطار التي تتلقاها المنطقة، ولطابعها الجبلي تنحدر منها عدة مجاري مائية أهمها وادي بني عباس، وادي البيبان، وادي أزرو الذي يعني الوادي المالح، بالإضافة إلى وادي الشواريخ ووادي موقة وتشكل هذه الأودية روافد تصب في وادي الصومام الذي يعرف في مجراه الأعلى بوادي الساحل ويصب هذا الأخير في سواحل بجاية، ويبلغ طول هذا المجرى 210 كلم، وهو يفصل بين منطقة البيبان وسلسلة جبال جرجرة.[1]

أما عن مناخ المنطقة فهو عبارة عن مزيج بين المناخ القاري الجبلي، والمناخ المعتدل الذي يتميز بصيف حار وجاف وشتاء بارد وممطر مع تساقط الثلوج بكثافة تمنع السكان في بعض الأحيان من الخروج من منازلهم لمدة زمنية طويلة، مما يجعلهم يعانون قساوة الشتاء.[2]

ونظرا لخصائص البيئة السابقة الذكر يكسو المنطقة غطاء نباتي وشجري متنوع ودائم الخضرة، ولكنه متوسط الكثافة بسبب فقر التربة، ومن أهم أشجاره: الصنوبر الحلبي والصنوبر البحري البلوط والعرعار، بالإضافة إلى أشجار التين الزيتون، وبعض الأحراش مثل نبات الحلفاء والديس.[3]

ويشتهر سكان المنطقة بممارستهم للنشاط التجاري حسبما يذكر كاريت[4]، بالإضافة إلى نشاط تربية المواشي والزراعة في الأحواض والسهول القليلة المنتشرة بين الجبال و الوديان[5].

---

[1] - يحي بوعزيز: **أعلام الفكر في الجزائر المحروسة**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1995، ص20.

[2]- Ch. Féraud: op, cit, p210.

[3]- عبد القادر حليمي:المرجع نفسه، ص101.

[4]- E. Carette: op, cit, p406.

[5] - يحي بوعزيز: المرجع نفسه، ص20.

أما فيما يخص منازل سكان القلعة فهي عبارة عن قرية يعود بناؤها إلى السلطان أحمد بن عبد الرحمان في مطلع القرن السادس عشر، وهي تتألف من حيين سكنيين رئيسيين هما حي أولاد عيسى وحي أولاد حمادوش، وتتميز القلعة بشوارعها الضيقة، وهي بصفة عامة لا تختلف عن مساكن سكان القبائل، فالبيوت في قلعة بني عباس كانت في فترة تأسيس القلعة تبنى بالحجارة باستخدام مادة الطين الممزوج بالتبن، وكانت السقوف تغطى بأعمدة متقاطعة من خشب الدردار أو الصفصاف وبعض النباتات اليابسة مثل نبات الديس والقصب اللذان يكثران بالمنطقة[1]، وأما فيما بعد فقد أصبح السكان يستخدمون في بناء منازلهم – بالإضافة إلى الحجارة المتوفرة بكثرة- الآجر والقرميد الذي كانوا ينتجونه محليا، وأما عن شكل السقف فلا يختلف عن بيوت المناطق الأخرى، حيث السقف المائل يساعد على انزلاق الثلج ومياه الأمطار الغزيرة المتساقطة في فصل الشتاء ويوفر نوعا من الدفء أيضا.[2]

وكان سكان إمارة بني عباس يعتمدون في غذائهم أساسا- كغيرهم من سكان منطقة القبائل – على الحبوب من قمح وشعير بالإضافة إلى الزيت والزيتون و التين [3] المجفف، فهو بمثابة التمر عند عرب الصحراء [4].

وتختلف مساكن مجانة عن مساكن القلعة، فإذا كانت مساكن القلعة تبنى بالحجارة وتغطى سقوفها بالقرميد كما سبقت الإشارة إلى ذلك، فإن سكان مجانة كانوا يستعملون الخيام كمساكن وذلك حسب شهادة الرحالة الفرنسي دي فونتان الذي يقول: «وقد مررنا بمجانة وسط عدد هائل من الخيام.. »[5] و ذكر فيرو أيضا أن فرع

---

[1] - عبد القادر حليمي: المرجع نفسه، ص ص47- 50.

[2] - المرجع نفسه، ص103.

[3] - التين عدة أنواع أسود وأبيض وأحمر، وهو يؤكل رطبا أو جافا.

[4] - المرجع نفسه، ص225.

[5]- Peyssonnel et Desfontaines : op, cit, p374.

أولاد الحاج كانوا يسكنوا 80 خيمة، بينما كان أولاد القندوز يسكنون 192 خيمة[1]، وذلك في أواخر العهد العثماني.

وكان سكان بحانة مولعون بتربية الخيول التي كانوا يستخدمونها في حروبهم واستعراضاتهم واحتفالاتهم رحلات الصيد، حيث كانت للخيل مكانة مرموقة بالنسبة لهم يتباهون في امتلاكها ويجتهدون في تحسين أنواعها، وقد اشتهرت في ذلك قبيلة "الحشم" التي يصفها فيرو بأنها ماهرة في هذا المجال.[2]

وكانت التجارة النشاط الغالب على السكان بالإضافة إلى صناعة النسيج، فبرانس بني عباس كانت لها شهرة ليس في الجزائر فحسب بل وصلت شهرتها إلى تونس والمغرب الأقصى حسب ما يذكر كاريت[3].

وعموما تتميز منطقة بني عباس بطبيعة خلابة جعلت علي أفندي بن حمدان خوجة الذي زار القلعة رفقة والده يصفها بمايلي: «إنها بلاد جميلة لم يسبق لي أن شاهدت مثلها في بلاد القبائل، حيث توجد بها مساجد وبنايات مبنية بالحجارة على طراز المباني الفرنسية، إلى درجة أن المسالك المائية كانت من خشب الزان ممتدة على طول أسقف البيوت، كما رأيت عندهم أشياء تعجبت لها فقال لي والدي أن هؤلاء لو توفرت لديهم الإمكانيات لصنعوا أشياء مذهلة» [4] وهي شهادة تكشف في اعتقادنا عن بعض الجوانب الحضارية للمنطقة.

---

[1]- Ch. Féraud: op, cit, p275.

[2] - عبد القادر حليمي:المرجع نفسه، ص250.

[3]- E.Carette: op, cit, p354.

[4]- علي أفندي ابن عثمان خوجة: **وصف رحلة من الجزائر إلى قسنطينة عبر الجبال عام 1832**، تعريب وتقديم احميدة عميراوي، منشورات جامعة منتوري، قسنطينة، 2000، ص46.

ويتميز سكان قلعة بني عباس كغيرهم من سكان منطقة القبائل بتقدير واحترام أهل العلم من العلماء وشيوخ الزوايا، وإكرام الضيف واستقبال الـــلاجئين وحمايتهم.[1] يبدو لنا مما سبق أن أسرة أولاد مقران كانت تسيطر على منطقة هامة في الجهة الغربية من بايلك الشرق، فهل ستستغل هذا الموقع الاستراتيجي المحصن طبيعيا طوال فترة حكمها سواء بقلعة بني عباس أو بمشيخة مجانة، في فرض سيادتها على تلك المنطقة الواسعة.

ثانيا: الإطار التاريخي:

إن عدم ورود ذكر اسم قلعة بني عباس في كتابات المؤرخين والجغرافيين العرب الذين أهتموا ببلاد المغرب في الفترة الوسيطة يجعلنا نعتمد على ما تركته المصادر الأجنبية وبالخصوص الكتابات الفرنسية، ومن بينهم شارل فيرو الذي يعتبر أن البداية الفعلية لتاريخ أسرة أولاد مقران ببني عباس كانت مع مطلع القرن السادس عشر الميلادي، حيث كان لها دورا بارزا في المجالين السياسي والعسكري ببايلك الشرق الجزائري طوال فترة الحكم العثماني، وحتى الفترة الأولى من الاحتلال الفرنسي.[2]تعتبر مجانة من أهم المناطق التي استقر بها الرومان وقاموا ببنائها نظرا لخصاوبة تربتها فكانوا يمارسون فيها

---

[1] - موسى لقبال: **دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية منذ تأسيسها إلى منتصف القرن الخامس عشـــر الهجري، (11م)**. ش. و. ن. ت، الجزائر، 1979، ص93.

[2]- Ch. Féraud : op.cit, p.187.

زراعة الحبوب [1] ولا تزال أحجار بناية تعود إلى العهد الروماني متناثرة بالقرب من المدينة إلى يومنا هذا.

وعلى الرغم من عدم وجود ذكر لقلعة بني عباس في المصادر المحلية، إلا أن هناك رواية محلية يتداولها سكان القلعة مفادها أن القلعة كانت حصنا عسكريا وبرجا للمراقبة في عهد الحماديين، ويعتقدون أن الناصر بن علناس [2] توقف بها قبل أن يتوجه إلى بجاية ويجعلها عاصمة له في حوالي عام 1068 وهو من قام ببناء ذلك الحصن، ومن المحتمل إن صحت هذه الرواية أن المكان قد اتخذ منه الحماديون برجا للمراقبة لأنه يقع في موقع استراتيجي يمكنهم من مراقبة كل المنطقة والتحكم في المسالك والدروب التي كانت تعبر المنطقة آنذاك، [3] فقد ورد في كتب الجغرافيين العرب كالمقدسي وابن حوقل والإدريسي والبكري أنه كان يعبر مجانة طريق رئيسي يربط بين المسيلة والقيروان، ويصل هذه الأخيرة بقلعة بني حماد وتيهرت مرورا بمجانة. [4]

---

[1] – جوليان، شارل أندري: **تاريخ إفريقيا الشمالية، (تونس، الجزائر، المغرب الأقصى)، من البدء حتى الفتح الإسلامي 647م**، تعريب، محمد مزالي، والبشير بن سلامة، الدار التونسية للنشر، تونس، 1969، ص206.

[2] – هو أحد ملوك بني حماد حكم بجاية بين عامي 454 و481هـ(1062-1089م)، وهو من نقل عاصمة الحكم من قلعة بني حماد إلى بجاية، وذلك بعد الزحف الهلالي على المغرب الأوسط. لمزيد من التفاصيل حول بني حماد أنظر، ابن خلدون: المصدر نفسه.

[3] – أبو عبيد الله البكري: **المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب**(المسالك والممالك) نشر البارون دي سلان ط2، الجزائر، 1913، ص410.

[4] – رشيد بورويبة: **الدولة الحمادية، تاريخها وحضارتها**، د. م. ج، الجزائر، 1977، ص52.

أنظر كذلك:

Youssef **Ben Oudjit : La Kalaa des Beni Abbès, au XVIe siècle**, édition Dahlab, **Alger, 1997, p24.**

وكانت مجانة كما يذكر سعيدوني مزدهرة في تلك الفترة بسبب مرور ذلك الطريق بها، لكن بعد أن فقدت القيروان مركزها اختفت مجانة كغيرها من المدن التي أصبح من الصعب تحديد مواقعها على الخريطة [1].

أما القزويني فقد قال عن مجانة بأنها بلدة في افريقية تسمى قلعة بسّر باسم بسّر بن أرطاة، الذي بعثه إليها موسى بن نصير ففتحها عنوة، وبعث خمس غنيمتها إليه، وأرضها طيبة ينبت فيها الزعفران كثيرا، وبها معادن الفضة والحديد والمرتك والرصاص والكحل، وفي جنوبها تقع قطع من أحجار الطواحين تحمل إلى سائر بلاد العرب، وكانت تعرف بمجانة المعادن.[2]

وفيما يخص معاني كلمة مجانة وسبب إطلاق هذه التسمية عليها، هناك رواية لا يزال سكان مجانة يرددونها مفادها أن كلمة مجانة بربرية تعني المكان الكثير الماء، وكلمة الماجن كثيرة التداول في أوساط المجتمع الجزائري حتى في وقتنا الراهن، وربما كان بمجانة مستنقع أو بركة من المياه وهي سبب إطلاق هذه التسمية عليها.

ويدعم هذا القول ما أورده البكري حيث يقول: «أن مجانة مدينة محاطة بأسوار بناها الرومان، وأن بها ثلاثمائة وستون (360) جبا» [3]، كما أشار المؤرخ الأسباني مرمول أيضا إلى ذلك حيث يقول: «أن مجانة هي مدينة قديمة بناها الرومان، وأحاطوها بسور، وتشتهر بعيونها الكثيرة، وبإنتاجها الوفير للقمح، ويذكر أن العرب الفاتحين قاموا بتخريبها عند دخولهم إليها، لأن سكانها قاوموهم بالتحالف مع الحامية الرومانية، ولكنهم قاموا بإعادة بناءها وتعميرها بعد تمكنهم من الاستيلاء عليها، ويضيف نفس

---

[1] – ناصر الدين سعيدوني: **دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر الحديث – العهد العثماني**– م. و. ك، الجزائر، 1984، ص85.

[2] – القزويني: **آثار البلاد وأخبار العباد**، مطبعة بيروت، 1960، ص260.

[3] – أبو عبيد الله البكري: المصدر نفسه، ص157.

المؤرخ أيضا أن سكان مجانة عانوا كثيرا من الضرائب الثقيلة التي كان يفرضها عليهم سلطان بني عباس، مما جعلهم يشترطون على حسن باشا مقابل خضوعهم، أن يقوم ببناء برج عسكري وترك حامية عسكرية بها لحمايتهم من اعتداء سلطان بني عباس[1]».

وينطق سكان المنطقة كلمة مجانة (بتشديد الجيم)، إلا أن الورثيلاني أشار في رحلته إلى أنها تنطق بكسر الميم وفتح الجيم، لكنه لم يشر إلى معناها، كما ينطقها البعض بسكون الميم وتخفيف الجيم.

وسكان مجانة عرب يتشكلون من أسرة أولاد مقران وقبيلة الحشم العربية، ويتكلمون اللغة العربية على عكس سكان بني عباس الذين يتكلمون اللغة الأمازيغية، ومحافظين على العادات والتقاليد البربرية التي توارثوها أب عن جد.

يتضح لنا من خلال ما سبق أن منطقة مجانة ضاربة في القدم، ويعتقد أن الرومان أدركوا أهميتها ولذلك قاموا ببنائها وإحاطتها بسور كبير، أما فيما يتعلق بقبيلة بني عباس فكانت تشتهر حسب ما ذكر فيرو بالفروسية والشجاعة والقوة، وربما كان لها دور في الأحداث التي عرفها المغرب الأوسط على مر العصور، بالرغم من أن المؤرخين والكتاب لم يشيروا إليها.

---

[1]- Marmol: op, cit, p421.

الفصل الأول: أولاد مقران بقلعة بني عباس(1510-1600)

1- أصول أولاد مقران

2- تأسيس قلعة بني عباس

3- قيام إمارة أولاد مقران بقلعة بني عباس

4- علاقة إمارة بني عباس بالأسبان

أ- علاقة تحالف وتعاون

ب- علاقة حرب وتصادم

5- علاقة إمارة بني عباس بالحكام الأتراك

أ- علاقة صراع وحرب

ب- علاقة صداقة وتحالف

ج- أولاد مقران بين السلم والحرب مع الأتراك

6- مقتل سيدي ناصر وزوال إمارة أولاد مقران ببني عباس

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

1- أصول أولاد مقران:

على الرغم من الشهرة التي نالتها أسرة أولاد مقران، والدور السياسي والعسكري الذي لعبته سواء في العهد العثماني أو أثناء فترة الاستعمار الفرنسي في الجزائر، إلا أن المؤرخين والكتاب لم يتفقوا في تحديد أصول الأسرة.

فمنهم من ينسبهم إلى الأشراف كالورثيلاني الذي يقول عنهم في رحلته « وقد رأيت في طبقات ابن فرحون أنه نص على شرفهم والله أعلم »[1]، أما صاحب الاستقصا فقد قال عن أولاد مقران ما يلي: «إن الشيخ عمر ابن القاضي والد الشيخ أحمد بن القاضي الزواوي حاكم إمارة كوكو قد نزح من ناحية معسكر بغرب البلاد إلى جرجرة حيث أنشأ زاوية في قرية كوكو للتربية والتعليم في القرن 16، وهو الوقت الذي نزح فيه السيد عبد الرحمان الإدريسي رأس العائلة المقرانية من ناحية معسكر أيضا إلى بلاد زواوة لأخذ العلم عن الشيخ عمر بن القاضي ثم انتقل فيما بعد من بلاد زواوة إلى إلى بني عباس وأنشأ القلعة المسماة باسمهم، وهناك ظهر أمره علا صيته وأقام دولة دامت ما يقرب من مائة سنة ونافس دولة آل القاضي وخاصة أيام عبد العزيز بن أحمد بن عبد الرحمان»[2].

---

[1] - الحسين بن محمد الورثيلاني: **نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار**، تحقيق ونشر محمد بن أبي شنب، مطبعة فونتانا، الجزائر 1908، ص 36.

وأنظر كذلك، أبو القاسم الحفناوي: **تعريف الخلف برجال السلف**، تحقيق محمد أبو الأجفان، وعثمان بطيخ، ط1، المكتب العتيق، تونس، 1982، ص64.

[2]- أبو العباس أحمد بن خالد الناصري: **كتاب الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى**، دار الكتاب، الدار البيضاء 1954، ص146.

وينسبهم شارل فيرو أيضا إلى فاطمة بنت الرسول(ص)، حيث يذكر لنا اعتمادا على الرواية الشفوية التي جمعها من كبار شيوخ الأسرة، أن إدريس الأول[1] فر من بطش الخليفة الهادي بعد الأحداث الدامية التي عرفتها مكة والمدينة والتي أدت إلى مقتل الحسين بن علي في حوالي عام 170 ه، (786م)، ولجأ إلى بلاد المغرب، وتمكن من تأسيس دولة الأدارسة التي دامت قرابة قرنين من الزمن، وبعد مقتل إدريس الأول على يد الخليفة هارون الرشيد تنازع أبناؤه الملك فضعفت دولتهم واضمحلت، ثم سار خليفة الأندلس لقتال الحسن بن إدريس الأول بعد أن رفض الخضوع له، وقام بقتله فتفرق بعد مقتله أتباعه في الجبال واندمجوا وسط البربر وتبنوا نمطهم في العيش واخفوا كل ما يدل على انتمائهم للأشراف حفاظا على حياتهم[2].

ويضيف الكاتب نفسه رواية أخرى مفادها أن جد أولاد مقران كان يسمى عبد الرحمان من أشراف المغرب الأقصى، قدم إلى منطقة جرجرة في النصف الثاني من القرن الخامس عشر الميلادي، وكان يبيع الطلاسم والتمائم، ويمارس الشعوذة، فنال شهرة كبيرة لدى سكان المنطقة واستقر بها لمدة ثم انتقل إلى منطقة بني عباس وساعدهم في ثورتهم ضد رجال ابن القاضي[3].

ويؤيد هذه الرواية مواطنه لويس رين الذي يقول: « أن أولاد مقران يملكون شجرة نسب[4] تصل تفرعاتها إلى فاطمة بنت الرسول (ص)» ويضيف رواية أخرى مفادها أن التقاليد المحلية تنسب الأسرة إلى أمراء بني حماد بجبل كيانا، حيث كان جدهم

---

[1] - حول موضوع الأدارسة أنظر: ابن خلدون: **ديوان العبر**، أنظر كذلك ابن عذارى المراكشي: **البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب**، ج1، دار الثقافة، بيروت، (د ت)، ص298 وما يليها.
و أبو العباس أحمد بن خالد الناصري: المصدر نفسه، ص134 وما بعدها.

[2]- Ch. Féraud: op.cit, p197.

[3]- Ch.Féraud: op, cit, p200.

[4]- أنظر الملحق رقم: 5.

الأمير عبد الرحمان واليا على الحضنة والمعاضيد، ثم غادر جبل عياض في النصف الثاني من القرن الخامس عشر، واستقر قرب جبال البيبان»[1]، نلاحظ أن هناك تقارب بين رواية رين وفيرو وما ذكره كل من الورثيلاني والسلاوي في أصل الأسرة الشريف.

وينسبهم البعض إلى قبيلة بني عباس البربرية حسب ما يذكر فيرو ودليل هؤلاء هو أن الأسرة تحمل اسم أمقران وهي كلمة بربرية تعني الكبير وعكسها في اللغة نفسها أمزيان وهي تعني صغير الأسرة، كما يدعمون قولهم بأن سلاطين الإمارة كانوا يلقبون بالعباسي، [2] غير أن أصحاب هذا الرأي لم يحددوا لنا أصول بني عباس، كما أن حجتهم تبدو للوهلة الأولى ضعيفة.

كما ينسبهم آخرون إلى عياض الذي هاجر إلى المغرب الأوسط خلال القرن الحادي عشر الميلادي، أثناء الزحف الهلالي، واستقر بقلعة بني حماد بجبال المعاضيد شمال مدينة المسيلة أولا، ثم انتقل إلى جنوب شرق مدينة برج بوعريريج[3].

وقبيلة عياض حسب ابن خلدون، هي فرع من عرب أثبج من هلال بن عامر من الطبقة الرابعة نزلوا بقلعة بني حماد حيث دخلوا في حروب مع قبيلة عجيسة البربرية وانتصروا عليها وأخذوا مواقعها، ثم تفرعوا إلى فرعين: بطن[4] المرتفع وبطن الخراج(بكسر الخاء) حيث يقول: « ثم هلكوا وهلكت القلعة من بعدهم وورث مواطنهم بذلك الجبل عياض من أفاريق العرب الهلاليين سمي الجبل باسمهم جبل عياض [5] وكانت رئاسة أولاد

---

[1]- Louis Rinn : op, cit, pp9-10.
[2]-Ch.Féraud: op, cit, p201.
[3]- Ch.Féraud: op, cit, p199.
[4] – البطن أكبر من الفخذ الذي هو اتحاد مجموعة من العشائر ذات المصالح المشتركة، ولكل بطن رئيس أو شيخ وراثي له نفس وظائف الفخذ. لمزيد من التفاصيل أنظر:
جودت عبد الكريم يوسف: المرجع نفسه، ص ص252- 253.
[5] – ابن خلدون: المصدر نفسه، ص54.

حناش من بطن المرتفع من قبيلة عياض في أولاد عبد السلام وأولاد القندوز » [1] وهما الاسمان اللذان حملهما فيما بعد شيوخ أولاد مقران الذين شكلوا فرعي أولاد عبد السلام وأولاد القندوز حسب ما يذكر فيرو،[2] وهذا ما يؤكده كلا من الشيخين عبد الله حشلاف في كتابه سلسلة الأصول في شجرة أبناء الرسول[3] وعاشور بن محمد الخنقي [4] لكنهما لم يضيفا شيئا عما ذكر الورثيلاني، ويبدو أنهما نقلا عنه نقلا حرفيا.

وقد حصلنا على مخطوط من أحد أحفاد أولاد مقران [5] ينسب الأسرة إلى آل عمروس، حيث يقول صاحب المخطوط «فكيفية رحلات اولاد الاكياس باختصار في التفصيل اجمال الاحيان، لقد انتقلت اوايلهم من فاس لتادلة[6] وقلعة حجر النسر[7] ثاني،

---

[1]- Ch. Féraud : op, cit, p194.

أنظر أيضا:

Marthe et Edmond. Gouvion: **kitab Ayane el Maghariba**, Imprimerie Orientale fontana-frères, Alger 1920, p66.

[2]- Ch. Féraud : op, cit, p195.

- أنظر كذلك: يحي بوعزيز: **ثورة 1871**، ص 43.

[3] - سيدي عبد الله بن محمد بن الشارف بن سيدي علي حشلاف: **كتاب سلسلة الأصول في شجرة أبناء الرسول**، المطبعة التونسية، تونس، 1929، ص115.

[4] - **كتاب منار الأشراف على فضل عصاة الأششراف ومواليهم من الأطراف**، ط1، المطبعة الثعالبية، الجزائر، 1914، ص54.

[5] - محمد الصديق ابن عبد الله المقراني الشريف: **عقد اللئالي الفريدة المنظومة في سلك هذه الجريدة**، 1314ه، ورق 30 X40سم، غير مرقم، أنظر الملحق رقم:6و7.

[6] - تادلة: مدينة تقع على بعد200 كلم عن الدار البيضاء، على الضفة اليمنى من نهر أم الربيع.

[7] - حجر النسر: هي قلعة بناها إبراهيم بن محمد بن إدريس، سنة 317ه، تقع على قمة جبل وعر في غمارة، تبعد بمسيرة ثلاثة أيام عن سبتة، وهي العاصمة الثانية لدولة الأدارسة، أنظر:

إسماعيل العربي: **دولة الأدارسة، ملوك تلمسان وفاس وقرطبة**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983، ص 65.

ثم إلى قلعة حماد في الخامس من القرون، ومنها إلى غفستان [1] ثم افترقت شعوبهم الأربعة لحرمة وقعت في غاية افتتان محمد وأحمد وعلي وملول، بنو عيسى....فأما محمد وأحمد إبنا عيسى، بجل عمروس قد هاجر للمريصان[2] قد مكثا سنين عديدة هناك، ثم انتقلا إلى موقة كالفرصان في أواسط السادس فانتشر نسلهما فيها صار كثير الأغصان ثم انتقلوا إلى حصن القلعة في القرن الثامن قيام السلطان فلما حل ركابهم وسطه بها اتخذوها حصنا دار السلطان[3].

ومن خلال ما جاء في هذا المخطوط يتضح لنا أن أولاد مقران ينتسبون إلى الاشراف حيث انتقل جدهم الأول من فاس إلى تادلة ثم إلى قلعة حجر النسر في القرن الثاني للهجرة، وبعد ذلك انتقل إلى قلعة بني حماد في القرن الخامس، ومنها إلى غفستان، وبعد ذلك تفرق الإخوة بعد خلاف وقع بينهم فاستقر محمد وأحمد "بأم الريسان" حبث مكثا بها عدة سنين ثم انتقلا إلى موقة في أواسط القرن السادس فانتشر نسلهم بها ثم غادروها إلى قلعة بني عباس واتخذوها مقرا لحكمهم.

ويؤيد هذا الرأي مولود قايد[4]، أما صالح فركوس فيرجح القول الذي ذهب إليه ابن خلدون، على أن أولاد مقران ينتسبون إلى قبيلة عياض[5].

وهناك من المؤرخين من ينسبهم إلى الحفصيين الذين كانوا يحكمون بجاية، ومنهم مبارك الميلي الذي يذكر أن الأمير عبد العزيز وهو آخر الأمراء الحفصيين الذين كانوا

---

[1] – هي قرية تقع في جبال المعاضيد(جنوب مدينة برج بوعريريج).

[2] – وتعني أم الرؤوس وهي أعلى قمة بجبال البيبان، أطلقت عليها هذه التسمية لأن الذي يصعد إليها يشاهد مجموعة من القمم العالية، ويرجع فيرو سبب التسمية إلى معركة بين أولاد مقران والأتراك قطعت فيها العديد من الرؤوس وهو ما ينفيه أولاد مقران ويعتبرونه من نسج خياله.

[3] – محمد الصديق ابن عبد الله المقراني الشريف: المصدر نفسه.

[4]- Mouloud Gaid: **Mokrani**, Edition Andalouse, Alger, 1993, p14.

[5] – صالح فركوس: المرجع نفسه، ص288.

يحكمون قسنطينة هاجر إلى قلعة بني عباس بعد أن احتل الأسبان بجاية عام 1510[1]، ويؤيد هذا الرأي ابن أوجيت الذي اعتمد على ما جاء في مخطوط المريني بل أنه ذهب إلى أبعد من ذلك حين نسب بناء القلعة إليهم أي إلى الحفصيين.[2]

لكننا نستبعد هذا الرأي لعدة اعتبارات، أولها أن المصادر المعاصرة للاحتلال الاسباني لبجاية لم تشر إلى وجود قلعة بني عباس في ذلك الوقت، فإن كانت موجودة في تلك الفترة فلماذا لم يشر اليها كل من الرحالة المغربي الحسن الوزان والمؤرخان الاسبانيان مرمول وهايدو رغم أنهم أشاروا إلى فرار ملك بجاية إلى الجبال المجاورة.

كما أن المريني أيضا لم يورد ذكر قلعة بني عباس في مخطوطه، وربما يقصد بالقلعة التي أشار اليها بقلعة الونوغة قلعة بني حماد حسب ما ذهب إليه إسماعيل العربي الذي يقول أن أمير بجاية الحفصي التجأ إلى قلعة بني حماد عندما احتل الأسبان مدينة بجاية في عام 1510.[3]

وهناك روايات أخرى لا أساس لها من الصحة ترجع أسرة أولاد مقران إلى أصول أوروبية، أورد بعضها فيرو الذي يقول أن أولاد مقران كانوا يتداولون فكرة مفادها أنهم ينحدرون من أسرة مونتمورنسي (Montmorency)[4] الفرنسية، وذلك اعتمادا على خبر نشرته جريدة الأخبار بتاريخ 23ماي 1852م للسيد هنري كوفان Henri)

---

[1] - مبارك بن محمد الهلالي الميلي: **تاريخ الجزائر في القديم والحديث**، مكتبة النهضة الجزائرية، ط2، الجزائر، 1963م، ص238.

[2] - Youssef Ben Oudjit: op.cit, p70.

[3] - اسماعيل العربي: المرجع نفسه، ص.

[4] - هي من أشهر الأسر الفرنسية النبيلة، التي لعبت دورا فعالا في فرنسا خلال القرنين الخامس عشر والسادس عشر، من أبرز شخصياتها آن دوقة مونتمورنسي (Anne duc de Montemorency) التي كانت مستشارة للملك الفرنسي فرنسوا الأول (1537)، وهنري الثاني(1534م). أنظر:
Dictionnaire Encyclopédique Larousse, Paris, 1983, p425

(Couvainنقلا عن جريدة الدستوري (Le constitutionnel)، حيث ذكر فيه أن سي لخضر المقراني[1] قائد بني عباس ينحدر من أسرة مونتمورنسي التي اعتنق أحد أفرادها الإسلام بالمغرب الأقصى واعتبر من الأشراف ويستبعد فيرو نفسه صحة هذا الادعاء حيث يذكر أن الجنرال دوبارال (De Barral)قائد منطقة سطيف سئل في اجتماع عن تاريخ الأسرة وعن أصولها وتأثيرها خلال العهد التركي، وبعد أن استعرض تاريخ الأسرة ودورها، قارن دورها في الجزائر خلال العهد العثماني بالدور الذي لعبته أسرة مونتمورنسي الفرنسية، فحدث سوء فهم من أحد المقرانيين الذي كان حاضرا في هذا الاجتماع، وأشاع ذلك الخبر، مستندا إلى إشارة الصليب الذي كان المقرانيون يحملونه كشعار في أسلحتهم كما أنهم يحملون وشم به رمز الصليب، ويستغرب فيرو هذه الرواية مبينا أنه لم يرد ذكرها لا في المصادر الأوروبية ولا في المصادر المحلية.[2]

ونعتقد نحن أيضا بعدم صحة هذه الرواية أيضا لأن أغلب سكان الجزائر كانوا يضعون وشما على وجوههم وأيديهم يحمل إشارة زائد وهي عادة توارثوها منذ القدم أب عن جد ولا علاقة لها بالصليب، وهي دعوة روج لها الكتاب والمؤرخين الفرنسيين لتحقيق أغراض سياسية استعمارية ومحاولة إثبات مسيحية البربر كما يذكر نور الدين عبد القادر[3].

أما جميلة معاشي فقد ذكرت أن جد أولاد مقران يعود إلى القرنين السادس والسابع الهجريين (الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين) وكان اسمه بوزيد بن علي بن موسى بن علي بن مهدي بن صفوان بن مسار بن موسى بن عيسى بن عبد الله بن موسي بن عيسى بن إدريس الأصغر بن إدريس الأكبر بن عبد الله بن الحسن بن علي بن أبي

---

[1] – هو ابن خليفة بحانة أحمد بن محمد، توفي في عام 1861.

[2]-Ch. Féraud : op, cit, p201.

[3] – نور الدين عبد القادر: صفحات في تاريخ مدينة الجزائر من أقدم عصورها إلى انتهاء العهد التركي، مطبعة البعث، قسنطسنة، الجزائر، 1965، ص23.

طالب(ض) وكان لسيدي بوزيد أربعة أبناء: أحمد ومحمد وعبدا لله وعلي استقروا بمنطقة البيبان[1] ونلاحظ أن هناك تقارب مع ما جاء في مخطوط عقد اللئالي الفريدة وما ذكرته الأستاذة جميلة معاشي، وهذا يعني أن أولاد مقران ينحدرون من فرع البوازيد نسبة إلى جدهم بوزيد بن علي بن موسى.

ومهما يكن من اختلاف بين المؤرخين والكتاب فإن أغلبهم يرجحون النسب الشريف لأولاد مقران، مع أننا نستبعد الرأي الذي ينسبهم إلى الأمراء الحفصيين، لأننا لم نعثر في المصادر المختلفة التي تناولت بالدراسة تاريخ بني حفص ما ثبت ذلك، يها المصادر والمراجع التونسية لكننا لم نجد لهم أثر، ونتساءل هنا إذا افترضنا أن الأميرين الحفصيين العباس وعبد الرحمان هما من أسس قلعة بني عباس فلماذا سكتت المصادر التونسية عن ذكر ذلك؟ رغم أن هذا يعني استمرار الحكم الحفصي في المغرب الأوسط طوال فترة الوجود العثماني.

وإذا كان الأميران عبد الرحمان والعباس هما من بنى قلعة بني عباس وأسسا الإمارة كما يذكر ابن أوجيت فما تفسير تحالف زعيم بني عباس مع الحامية الأسبانية ببجاية فيما بعد؟، على الرغم من أن الاسبان اغتصبوا هذه المدينة (بجاية) منه وقاموا بقتل كل أفراد أسرة الأمير عبد الرحمان حسب ما ذكر المريني في مخطوطه، إذ لا يعقل أن يكون عدوا وحليفا في نفس الوقت.

ومن خلال استعراضنا لهذه الروايات يبقى نسب أولاد مقران غامضا، مع أننا نرجح القول الذي ينسبهم إلى الأشراف الأدارسة.

---

[1]- جميلة معاشي: **الأسر المحلية الحاكمة في بايلك الشرق الجزائري، من القرن ال16، إلى القرن ال19**، رسالة ماجستير معهد العلوم الاجتماعية، جامعة منتوري، قسنطينة، 1990/ 1991، ص40.

2- تأسيس قلعة بني عباس:

تعتبر قلعة بني عباس من أهم القلاع التي بنيت في أعالي قمم الجبال في المغرب الأوسط، أسستها أسرة أولاد مقران في مطلع القرن السادس عشر الميلادي (العاشر الهجري) واتخذت منها عاصمة لإمارة حقيقية دامت أزيد من قرن وأربعة عشر سنة، مليئة بالأحداث السياسية والعسكرية على الخصوص، ودافعت بكل قوة وشجاعة عن استقلالها، ضد كل من حاول إخضاعها والاستيلاء عليها، بدءا من الأسبان الذين تمكنوا من احتلال عدة مدن ساحلية مهمة بالمغرب الأوسط، ومن أهمها بجاية القريبة من القلعة، ثم الأتراك الذين لم يتمكنوا من الوصول إليها رغم المدة الطويلة التي حكموا فيها إيالة الجزائر.

وبالرغم من الشهرة التي نالتها قلعة بني عباس خلال العهد العثماني في الجزائر إلا أن تاريخ تأسيسها لا يزال غامضا، حيث أن هناك روايتين مختلفتين نوردهما فيما يلي:

تذكر الرواية الأولى التي جمعها شارل فيرو من كبار سكان القلعة، أن جد أولاد مقران كان يسمى سيدي عبد الرحمان قدم من المغرب الأقصى كما سبقت الإشارة إلى ذلك، وبعد وفاته خلفه ابنه أحمد وهو من أوحى إلى سكان بني عباس ببناء القلعة للاحتماء من أعداءهم فقاموا ببنائها بين عامي 1490و1500، ثم قام ابنه السلطان عبد العزيز- الذي عاصر مجيء الأتراك إلى الجزائر- بزيادة تحصيناتها، [1] وهذا ما أشار إليه الورثيلاني في رحلته حيث ذكر أنه عندما مر بمجانة، كان يحكمها سلطان يدعى محمد بن أحمد بن القندوز المقراني العباسي، حفيد الشريف سيدي أحمد بن عبد الرحمن، الذي كان مرابطا خلال القرن التاسع الهجري(السادس عشر الميلادي)، وكان له ولد هو أحمد الذي شيد قلعة بني عباس، وأسس المملكة خلال القرن العاشر الهجري(السابع عشر الميلادي)، حيث نظم الجيش وفرض الضريبة، ووسع المملكة حتى بلغت تونس ووادي ريغ، وجنوبا

[1]- Ch. Féraud: op, cit, p200.

حتى ميزاب والأغواط، وقد عمرت هذه المملكة ثمانون عاما، حيث زالت بمقتل سيدي ناصر على يد بني عباس حسب اعتراف أحد علماء القلعة[1]، فإن صحت هذه الرواية فمعنى ذلك أن قرية بني عباس وجدت قبل أن يلجأ إليها سيدي عبد الرحمان جد أولاد مقران في أواخر القرن الخامس عشر، غير أنها لم تكن في المكان الذي بنيت عليه القلعة، ومن المحتمل أن لا يكون بعيدا عن القلعة، وهو من قام بتحويلها إلى قلعة منيعة مستغلا في ذلك موقعها الطبيعي الحصين.

وأما الرواية الثانية فترجع تأسيس القلعة إلى الحفصيين[2]، حيث تذكر أن الأميرين الحفصيين العباس وعبد الرحمان أبناء السلطان عبد العزيز الحفصي حاكم بجاية، اضطرا إلى الانسحاب إلى قلعة بني عباس عندما سقطت مدينة بجاية في أيدي الأسبان عام 1510، وقد أشار إلى ذلك المؤرخان الأسبانيان مرمول(Marmol)[3] وهايدو عندما ذكرا أن ملك بجاية فر مع حاشيته وأمواله والتجأ إلى الجبال المجاورة للمدينة،[4] ويتفق معهما في هذا الرأي الرحالة المغربيالحسن الوزان الذي نفهم من كلامه أن الأسبان تمكنوا

---

[1] - محمد بن الحسين الورثيلاني: المصدر نفسه، ص8.

[2] - بني حفص: ينحدرون من الشيخ أبي حفص عمر بن يحي الهنتاتي، زعيم قبيلة هنتاتة البربرية بأعالي جبال الأطلس بالمغرب الأقصى، ينسبه المؤرخون على عمر بن الخطاب(ض)، وكان صاحبا أمينا ومخلصا للمهدي بن تومرت كما كان شديد الإخلاص للخليفة عبد المؤمن الموحدي.

ألفريد بيل: **الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي من الفتح العربي حتى اليوم**، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1981، ص297.

لمزيد من المعلومات حول بني حفص أنظر: ابن أبي دينار: **المؤنس في أخبار افريقية وتونس**، ط1، تونس، 1286ه، ص168 وما يليها.

وكذلك: محمد العروسي المطوي: **السلطنة الحفصية تاريخها السياسي ودورها في المغرب الإسلامي**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1986.

[3]- Louis Del.Marmol Y Carvajal : op, cit, P345.

[4]- Haedo : Idem, p356.

من احتلال بجاية بكل سهولة ومن دون مقاومة تذكر من قبل السكان، وذكر أيضا أن حكامها فروا إلى الجبال المجاورة مع أول ظهور للأسبان بها،[1] وهو عكس ما ذكره فيرو نقلا عن المرين حيث أشار إلى حالة الفرار الجماعي لسكان مدينة بجاية، لكنهم كانوا من النساء والأطفال والمسنين غير القادرين على حمل السلاح، لجأوا إلى الجبال المجاورة بعد أن تأكدوا من استحالة التغلب على الأسبان، بينما استمر جيش السلطان عبد العزيز بقيادة ولديه(العباس وعبد الرحمان) في الدفاع عن المدينة حتى تمكن الإسبان من احتلالها، فاضطروا إلى الانسحاب إلى الجبال المجاورة فاستقروا في بداية الأمر بمنطقة "بني جبار" على يمين وادي الصومام (نحو 24 كلم عن بجاية)، وخوفا من أن يلحق بهم الأعداء التجئوا إلى موقع حصين بأعالي جبال الونوغة[2]، ويذكر الكاتب نفسه أن الأمير عبد الرحمان ابن السلطان عبد العزيز الحفصي فقد كل عائلته في تلك المعركة، ويرجع سبب تمكن الاسبان من احتلال المدينة إلى غياب السلطان عبد العزيز عن عاصمة حكمه، حيث كان متواجدا في قسنطينة بعد أن استولى عليها عقب انتصاره على أخيه أبي بكر الذي كان يسعى إلى توسيع مملكته على حساب مملكة أخيه ببجاية، كما أن تلك الحرب بين الأخوين ساهمت في إضعاف جيش سلطان بجاية وتشتيته[3].

أما الباحث الفرنسي لويس رين فيذكر أن الأمير عبد الرحمان غادر جبل عياض [4] واتجه إلى جبال البيبان فمكث في البداية بموقة ثم بالشواريخ ليستقر في النهاية بقلعة بني عباس[1].

---

[1]- Léon L'Africain: **Description de l'Afrique**, édition Epaulard, Paris, 1956. p360.

[2]- Ch.Féraud : op.cit, P256.

[3]- Ch. Féraud : Idem, p246.

[4] – أخذ تسميته عن قبيلة عياض التي استقرت به مع الزحف الهلالي، وبمرور الزمن شاعت تسميته بالمعاضيد، وأصبح سكانه أيضا يعرفون بالمعاضيد. أنظر، موسى لقبال : المرجع نفسه، ص71، أنظر كذلك، ابن خلدون: المصدر نفسه، ص52.

يتبين لنا من خلال ما سبق أن قلعة بني عباس وجدت قبل أن يلتجأ إليها الأمراء الحفصيين في عام 1510، وهذا ما نستشفه مما جاء في مخطوط المريني الذي يذكر أن الأميرين الحفصيينالعباس وعبد الرحمان ومن معهما لم يجدوا في القلعة ملاذا وملجأ فقط وإنما وجدوا حلفاء أيضا [2] ولا يزال قدماء سكان القلعة حسب الباحث بن أوجيت يذكرون أنه كانت توجد قلعة قديمة بالمنطقة قبل تأسيس قلعة بني عباس، فإن صحت أقوالهم فإنه من المؤكد أن المنطقة كانت آهلة بالسكان قبل مجيء الأميرين الحفصيين إليها([3]) وهذا دليل على أن المنطقة كانت عامرة بالسكان وربما كانت عبارة عن قرية تقع بالقرب من القلعة الحالية، زالت آثارها بمرور الزمن.

3- قيام إمارة أولاد مقران بقلعة بني عباس :

لم يرد ذكر إمارة بني عباس في كتب الجغرافيين العرب كالبكري واليعقوبي والإدريسي، وحتى ليون الإفريقي الذي عاصر فترة تأسيس هذه الإمارة لم يشر إليها إطلاقا، ويعتبر المريني المؤرخ الوحيد الذي أشار إلى القلعة على الرغم من أنه ذكرها بقلعة الونوغة فهل هي قلعة بني عباس كما يذهب إليه ابن أوجيتإلى القول؟[4]، أم يقصد بها قلعة بني حماد كما يذكر إسماعيل العربي[5].

ومهما يكن من أمر فإن تاريخ أسرة أولاد مقران يبدأ في أواخر القرن الخامس عشر وأوائل القرن السادس عشر حسب ما ذكر فيرو حيث ارتبط تأسيس إمارة أولاد مقران بقلعة بني عباس بأسرة ابن القاضي التي تنتسب إلى مؤسسها الشيخ عمر بن القاضيالذي التجأ هو الآخر إلى جبال جرجرة في أواخر القرن الخامس عشر، قادما من

---

[1]- Louis Rinn : op, cit, p71.
[2]- Ch.Féraud: op.cit, P258.
[3]- Ben Oudjit; op, cit, p63.
[4]- Youssef Ben Oudjit: op.cit, p108.
[5] - اسماعيل العربي: **دولة بني حماد ملوك القلعة وبجاية**، ش.و.ن.ت، الجزائر، 1980، ص136.

المغرب الأقصى[1]، وهو ينحدر أيضا من الأشراف الأدارسة، حيث استطاع بنفوذه الديني أن يوحد سكان جرجرة، الذين مزقتهم الحروب والتطاحن، ويؤسس مملكة بجبل كوكو عرفت باسمه[2] وأقام بها زاوية للتعليم، فالتحق سيدي عبد الرحمن جد أولاد أمقران- الذي قدم هو أيضا إلى المنطقة من المغرب الأقصى كما سبقت الإشارة إلى ذلك- بهذه الزاوية لمزاولة دروسه وقد لاحظ فيه شيخه عمر بن القاضي ذكاء منقطع النظير، وتبحر في العلم، وصفات فاضلة، وقد حملت تلك الصفات الناس على الإعجاب به وتقديره واحترامه، مما جعل شيخه يغار منه ويحسده، خوفا على مكانته ونفوذه في وسط السكان، فبدأ يدبر له المكائد ويخطط للتخلص منه، حسب ما يذكر فيرو، ولما علم الشيخ عبد الرحمن من أحد زملائه في الزاوية بما يكن له شيخه عمر ابن القاضي من حقد وغيرة، قرر مغادرة الزاوية، فلجأ إلى منطقة بني عباس، وكان عمر بن القاضي يعتقد أنه لن يتمكن من اجتياز وادي الساحل بسبب غزارة مياهه، لكنه وصل إلى منطقة بني عباس حيث استقبله سكانها ورحبوا بقدومه فاستقر بينهم، وأول عمل قام به سيدي

---

[1] - ينتسب أسرة ابن القاضي إلى أبو العباس أحمد بن عبد الله الغبريني، كبير بجاية وقاضيها في عهد أبي البقاء الحفصي حاكم بجاية 711ه(1311م)، ذكره ابن خلدون انه من قبيلة غبرين وهي فرع من صنهاجة استقرت منذ القديم بأعالي نهر سباو، والقاضي أبو العباس الغبريني هو مؤلف كتاب **عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية**، تحقيق عادل نويهض، لجنة التأليف والترجمة والنشر، بيروت، 1969.

أنظر: ابن خلدون: المصدر نفسه، ص153.

أنظر كذلك: محمد بن علي شغيب: **أم الحواضر بين الماضي والحاضر، أو تاريخ مدينة قسنطينة**، الجزائر، 1980، ص83.

و: Said. Boulifa : **le Djurdjura à travers l'histoire depuis l'antiquité jusqu'à 1830**, Alger, 1925, p 117.

[2]- Adrien.Berbrugger: op, cit, p68.

أنظر كذلك:

Tahar Oussedik: **le Royaume de Koukou**, E.N.A.L, Alger, 1986.

عبد الرحمان هو بناء زاوية لتعليم السكان بمكان يسمى ثقرابت وهي تعني القرابة (الكوخ).[1]

وفي منطقة بني عباس تبدأ قصة الشيخ عبد الرحمان مع السكان، الذين التفوا حوله حين التمسوا فيه التدين والتقوى والنسب الشريف، و كانت سمعته الطيبة تزداد في أوساط السكان الذين وطد علاقته بهم وتمكن من كسب ودهم تمهيدا لتأسيس مملكته حسب ما يذكر فيرو.[2]

وكان سكان منطقة القبائل(زواوة) كما يذكر سعيد بوليفة يشعرون بشرف كبير واعتزاز عندما يكون بينهم مرابط، لأن ذلك يعني توفر الأمن والاستقرار، ويعد بمستقبل جيد للقبيلة، كما يوفر لها الحماية الكافية وتنزل بها البركة، فضلا عن الاحترام الكبير الذي يجلبه هذا المرابط للقبيلة من طرف السكان والقبائل المجاورة لها.[3]

ويؤكد ذلك أيضا أبو القاسم سعد الله حيث يقول« أن للمرابطين كرامات جعلت الناس يعتقدون فيهم ويطلبون بقاءهم بينهم وكانوا حريصين أيضا على مصاهرتهم والالتفاف حولهم للاهتداء بهم في شؤونهم الدينية وكانوا يلجأ ون إليهم في حل خلافاتهم ونزاعاتهم» [4] ويبدو أن الشيخ عبد الرحمان طاب له المقام بين سكان بني عباس فقرر الاستقرار بينهم.

وكان من عادة أمراء كوكو استغلال قبائل المنطقة والاستبداد بهم، وكانت قبيلة بني عباس إحدى ضحايا الظلم والجور الذي كانت قبائل زواوة تمارسه في ظل حكم

---

[1] - تعرف عند سكان القلعة" بثاقرابت"، وهو المكان الذي يوجد فيه ضريح سيدي عبد الرحمان وتقع في وسط القلعة، أنظر الملحق رقم: 7.

[2]- Ch. Féraud : Ibid, p205.

[3] - أبو القاسم سعد الله: **تاريخ العدواني**، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 1996، ص148.

[4]- S. Boulifa: op. cit, p194.

أمراء ابن القاضي حسب ما يذكر فيرو، ومن بين عادات رجال ابن القاضي التقليدية أنهم كانوا يسخرون سكان بني عباس في السوق الأسبوعي الذي كان يعقد كل يوم أربعاء بمنطقتهم وكان هذا السوق من أكبر الأسواق في المنطقة يأتيه السكان من كل النواحي، وفي هذا السوق كان رجال ابن القاضي يجبرون أربعمائة فرد من بني عباس(400) بأن يقوم كل رجلين منهم بحمل عمود من الخشب على الأكتاف ثم تعلق عليه الشاة بعد ذبحها و سلخها وتعرض للبيع وهم على تلك الحال طوال اليوم، وذلك دون مقابل ومن دون أن يعترض هؤلاء على ذلك، وفي أحد الأيام حضر الشيخ سيدي عبد الرحمن إلى تلك السوق وشاهد هذا السلوك المهين والمذل من رجال كوكو اتجاه بني عباس، فاستاء كثيرا منهم وتقدم من الشيخ المسئول عن السوق ووبخه وطلب منه الكف عن الإساءة [1] لأشخاص مثله، فرد عليه صاحب السوق قائلا: «أن الأمر لا يعنيك وأن هذه عادة قديمة لست أنت من يغيرها »، فاغتاظ سيدي عبد الرحمن من هذا الرد الذي لم يكن ينتظره، وعزم على القيام بعمل ما يمكنه من تخليص هؤلاء التعساء من عبوديتهم، فدعى شيوخهم للاجتماع به في مساء ذلك اليوم وقال لهم لماذا يفعلون بكم هذا ومنذ متى؟ ولما أنتم خاضعين لهم؟ فأجابوه بأن رجال ابن القاضي يملكون من القوة ما لا قبل لهم بمواجهتهم، ولا يوجد من يمنعهم عنهم ويحميهم من ظلمهم وبطشهم[2] حينئذ قال لهم الشيخ عبد الرحمان ما أنتم فاعلون إن خلصتكم من ظلم قبائل كوكو؟ فأجابوه بأنهم يعاهدونه على الطاعة والولاء والخضوع له ودفع المغرم له ولأبناءه من بعده، بعد ذلك وضع الشيخ خطة محكمة التنظيم وقرر تخليص بني عباس من استبداد رجال ابن القاضي، وفي يوم السوق الموالي ذهب الشيخ مع رجال من بني عباس وتظاهروا بأنهم جاؤوا للتسوق كعادتهم، لكنهم هذه المرة كانوا مسلحين، ورافقتهم قوة أخرى اختفت قرب

---

[1] - لايزال أولاد مقران يذكرون هذا السوق سوق الباطل

[2]-Ch. Féraud: op, cit, p205.

مكان السوق في انتظار الإشارة من الشيخ عبد الرحمان، الذي قتل صاحب السوق عند أول لقاء له معه وأعطى الإشارة لأصحابه فانهالوا ضربا على رجال ابن القاضي الذين فوجئوا بالهجوم [1] الشرس لبني عباس، فمات كثير منهم ولم ينجو بالفرار إلا القليل فلاحقهم بني عباس حتى الضفة اليسرى من وادي الساحل، ومنذ هذه الحادثة أصبح وادي الساحل يشكل حدا فاصلا بين، بني عباس وكوكو،[2] وبدأ العداء التقليدي بين بني عباس وإمارة كوكو واستمر هذا العداء طوال الفترة العثمانية حسب مرمول[3] وهايدو[4] والراشدي[5].

ويدعم صحة هذه الرواية أحمد ساحي معتمدا على وثيقة يعود تاريخها إلى فترة قيام إمارة كوكو ومجيء الأتراك إلى الجزائر، حيث يقول صاحب الوثيقة: «السلطان في ذلك العصر هو المسمى سيدي عمر بن القاضي، وهو يتحكم في بلاد الزواوي كلها وكان حكمه قاهرا جدا، ومن عادة هذا السلطان أن يحمل البغال والحمير من عرشنا في وقت الصيف لنقل زرعه والخدمة عليه، ومن عادته أن يأتي هو وجنوده إلى سوقنا المسمى بالخميس في ذلك الوقت والآن يسمى بالأحد، يلزم العرش بالضيافة تصل إليه في ذلك المحل مع العلف الكثير لخيل جيشه»[6].

وبعد أن تمكن بنو عباس من التحرر حان وقت وفاءهم بما عاهدوا به الشيخ عبد الرحمان فأعلنوا منذ ذلك الحين خضوعهم له واعترفوا به سلطانا أو أميرا عليهم،

---

[1]- Ch.Féraud : op, cit, p206.
[2]-Ibid, P207.
[3] - L.Marmol: op, cit, p425.
[4]- F.D. de Haedo : **Topographie et histoire générale d'Alger**, traduit de l'espagnol par Monereau et A Berbrugger, édition Bouchène, Paris, 1998, p 163.

[5] – أحمد بن محمد بن علي بن سحنون الراشدي: **الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني**، تحقيق وتقديم، المهدي البوعبدلي، الجزائر، 1973، ص17.

[6] – أحمد ساحي: **من أعلام زواوة**، مطبعة الثورة الافريقية، (د. ت)، ص14.

وأصبحوا يدفعون له المغرم، ومن الطبيعي أن يدفع ذلك أمير كوكو ورجاله إلى الانتقام والثأر من بني عباس، والعمل على إرجاعهم إلى سلطتهم كما كانوا من قبل[1].

وقد غيرت ثورة بني عباس ضد إمارة كوكو مجرى تاريخ بني عباس الذين عانوا من استبدادهم، وشكلت الإنطلاقة الفعلية لمكانتهم ونفوذهم في المنطقة، وازدادت شهرة الشيخ سيدي عبد الرحمان والتف الناس وتوافد على زاويته العديد من الطلبة [2]، على عكس أمير كوكو الشيخ عمر بن القاضي الذي كان سيئ السمعة في وسط سكان زواوة كما يذكر بوليفة[3] بسبب استبداده.

وبعد ذلك بقليل توفي الشيخ سيدي عبد الرحمان في حوالي عام1500 تاركا لإبنه أحمد الذي خلفه في حكم الإمارة مكانة وسمعة كبيرة في وسط سكان المنطقة، ودفن كما أوصى بالقرابة، وأصبح ضريحه مزارا للسكان[4].

وقد ترك الشيخ سيدي عبد الرحمان لابنه سيدي أحمد الذي خلفه في الإمارة سمعة طيبة وشهرة ونفوذ ديني كبيرين في وسط سكان المنطقة.

و يذكر فيرو- معتمدا على الرواية الشفوية التي جمعها من أفواه سكان القلعة- أن إمارة بني عباس ارتقت إلى درجة كبيرة من القوة والازدهار، في عهد السلطان سيدي أحمد بن عبد الرحمان الذي كان يتحلى بصفات فاضلة أكسبته شهرة كبيرة وسمعة طيبة في وسط السكان ساعدته على توسيع حدود الإمارة الصغيرة التي لم تكن تتعدى منطقة بني عباس، حيث خاض حروبا عديدة ضد أعدائه أمراء كوكو وحقق انتصارات باهرة عليهم، وحتى لا تكون إمارته هدفا سهلا لأعدائه أمراء كوكو قرر نقل مقر حكمه إلى

---

[1] - Tahar Oussedik: op, cit, p21.

[2] - Ch. Féraud : op, cit, p208.

[3] - زواوة هي قبيلة تقع جنوب شرق ثامقوت، بين قبيلة آيت جناد وآيت يجر، وهي من أكبر القبائل بمنطقة جرجرة، لكن التسمية أصبحت تطلق على كل منطقة القبائل الكبرى.

[4] - S.Boulifa: op. cit, p15.

مكان حصين، وبعد أن اهتدى إلى مكان يتوفر على الماء وشروط الدفاع، بمساعدة أحد الرعاة الذي كان يعرف المنطقة جيدا،[1] أمر ببناء القلعة، فوق قمة جبل بحيث لا يمكن الوصول إليها إلا عبر طريق ضيق وشديد الانحدار، وقد أدى ارتفاعها الكبير إلى تسميتها من طرف فيرو بعش النسر، كما أطلق عليها فايسات اسم القلعة الجوية، وأشار الشيخ عبد الكريم الفقون إلى إرتفاع القلعة وحصانتها في قوله:« وقد حكى لي أبو العباس الغبريني المذكور عن بعض تلامذة أبي مهدي عيسى بعد وفاته، وكان يدعى محمد العباس ومنزله في نواحي القلعة العباسية...، قال أبو العباس: فوجهنا من المحلة إليه فسرنا زمانا طويلا حتى أعيانا السير... »[2]، أما حمدان خوجة فقد قال عنها «وفيها(يقصد جبال القبائل) مدينة تدعى القلعة لا يتم الوصول إليها إلا بشق الأنفس»[3].

وقد اتخذ السلطان أحمد بن عبد الرحمان من القلعة عاصمة ومقرا لحكم الإمارة، وعندما توافد عليه السكان بكثرة قام بتشييد القصبة لإسكانهم بها وأسس زاوية لتعليم السكان، ورغم حصانة القلعة طبيعيا إلا أنه عزز من تحصينها بإحاطتها بسور كبير من الجهة المكشوفة التي توصل إلى القلعة [5]، لا تزال بعض آثار هذا السور بقلعة بني عباس إلى يومنا هذا.

وبعد أن استقر سيدي أحمد بالقلعة وكثر عدد أتباعه أعلن نفسه سلطانا على إمارة بني عباس، وبدأ يسعى إلى مد حدود الإمارة وتوسيعها، وقد تميز حكم سيدي

1- Ch. Féraud : op, cit, p209.

[2] - عبد الكريم الفقون: **منشور الهداية في كشف من ادعى العلم والولاية**، تقديم وتحقيق وتعليق سعد الله أبو القاسم، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1987، ص148.

[3]- حمدان خوجة: **المرآة**، تعريب وتقديم، محمد العربي الزبيري، ط2، ش. و. ن. ت، الجزائر، 1982، ص67.

[4] - حمدان خوجة: المصدر نفسه، ص68.

[5]- L. Rinn: op.it, p12.

أحمد بن عبد الرحمان بالعدل وتوفير الأمن والاستقرار والطمأنينة للسكان، فجاءته عائلات كثيرة من مختلف المناطق وادي الساحل وحتى من قلعة بني حماد للاستقرار بإمارته وأعلنت خضوعها وانضواءها تحت حكمه[1].

وقد أدرك السلطان أحمد منذ البداية تربص عدوه ابن القاضي ورجاله به، وسعيهم للقضاء عليه وعلى إمارته في المهد قبل أن تتمكن من تقوية نفسها، فكان حذرا محتاطا من مخططاتهم، وفي الوقت نفسه كان ابن القاضي حريصا على بناء قوة تمكنه من الثأر من بني عباس، فلم يكن يتوقف عن تحريض رجال زواوة ضد السلطان سيدي أحمد قائلا لهم إن لم نسرع بمهاجمة ابن عبد الرحمان فإنه سيهاجمنا في عقر دارنا ويستولي على إمارتنا. [2]

ولم يترك عمر بن القاضي أمير كوكو الفرصة لسلطان بني عباس في تحصين عاصمة حكمه وزحف بجيش كبير على القلعة لكنه مني بالهزيمة، أمام حصانة القلعة وقوة جيش السلطان أحمد بن عبد الرحمان الذي كان بقيادته، فانسحب عمر بن القاضي مع جيشه تاركا وراءه عدد كبير من الموتى والجرحىفكانت تلك أول مواجهة دموية بين بني عباس وإمارة كوكو[3].

وقد أدى هذا الهجوم الفاشل لأمير كوكو إلى تزايد قوة وشهرة بني عباس بينما كانت سمعة عمر بن القاضي تزداد سوءا بسبب استبداده وظلمه، حيث يخبرنا بوليفة أن أمراء كوكو كانوا يرتكبون المظالم في حق قبائل زواوة الأمر الذي لم يتقبله هؤلاء وكانوا يثورون ضدهم فقاموا بقتل الشيخ عمر بن القاضي وقتلوا الحسين بن أحمد بن القاضي فيما بعد بسبب استبداده أيضا[4].

---

[1]- Ch. Féraud: op, cit, p210.
[2]- - S. Boulifa: op, cit, p158.

أنظر كذلك: يحي بوعزيز: المرجع نفسه، ص44

[3]- Ch. Féraud: op, cit, P208.
[4]-S. Boulifa: op, cit, p 158.

وبعد مقتل عمر بن القاضي خلفه ابنه أحمد الذي عاصر مجيء الأتراك إلى الجزائر، وقد سار على نهج والده في عداءه لبني عباس [1] وقد أشار الورثيلاني في رحلته إلى عداء بني عباس وكوكو حيث ذكرأن الشيخ عبد الرحمان جد أولاد مقران كان مرابطا خلال القرن التاسع الهجري(السادس عشر الميلادي) ولقبه بالشريف، وذكر أيضا أن ابنه أحمد هو من بنى قلعة بني عباس، وأسس المملكة خلال القرن العاشر الهجري(السابع عشر الميلادي)، حيث نظم الجيش وفرض الضريبة وكان في حالة حرب مع إمارة كوكو، ووسع المملكة حتى بلغت تونس ووادي ريغ، وجنوبا حتى ميزاب و الأغواط، وقد عمرت هذه المملكة ثمانون سنة[2]، لكن فيرو يتعجب لقول الورثيلاني في أن نفوذ سلطنة بني عباس يكون قد وصل إلى تونس، ويذكر أن المصادر لم تذكر أن نفوذ أولاد مقران يكون قد وصل إلى تونس، و يتهم الورثيلاني بالتحيز إلى جانب الشيخ سيدي ناصر لأنه مثله من العلماء، وبعد جهود مضنية في تحصين القلعة وصراع كبير مع إمارة كوكو توفي السلطان سيدي أحمد بن عبد الرحمان في حوالي عام 1510م ودفن بالقرابة إلى جوار والده كما أوصى [3].

يتضح لنا مما سبق أن لتأسيس إمارة أولاد مقران بقلعة بني عباس علاقة وثيقة بإمارة كوكو إن صحت القصة التي أوردها لنا فيرو، فكيف سيكون موقف أمراءها من الوجود الأسباني في بجاية؟ وكيف سيكون موقفهم أيضا من الأتراك الذين تزامن مجيئهم إلى الجزائر مع ظهور إمارة بني عباس؟

---

[1]- Ch.Féraud: op.cit, P210.

[2]- الورثيلاني: المصدر نفسه، ص8.

[3]- Ch. Féraud: op,cit, P211.

4- علاقة إمارة بني عباس بالحامية الأسبانية ببجاية:

يذكر فيرو أنه بعد وفاة السلطان سيدي أحمد بن عبد الرحمان خلفه ابنه عبد العزيز الذي سيرتبط اسمه بمقاومته للأتراك والذي سيلعب الدور الأساسي في تاريخ أسرة أولاد مقران، ذلك أن حكمه جاء في فترة تميزت بكثرة الأحداث والتغيرات ليس في تاريخ الجزائر فحسب بل في حوض البحر المتوسط عامة وفي تاريخ المغرب العربي خاصة، ويبدو أن الأقدار شاءت لعبد العزيز أن يشهد أحداثا جساما في فترة حكمه الطويلة(حكم من حوالي 1510 إلى غاية وفاته عام 1559)، فقد شهد الاحتلال الأسباني لبجاية عام 1510، وعاصر مجيء الأتراك إلى الجزائر، ونهاية الحكم الحفصي بها وغيرها من الأحداث البارزة التي ميزت القرن السادس عشر الميلادي.

ويعتبر المؤرخون السلطان عبد العزيز من أبرز السلاطين الذين حكموا إمارة بني عباس، فكيف سيكون موقفه من تلك الأحداث البارزة التي ميزت عصره؟ لا سيما موقفه من الأسبان الذين احتلوا بجاية و لم يكونوا ليتوقفوا عند هذه المدينة لولا أن وجدوا مقاومة شرسة من طرف السكان، وما موقفه من الإخوة بربروس الذين ظهروا على مسرح الأحداث في حوض البحر الأبيض المتوسط والذين بدأ نجمهم يسطع مع مطلع القرن 16م.

لقد تميزت علاقة سلطنة بني عباس بالحامية الأسبانية ببجاية بالتحالف والتعاون في البداية، ثم انتهت بنقض التحالف و إعلان الحرب عليهم كما سنبينه فيما يلي.

أ- علاقة تحالف وتعاون:

منذ أن تمكن الأسبان من احتلال بجاية عام 1510م [1] كان الملك الأسباني فرديناند الكاثوليكي حريصا على إيجاد حليف قوي في المنطقة لحماية ظهر

---

[1] - كان الأسبان قد تمكنوا من احتلال وهران عام 1509.

الحامية الأسبانية بالمدينة من الداخل أو ما يسميه الكتاب الأوروبيين (L'arrière pays) وكذلك لضمان تموين مستمر لها فتوصل الملك، بعد مفاوضات إلى عقد تحالف عسكري مع سلطان قلعة بني عباس [1] في حوالي عام 1511 وقد نص ذلك التحالف على أن يعترف الملك الأسباني للسلطان عبد العزيز بحكم المناطق الداخلية باستثناء الموانئ الساحلية، والوقوف في وجه هجمات حاكم قسنطينة أبو بكر الحفصي الذي كان لا يزال يعمل جاهدا على استرجاع بجاية والاستيلاء عليها.[2]

كما نص التحالف المبرم أيضا على أن يدفع سلطان بني عباس إلى حاكم بجاية 3600 قيسة من القمح و100 قيسة من الشعير، و50 قيسة من الخروب وألف خروف و50 بقرة وعلاوة على ذلك يقوم سكان المنطقة المجاورة لمدينة بجاية التابعة لنفوذه بتزويد الحامية العسكرية بالمدينة بألف(1000) حمولة [3] من الخشب دون مقابل.[4]

غير أن السلطان عبد العزيز لم يلتزم بتلك الشروط فيما بعد الأمر الذي كان يدفع بجنود الحامية إلى غزو المناطق المجاورة من حين لآخر حين تشتد بهم الأزمة، وكانوا يصبون غضبهم على تلك المناطق، وذلك من خلال أعمال النهب والسلب والتقتيل، وكان بعضهم يضطر إلى مقايضة الأسلحة بالغذاء مع سكان تلك المناطق، وذلك بعد أن نفاذ مئونتهم وتأخر حكومتهم عن إمدادهم بالمئونة في الوقت المناسب.[5]

وقد أشار صاحب الغزوات إلى هذا التحالف لكنه لم يذكر اسم السلطان عبد العزيز كما لم يذكر اسم القبيلة، حيث يقول أنه في منتصف عام 1516 كتب عروج الذي كان مستقرا بمدينة الجزائر رسالة إلى أخيه خير الدين يخبره بالسير إلى شيخ

---

[1]-Ch. Féraud : op, cit, p211.

[2] - Y.Ben Oudjit: op, cit, p115.

[3] – لم توضح لنا المصادر نوع هذه الحمولة، أهي حمولة سفينة، أو غير ذلك.

[4]- Paul Wintzer : **Bougie, place fort Espagnol**, Paris, 1972, p204.

[5]- P. Wintzer: op, cit, P205.

قبيلة في الجبال المجاورة لبجاية هو جاسوس وعون للأسبان على المسلمين، يمدهم سنويا بمبلغ من المال قدره 10000 دوكة[1] إضافة إلى 1000 قيسة من القمح و1000 خروف و700 عجل و14 فرس مجهزة.[2]

وعلى الرغم من أن صاحب الغزوات لم يذكر لنا شيخ القبيلة بالاسم، كما لم يحدد لنا اسم القبيلة إلا أن ذلك الشيخ لم يكن غير سلطان بني عباس كما يؤكد ذلك بربروجر[3] ويؤيده كل من فيرو[4] ورين[5] و بوليفة[6] ومولود قايد الذي يذهب إلى القول أن سلطان تونس الحفصي كان يطمع في ضم الجهة الشرقية من المغرب الأوسط فتعاون مع الإخوة بربروس في البداية، ولكنه عندما أدرك أنهم يعملون لحساب السلطان العثماني انقلب عليهم وأخذ يحرض زعيم قلعة بني عباس ضدهم، فوجد استجابة منه وذلك لأن الأتراك تحالفوا مع أعدائه أمراء كوكو[7].

أما هايدو فيذكر أن ابن القاضي هو الذي كان متحالفا مع الأسبان، فسار إليه عروج من مدينة الجزائر في مطلع عام 1515 وتمكن من قتله وإخضاع الجزء الأكبر من مملكته[8]، ويبدو لنا أن الأمر قد اختلط على هايدو، حيث لم يفرق بين سلطان بني عباس وأمير كوكو، وبرجوعنا إلى ما ورد في كتاب **غزوات عروج وخير الدين** يتضح لنا أن

---

[1] - قدرها بربروجر ب 82600 فرنك، أنظر:

Berbrugger: op, cit, p59.

[2] - مجهول المؤلف: **غزوات عروج وخير الدين**، تصحيح وتعليق نور الدين عبد القادر، الجزائر، 1934، ص40.

3 - Berbrugger: op, cit, p60.

4-Féraud: op, cit, p211.
5-Rinn: op, cit, p13.
6-Boulifa: op, cit, p159.
7-Gaid: op, cit, p51.
8-Haedo: Ibid, p52.

الذي كان متحالفا مع الأسبان هو عبد العزيز سلطان بني عباس وليس ابن القاضي، حيث ذكر الكاتب نفسه في موضع آخر أن الناحية الشرقية من عمالة الجزائر كان يتقاسمها قارة حسن وابن القاضي، بينما كانت الناحية الغربية رافضة لطاعة خير الدين وهي المنطقة نفسها التي كانت تابعة لحكم سلطان بني عباس[1].

ومهما يكن من أمر فإن السلطان عبد العزيز يكون بلا شك قد استفاد كثيرا من تحالفه مع الإسبان الذين زودوه بكميات معتبرة من الأسلحة والذخيرة، كما أرسلوا له البنائين لمساعدته على بناء التحصينات بالقلعة حسب ما يذكر فيرو.[2]

وقد بذل الأسبان حسب ما يذكر هايدو كل جهودهم لمنع قيام أي تحالف بين زعيمي إمارتي بني عباس و كوكو ضدهم، وسعوا أيضا إلى تقسيم منطقة القبائل للقضاء على أية محاولة لمقاومتهم[3].

ويفسر بعض المؤرخين الأسباب التي دفعت بسلطان بني عباس إلى اللجوء إلى التحالف مع الأسبان ومقاومة الأتراك، بقيام الأتراك بالتحالف مع عدوه اللدود ابن القاضي أمير كوكو[4]، وربما يكون العداء والحرب التي كانت بين إمارتي كوكو وبني عباس المجاورتين وراء تحالف السلطان عبد العزيز مع الأسبان، خاصة إذا علمنا أن أمير كوكو طلب مساعدة الأتراك للقضاء على أعداءه بني عباس، فقد يكون السلطان عبد

---

[1]- غزوات عروج وخير الدين: المصدر نفسه، ص56.

[2]- Féraud: op, cit, p214.

[3]- Haedo: op, cit, p53.

أنظر كذلك:

Berbrugger: op, cit, p60.

[4]- Rinn: op, cit, p11.

أنظر كذلك:

E. Mercier: **Histoire de l'Afrique septentrionale depuis les temps les plus reculés jusqu'à la conquête Française (1830)**, T2, Ernest Leroux éditeur, Paris, 1888, p424.

العزيز هدف من وراء هذا التحالف إلى توسيع مملكته وتحقيق التفوق العسكري على عدوه ابن القاضي.

من خلال ما سبق يتضح لنا أن سلطان بني عباس استفاد من تحالفه مع الأسبان في تقوية جيشه وتحصين القلعة عاصمة حكمه، فتفوق على عدوه ابن القاضي، كما يتبين لنا أيضا أن تحالفه مع الحامية الأسبانية ببجاية، لم يكن إلا تحالفا ظرفيا فقط، وهذا ما سنوضحه فيما يلي.

ب- علاقة حرب وتصادم:

إن قدوم الإخوة بربروس إلى الجزائر في مطلع القرن السادس عشر سيكون له الأثر العميق ليس على علاقة سلطان بني عباس بالأسبان المتواجدين في بجاية فقط، بل سيؤثر ذلك حتى على علاقته بأمراء كوكو آل ابن القاضي، ذلك أنه عندما تلقى خير الدين - الذي كان قد اتخذ من مدينة جيجل قاعدة له بعد تونس، ينطلق منها في جهاده البحري في الحوض الغربي من البحر المتوسط- رسالة أخيه عروج حول شيخ القبيلة المتحالف مع الأسبان عزم على الخروج للقضاء عليه، فكانت المواجهة بجبال بني خيار قرب جيجل، أين تمكن خير الدين من إخضاع السلطان عبد العزيز، الذي اضطر إلى الخضوع له عندما أدرك استحالة التغلب على خير الدين وجيشه، [1] ولكننا نتساءل عن السهولة التي تمكن بها خير الدين من إخضاع سلطان بني عباس رغم قوة جيشه وشدة بأس جنوده، ذلك أن المؤرخين المعاصرين لم يزودونا بتفاصيل أدق عن هذه المواجهة، ما يجعلنا نعتقد أنه كان للتفوق العسكري لجيش خير الدين دورا بارزا في جعل السلطان

---

[1]- Berbrugger: op, cit, p60.
Ch. Féraud: op, cit, p213. أنظر كذلك،

عبد العزيز يختار الخضوع له بدلا من الدخول معه في مواجهة غير مضمونة النتائج، كما أشار إلى ذلك بربروجر الذي يرجع سر نجاح الأتراك في بسط نفوذهم على الإيالة إلى تفوقهم العسكري على الأهالي، حيث يقول:« كان الفرق شاسعا بين عتاد الأهالي والأتراك، بينما كان الأتراك يقاتلون باستعمال البنادق و المدافع كان الأهالي يواجهونهم على طريقة القرون الوسطى بالسهام والنبال فضلا عن تفوق الأتراك في التخطيط الحربي».[1]

وبعد خضوعه تعهد السلطان عبد العزيز لخير الدين بفسخ تحالفه مع الأسبان حسب ما يذكر صاحب الغزوات « فضرب عليه خير الدين بجماعة الغزاة إلى أن تمكن منه، فلما رأى الخبيث أنه حاصل في قبضته وأنه لا خلاص من يده صالحه على العدد الذي كان يعطيه للنصارى وجعله لخير الدين فرضي منه بذلك وأعلم أخاه عروجا ما قرره على الخبيث الخائن ثم ركب في أجفانه وقدم على أخيه بالجزائر..».[2]

ولكي يعبر السلطان عبد العزيز للأتراك على صدق نواياه، و إزالة شكوكهم اتجاهه، فيما يتعلق بفسخ تحالفه مع الأسبان فقد شارك بنفسه على رأس جيش كبير لم تذكر لنا المصادر عدده، إلى جانب خير الدين في محاولته لتحرير بجاية من المحتلين الأسبان عام 1515[3] فبرهن بذلك على وفاءه وإخلاصه لهم.

وبعد أن تمكن خيرالدين من إخضاع السلطان عبد العزيز تحول هذا الأخير من عدو إلى صديق وحليف له، وكان هذا السلطان حسب المصادر من أبرز سلاطين إمارة بني عباس حيث يصفه مرمول «بأنه من أشجع وأقوى الفرسان في الإيالة، وذكر

---

[1]- Berbrugger: op, cit, p46.

[2] – غزوات عروج وخير الدين: المصدر نفسه، ص30.

[3]- Haedo: op, cit, p356.

أنظر كذلك: عبد الرحمان الجيلالي: **تاريخ الجزائر العام**، ج3، ط7، د م ج ، الجزائر، 1994، ص261.

أن مملكته تمتد حتى المسيلة وأنه كان في صراع وحرب مع ابن القاضي زعيم إمارة كوكو المجاورة» [1] ويصفه هايدو كذلك بأنه كان قوي الشخصية وله تأثير كبير على السكان بالإضافة إلى مقاومته للأتراك مقاومة باسلة، دفاعا عن حريتة واستقلال مملكته، و يضيف هايدو في إشارة إلى تسامحه الديني أن الأسرى المسيحيين الذي كانوا يلتجئون إلى مملكته كانوا يمارسون طقوسهم الدينية بكل حرية وكان يترك لهم الحرية في اعتناق الإسلام أو البقاء على دينهم.[2]

ولا نتعجب من وصف هؤلاء للسلطان بتلك الأوصاف، فمرد ذلك للمقاومته الشرسة للأتراك، وربما لأنه كان متحالفا مع الأسبان، أما سعيد بوليفة فإنه يعترض على وصفه بالبطل ويعيب عليه تعاونه وتحالفه مع أعداء الدين والوطن الذين كانوا يحتلون بجاية ووهران وغيرها من المدن الساحلية، ويصفه بالعميل الذي أنقذ الحامية الأسبانية من موت جماعي محق بما كان مصدر تموين لها، وكان عليه أن يقاتل الأعداء الذين دنسوا مدينة بجاية وعاثوا فيها الفساد وقتلوا سكانها الذين أرغموا على الفرار، لكنه استجاب لإغراءات الأسبان الذين وعدوه بتمكينه من الجلوس على عرش بجاية، وطمع في مد نفوذه وسلطته.[3]

مما سبق يتضح لنا أن تحالف سلطان بني عباس مع الاسبان عاد عليه بالفائدة من خلال حصوله على الأسلحة، كما أن الاسبان بدورهم استفادوا أيضا من هذا التحالف بما كان السلطان يمدهم من المئونة والخشب.

---

[1]- Marmol: op, cit, p425
[2]- Haedo: op, cit, p356.
[3]- Boulifa: op, cit, p159.

5)- علاقة إمارة بني عباس بالحكام الأتراك:

أ- علاقة صراع وحرب:

لقد كان الأتراك حريصين منذ البداية على ربط علاقات طيبة مع القبائل والأسر النافذة، فعملوا على الارتباط بسلاطين إمارة بني عباس[1] وذلك يرجع إلى أهمية المنطقة التي كانوا يسيطرون عليها، حيث تقع المنطقة في نقطة الاتصال الوحيدة بين الشرق والغرب، وقد أدرك الأخوين خير الدين وعروج منذ البداية أيضا أن عدم إخضاع المناطق الداخلية سيظل عائقا كبيرا أمام تقدم مساعيهما في إرساء قاعدة لحكمهم بهذه البلاد، وأن عدم سيطرتهم على المنطقة التي كانت خاضعة لسلطنة بني عباس يفقد سلطتهما مقوما أساسيا يضمن لهما فرض نفوذهما على الإيالة.[2]

وفي أوائل عام 1516استنجد سكان مدينة الجزائر - الذين كانت تحكمهم قبيلة الثعالبة [3] بزعامة الشيخ سالم التومي- بعروج لتخليص مدينتهم من الحامية الأسبانية التي أقامت حصنا على إحدى الجزر المتواجدة قرب المدينة الجزائرحصن البينون (Le Pénon) [4] فاستجاب عروج لنداءهم وتوجه بنفسه على رأس جيش عن طريق البر، وأرسل في الوقت نفسه قوة أخرى عبر البحر إلى مدينة الجزائر [5] وعند وصوله شرع في

---

[1]- صالح فركوس: المرجع نفسه، ص288

[2]- Ernest.Mercier: op, cit, p424.

[3] - قبيلة الثعالبة: قبيلة عربية تنحدر من ثعلب بن علي بن بكر بن صغير من عبيد الله، لمزيد من التفاصيل راجع، ابن خلدون: المصدر نفسه، المجلد السادس، القسم الأول، ص126وما يليها.

[4] - يسمى أيضا برج الفنار وقد تمكن خير الدين من تحطيمه في يوم 16 ماي 1530

[5] - أحمد توفيق المدني: **محمد عثمان باشا داي الجزائر(1766-1791)**، م، و، ك، الجزائر، 1986، ص23- 24.

-أنظر كذلك: Haedio: op, cit, pp 52- 53.

قصف الحصن لعدة أيام لكن ضربات مدافعه لم تكن تصل إلى أهدافها، وقد أدى فشل عروج كما يذكر هايدو إلى تذمر سكان المدينة بما فيهم الشيخ سالم التومي واستياءهم وأظهروا ندمهم على استغاثتهم بالأتراك، وتسبب ذلك في وقوع مناوشات بينهم وبين الأتراك فكان تدخل عروج عنيفا حيث قام باغتيال الشيخ سالم التومي خنقا بينما كان في الحمام يتوضأ لصلاة الظهر[1] وأعلن نفسه ملكا على البلاد[2]، وعندما رأى سكان المدينة صرامته وشدة بأسه أعلنوا ولاءهم وخضوعهم لسلطته، وبعد مقتل عروج[3] عام 1517 على يد الأسبان في محاولته فتح تلمسان، فخلفه في حكم مدينة الجزائر أخاه خير الدين، وبعد ذلك أرسل هذا الأخير إلى السلطان العثماني رسالة مع هدايا معتبرة يطلب منه المساعدة، فجاء رد السلطان بالموافقة وأمده بنحو 2000جندي انكشاري وعدد من السفن الحربية، فأصبحت الجزائر منذ ذلك التاريخ تابعة رسميا إلى الدولة العثمانية.[4]

---

[1] - اختلفت الروايات حول مقتل سالم التومي بين من يذكر أنه قتل خنقا على يد عروج، ومن يقول أن عروج شنقه علانية، ورأي آخر يذكر أنه مات مسموما، أنظر: خليفة إبراهيم حماش: المرجع نفسه، ص27.

أنظر كذلك:

Corinne Chevalier : **Les trentes Années de l'Etat d'Alger, 1510- 1541,** O.P.U, Alger, 1986, p43.

[2]- Haedo : op, cit. p53.

[3]- يذكر بربروجر أن ابن القاضي (حليف الأتراك) انسحب بجيشه عائدا إلى بلاد القبائل متخليا عن عروج مما جعل خير الدين يتهمه بالتسبب في مقتله وسعى إلى الانتقام منه فساءت العلاقات بين الطرفين.

أنظر:

Berbrugger: op, cit, p61.

[4]- Haedo: op, cit, p53.

راجع كذلك: Henri Delmas de Grammont : op, cit, p59.

نلاحظ مما سبق أن الأتراك واجهوا مقاومة من قبل إمارة بني عباس، لكنهم تمكنوا من إخضاعها دون أن يحدث قتال بين الطرفين، كما أن الأتراك كانوا حريصين على الارتباط بإحدى الإمارتين لمساعدتهم على بسط سلطتهم بالمنطقة.

ب- علاقة تحالف وتعاون:

لا شك أن الأتراك أدركوا منذ البداية أهمية التحالف مع كل من زعيم إمارة كوكو وزعيم سلطنة بني عباس أو مع أحدهما على الأقل، وذلك نظرا لقوة نفوذ كل منهما وتأثيرهما على سكان المناطق التي كانت الخاضعة لهما [1]، ولأهمية تلك المنطقة التي ظلت تحتفظ باستقلالها وظل سكانها متمسكين بنمط حياتهم الخاص ورفضهم الخضوع للأتراك بالقوة[2]، ولذلك أسرع خير الدين بالخروج إلى سلطان بني عباس للقضاء عليه أو إخضاعه عندما جاءته رسالة عروج كما سبقت الإشارة إلى ذلك.

وعلى الرغم من قلة المعلومات المتعلقة بتحديد تاريخ ارتباط سلاطين بني عباس بالأتراك، لأن المصادر المعاصرة لتلك الفترة لم تشر إلى ذلك، فالمؤرخ الأسباني هايدو يرجع أول تحالف بين سلطان بني عباس والحكام الأتراك الى سنة 1529م، مستندا في ذلك إلى رسالة مؤرخة في نفس السنة بعث بها حاكم بجاية الأسباني إلى حكومته بمدريد يبلغها عن تحالف خطير جمع بين خير الدين وزعيم بني عباس وابن القاضي[3]، أما مواطنه مرمول فإنه يذهب إلى القول أن أول تحالف للأتراك بزعيم بني عباس كان في عام 1550م حيث دعم سلطان بني عباس الجيش التركي بقوة قادها

---

[1]- ناصر الدين سعيدوني، و المهدي البوعبدلي: **الجزائر في التاريخ (العهد العثماني)**، وزارة الثقافة والسياحة، م. و. ك. الجزائر، 1984، ص، 108

[2]- Abdeljelil Temimi: **Le Beylik de Constantine et Hadj Ahmed Bey (1830-1837)**, Tunis, 1978, p63.

[3]- Haedo: op, cit, p120.

بنفسه في عهد حسن باشا في حملته ضد المغرب [1]، ويؤيده بربروجر في هذا الرأي[2]، في حين يرجع شارل أندري جوليان تحالف الأتراك مع سلطان بني عباس إلى عام 1515 حيث يذكر أن خير الدين اضطر إلى طلب تحالف زعيم بني عباس، في محاولته الثالثة لتحرير بجاية بعد أن فشل عروج في انتزاعها في المحاولتين (الأولى عام 1512والثانية عام 1514) ويضيف أنه بالرغم من ذلك التحالف لم ينجح خير الدين في استرجاع المدينة [3].

غير أننا نستبعد قول هايدو لأن سلطان بني عباس- حسب بعض المؤرخين- شارك مع خير الدين في القضاء على ابن القاضي في عام 1527 بسبب انقلابه عليه[4] وتآمره مع حاكم تونس الحفصي[5]، بعد أن كان حليفه، كما نستبعد القول الذي ذهب إليه مرمول لأن التاريخ الذي ذكره بعيدا جدا عن الحقيقة، ونرجح قول جوليان على أن أول تحالف للأتراك مع بني عباس يعود إلى عام 1515 ويؤيد هذا الرأي عبد الرحمان الجيلالي ومولود قايد، وهي السنة التي خضع فيها هذا الزعيم للأتراك حسب صاحب غزوات عروج وخير الدين.

---

[1]- Marmol: op, cit, p425.

[2]-- Berbrugger: op, cit, p59.

[3]- Charles.André. Julien : **histoire de l'Afrique du nord**, T2, Paris, 1975, p 254.

[4] - يذكر بربروجر أن الخلاف بين خير الدين وابن القاضي بدأ بسبب مقتل عروج عام 1518م بتلمسان، حيث أتهم خير الدين ابن القاضي- الذي خرج مع عروج في حملته على تلمسان- بتخاذله في تقديم المساعدة لأخيه فيكون بذلك قد تسبب في مقتله، وبما أنه لا يزال في حاجة إلى تعاونه معه لم يظهر حقده وعداءه له، أنظر:

A.Berbrugger: op, cit, pp62-63

[5]- أنظر نص الرسالة التي بعث بها حاكم تونس الحسن الحفصي، إلى ابن القاضي يحرضه على الانقلاب ضد حليفه خير الدين، ويطلب منه التحالف معه لطرد الأتراك من الجزائر، في: غزوات عروج وخير الدين، ص40 وما يليها.

وتجدر الاشارة هنا إلى أن حاكم تونس الحفصي كان يتطلع إلى الاستيلاء على الجهة الشرقية من الجزائر، فزحف بقواته برا من ناحية الشرق حسب الاتفاق المبرم، و في نفس الوقت انقض حليفه ابن القاضي على الجيش التركي في منطقة من أشد المناطق وعورة بجبال فليسة في أعالي جرجرة، فوقع جيش خير الدين بين فكي كماشة الجيش التونسي من جهة وابن القاضي من جهة أخرى حيث أبيد الجيش التركي عن آخره([1])، الأمر الذي دفع بخير الدين إلى التراجع والانسحاب مع ما تبقي من أتباعه إلى تونس والعمل على جمع قوة جديدة للانتقام من المتآمرين عليه، وبعد الانتصار الذي حققه ابن القاضي على الأتراك قام بالزحف على مدينة الجزائر والاستيلاء عليها بسهولة عام 1519م، وبالرغم من أهمية هذا الحدث وخطورته إلا أن المصادر لم تشر اليه كما لم تحدد مدة احتلال المدينة ولا طريقة إدارتها في ظل حكم ابن القاضي، وقد اختلف المؤرخون والكتاب في تحديد مدة حكم هذا الأخير للجزائر العاصمة، فمنهم من قال أربع سنوات[2]ومنهم من قال سبع سنوات[3]، لكن من حسن حظ خير الدين كما يقول جون وولف أن أتباع ابن القاضي لم يكونوا مستعدين للاستيلاء على مدينة الجزائر، فبدلا من أن يحلوا محل الأتراك، قاموا بنهبها، وعاثوا فيها الفساد، مما أدى إلى سخط سكان الحضر والمهاجرين الأندلسيين منهم، وأتضح لهم جليا أن حكم الأتراك أرحم من رجال ابن القاضي.[4]

بعد انقلاب ابن القاضي على خير الدين لم يجد هذا الأخير من سبيل إلا اللجوء إلى عبد العزيز سلطان بني عباس فطلب التحالف معه في عام1527 للانتقام من

---

[1] - غزوات عروج وخير الدين: ص ص40-41.

[2] - أحمد توفيق المدني: المرجع نفسه، ص65.

[3] - لمزيد من التفاصيل راجع كذلك، **غزوات عروج وخير الدين**، ص، 44 وما يليها.
و كذلك: أحمد توفيق المدني: المرجع نفسه، ص25.

[4] - جون، ب، وولف: **الجزائر وأوروبا**، ترجمة وتعليق، أبو القاسم سعد الله، الجزائر، 1986، ص39.

ابن القاضي واسترجاع مدينة الجزائر، فدعمه السلطان عبد العزيز بجيش كبير فتمكن من الإيقاع بابن القاضي في موقعة ثنية بني عائشة [1] حيث قتل على يد أحد أتباعه مقابل مبلغ من المال دفعه له خير الدين[2]، وقد أشار صاحب الغزوات إلى مقتل ابن القاضي على يد خير الدين.[3]

وقد أشاد المؤرخون بالدور الفعال الذي لعبه السلطان عبد العزيز في تمكن خير الدين من استرجاع مدينة الجزائر والقضاء على ابن القاضي، ويذكرون أنه لولا مساعدته لما تمكن من تحقيق ذلك، حيث ضمن له سلامة وأمن الطريق الذي سلكه برا من جيجل إلى مدينة الجزائر[4].

وهكذا بدأ التحالف والتعاون بين خير الدين باشا الذي كان لا يزال لم يستقر بعد في حكمه للإيالة فقد مر بظروف صعبة، كادت أن تثني من عزيمته، تمثلت في مواجهة أعداء في الداخل متآمرين إما مع الأسبان كحاكم تلمسان أبو حمو الزياني أو مع الحفصيين بتونس كقائده حسن قارة وابن القاضي.

ويبدو أن هذا التحالف قد عاد على خير الدين بالفائدة، فقد استعان بسلطان بني عباس في حملاته التي انطلق منها من قاعدته جيجل وتمكن من إخضاع مدن القل

---

[1] – هي منطقة" الثنية" الواقعة إلى الشرق من الجزائر العاصمة.

[2] – يذكر بعض المؤرخين أن خير الدين وزع المال على رجال ابن القاضي على أن يأتوه برأسه و منح لقاتله ملغ 4000 دوكة. أنظر:

-Ernest.Mercier: **Histoire de Constantine**, Constantine, 1903, p190.

وكذلك: M.Gaid : **l'Algérie sous les turcs**, S.N.E.D Alger, 1974, p50.

[3]- غزوات عروج وخير الدين: المصدر نفسه، ص45.

[4] - E.Mercier: op, cit, p191.

عام1520 وعنابة (1521) وقسنطينة(1522)، و ذلك للاستفادة من قوة جيشه وشجاعته ومعرفته الجيدة لهذه المناطق.[1]

و حسب ما يذكر هايدو فقد دعم خير الدين تحالفه مع عبد العزيز سلطان بني عباس بمعاهدة عام 1529 وهي معاهدة تحالف وتعاون[2]، وبالرغم من سكوت المصادر عن محتوى تلك المعاهدة إلا أننا لا نستبعد أن يكون عبد العزيز قد حصل على اعتراف خير الدين به كسيد على المنطقة التي كان يحكمها، وخاصة بعد تخلصهما من عدوهما المشترك ابن القاضي وذلك مقابل تقديم يد المساعدة له عندما يحتاج إليها.

وقد استمرت علاقة الصداقة والود والتحالف بين عبد العزيز وخير الدين حتى مغادرة هذا الأخير إيالة الجزائر إلى استانبول بعد استدعاءه من طرف السلطان العثماني سليم الأول عام 1533 للإشراف على قيادة الأسطول العثماني برتبة قبودان باشا، فخلفه في حكم الإيالة مساعده حسن آغا [3] الذي حافظ على العلاقة الحسنة بينه وبين سلطان قلعة بني عباس حسب ما تذكر المصادر[4]، ولا شك أن البايلر باي الجديد قد أدرك أهمية التحالف مع هذا الزعيم بنفسه نتيجة ملازمته لخير الدين، ولمكانته في المنطقة.

---

[1]- Haedo: op, cit, p, 120.

أنظر كذلك:

M. Gaid: **Chronique des Beys de Constantine**, p19.

[2]- Berbrugger: op, cit, p78

[3] -يسميه المؤرخون قاهر شارل الخامس، وهو من أصل سرديني، جاء به رجال البحرية الجزائرية، ونشأ في حاشية خير الدين فلاحظ خصاله الحميدة، و إخلاصه ووفاءه، فاختاره خليفة له لثقته الكبيرة فيه. أنظر، مولاي بلحميسي: «غارة شارل الخامس على مدينة الجزائر»، **الأصالة**، العدد الثامن، جوان 1972، ص93.

[4]- Haedo: op. cit, p228

ويذكر مولود قايد- دون أن يشير إلى المصادر التي اعتمد عليها- أن البايلرباي حسن آغا اعترف بالسلطان عبد العزيز حاكما على المنطقة التي كانت تحت نفوذه، وذلك بعد تمكنه من صد حملة شارل الخامس على مدينة الجزائر عام 1541 [1]، وبالرغم من أن المصادر لم تشر إلى مشاركة سلطان بني عباس في صد تلك الحملة إلا أن مولود قايد يذكر أن عبد العزيز سلطان بني عباس شارك في صد تلك الحملة الشرسة [2] ويدعم هذا القول ما ذكره هايدو على أن أمير كوكو الحسين ابن القاضي الذي خلف أخاه أحمد ابن القاضي كان قد وعد الإمبراطور شارل الخامس بتقديم المساعدة له في مدينة الجزائر، ولكن انهزام هذا الأخير أدى إلى تقديمه تلك المساعدة في ميناء بجاية الذي انسحب إليه الملك شارل الخامس.[3]

وفي العام الموالي(1542) قرر البايلرباي حسن آغا معاقبة أمير كوكو الحسين ابن القاضي بسبب تآمره مع شارل الخامس، فطلب مساعدة السلطان عبد العزيز الذي دعمه بجيش، فتمكن من القبض عليه بعد هزيمته، لكن ابن القاضي طلب الأمان معلنا عن خضوعه وقبوله دفع الضريبة السنوية و مبلغ من المال وعدد من العجول والخرفان

---

[1] - حول تفاصيل حملة شارل الخامس(1541م) يراجع:

Haedo: op, cit, p228.

و :

Berbrugger: op, cit,47 et suivantes

وكذلك:

De Grammont : op, cit, p68 et suivantes.

[2]- M.Gaid: op, cit, p19.

[3]- Haedo : op.cit, p230.

- أنظر كذلك:

-A. Berbrugger: op, cit, p78.

كتعويض عن خسائر الحرب، ولكي يضمن للبايلرباي التزامه بالاتفاق سلمه ابنه أحمد رهينة لديه، فأعطاه الباشا الأمان.[1]

وبعد وفاة حسن آغا سنة 1544 خلفه بصفة مؤقتة الحاج بكير حتى قدم من استانبول حسن باشا ابن خير الدين الذي عينه السلطان بايلرباي إيالة الجزائر، فكيف سيكون موقفه من زعيم بني عباس؟ وهل ستستمر علاقة الود والتعاون بين الطرفين كما كانت من قبل؟ .

لقد استمرت علاقة الود والتحالف بين البايلرباي حسن باشا وعبد العزيز سلطان بني عباس، و قد تجلى ذلك في تحالف عبد العزيز مع حسن باشا الذي أرسل الجيش بقيادة حسن قورصو[2] للقضاء على سلطان فاس (مولاي محمد المهدي) بسبب قيامه بالاستيلاء على تلمسان [3] بعد أن خلع عنها حاكمها مولاي أحمد الذي نصبه حسن آغا عام 1544، فدعمه السلطان عبد العزيز بجيش قاده بنفسه يتألف من خمسة عشر ألف (15000) مقاتل، حسبما يذكر مرمول الذي أشار إلى القوة والشجاعة والكفاءة الكبيرة التي أظهرها السلطان عبد العزيز و جيشه، ويذكر أيضا أنه لولاه لما

---

[1] - Haedo : op.cit, p230.

- أنظر كذلك:

-Berbrugger: op, cit, p78.

[2] - أصله من كورسيكا، تقلد منصب الباشا بعد وفاة صالح رايس، وانتهى مصيره بقتله بسبب تمرده

[3] - حول تفاصيل هذه الحملة راجع:

-Marmol: op, cit, p 425.

أنظر أيضا:

وكذلك :

Haedo: op.cit, p231.

De Grammont : op, cit, p79 et suivantes.

تمكن الأتراك من التغلب على الجيش المغربي، وذلك رغم الخلاف الذي وقع بينه وبين القائد التركي حسن قورصو، وقد وقع ذلك الخلاف حسب نفس المصدر بسبب تخاذل القائد التركي حسن قورصو في النيل من الأمير مولاي عبد القادر ابن سلطان فاس رغم تمكنه منه، فوبخه السلطان عبد العزيز متهما إياه بالتواطؤ معه، فقام بقتله بنفسه وحمل رأسه إلى حسن باشا حيث علق عند باب عزون (أحد أبواب مدينة الجزائر) لعدة أيام،[1] وفي هذه الحملة تم للأتراك إخضاع تلمسان عاصمة بني زيان نهائيا إلى سلطتهم.

ويذكر فيرو أن عبد العزيز سلطان بني عباس عند عودته من تلك الحملة جلب معه نحو 200 فردا من قبيلة الحشم [2] العربية الساكنة بنواحي معسكر واتخذ منهم خدمه وحرسه الخاص وذلك بعد أن أنزلهم بسهل مجانة واقتطع لهم الأراضي وعمل على استقرارهم، وقد تزايد عددهم بمجانة وارتبطت بهم العديد من القبائل بسبب مهارتهم في الفرروسية وظلوا أوفياء للأسرة حتى تقلص مكانتها ونفوذها.[3]

ويذكر مرمول أن مشاركة سلطان بني عباس وجيشه إلى جانب الأتراك في الحملة السابقة سمحت لهم بالتعرف على قدرات جيشه وكفاءته في القتال، فبدأ تخوفهم وغيرهم

---

[1]- Rinn : op, cit., p10.
Carette: op, cit., p456.

أنظر كذلك:

[2] – الحشم هم فرقة خاصة ظهرت في تاهرت منذ عهد الإمام عبد الرحمان، فكانت حشمه، وكانت جزء من جند السلطان وهي بمثابة ما يعرف اليوم بالقوات الخاصة أو الحرس الجمهوري، وتشتهر باسم هاشم أيضا، وهي إحدى بلديات ولاية معسكر في الوقت الحالي.

أنظر: جودت عبد الكريم يوسف: المرجع نفسه، ص274.

[3]-.Féraud: op, cit, p219.

منه، وأحسوا أنه سيوجه هذه القوة ضدهم يوما ما، كما أن حسن باشا حسب نفس المصدر أصبح يخشى تزايد قوة ونفوذ هذا الزعيم على الحكم العثماني بالمنطقة التي أزداد عدد المتمردين بها، ففكر في التخلص منه وإخضاع إمارته، لكن استدعاءه من طرف السلطان العثماني إلى استانبول في عام 1551م حال دون ذلك.[1]

وبعد مغادرة حسن باشا الجزائر إلى استانبول خلفه في الحكم القرصان صالح رايس(1552-1556)، فكيف ستكون علاقة عبد العزيز سلطان بني عباس معه ؟ فهل سيسعى البايلرباي إلى التقرب منه قصد الاستفادة من نفوذه وقوته بالمنطقة؟ أم سينفذ ما لم يكمله سلفه حسن باشا والعمل على التخلص منه؟

ج- أولاد مقران بين السلم والحرب مع الأتراك: (1552م-1635م):

لقد تميزت المرحلة الأولى في علاقة الحكام الأتراك مع سلاطين إمارة بني عباس كما رأينا بالحرب والمواجهة في بداية الأمر، ثم بالتحالف والتعاون والود والصداقة فيما بعد، وأما فيما يتعلق بهذه المرحلة، فلم تكن فترة للحرب، كما لم تكن فترة للسلم أيضا لذا خصصت لها هذا العنوان وحددت لها هذه الفترة الزمنية.

زاوج الحكام الأتراك في تعاملهم مع سلاطين قلعة بني عباس بين أسلوبين: أسلوب التودد إليهم والتعامل معهم بالحسنى عندما يقتضي الأمر ذلك، وأسلوب المجابهة العسكرية والقوة من أجل إخضاعهم للسلطة المركزية.

وقد رأينا أن علاقة الطيبة بين الحكام الأتراك وسلاطين القلعة استمرت منذ التحالف الأول الذي جمع خير الدين بالسلطان عبد العزيز ضد عدوهما ابن القاضي، وعندما تسلم صالح رايس مقاليد السلطة في الإيالة كان يدرك جيدا مكانة وقوة عبد العزيز سلطان بني عباس، وبالتالي أهمية استمرار العلاقات الحسنة بينه وبين الأتراك.

---

[1]- Marmol: op.cit, p425.

وقد افتتح صالح رايس عهده بالقيام بحملة عسكرية ضد شيوخ تقرت وورقلة [1] ووادي سوف والأغواط [2] في بداية شهر أكتوبر من عام1552، وذلك بعد تمردهم ورفضهم دفع الضريبة السنوية التي كانوا قد تعهدوا بدفعها لخير الدين، وذلك يعني رفضهم الاعتراف بالسلطة التركية عليهم، معتقدين أن بعد المسافة سيمنع الأتراك من الخروج لإخضاعهم كما يذكر هايدو[3].

ونظرا- لصعوبة الحملة وخطورتها في الوقت نفسه، بسبب قساوة الطبيعة وبعد المسافة[4]، التي قدرها هايدو آنذاك بمسيرة اثنان وعشرون يوما- رأى صالح رايس أنه لا مناص من طلب مساعدة[5] وتحالف عبد العزيز سلطان بني عباس، فاستجاب عبد العزيز لطلبه، وخرج بنفسه على رأس جيش يتألف من 1600فارس و180 حامل بندقية من المشاة حسب مرمول[6]، في حين يذكر بربروجر أن عدد المشاة لم يكن يتعدى

---

[1] - كانت تقرت تحت حكم سلاطين بني جلاب، وكان يحكم ورقلة الإباضيين، لمزيد من المعلومات أنظر:

Ch.Féraud : « les ben Djellab sultans de Touggourt, notes historiques sur la province de Constantine », in **R.A**, n° : 27, 1882.

- أنظر كذلك: معاد عمراني: **أسرة بني جلاب في منطقة وادي ريغ من بداية القرن ال19م إلى سنة 1962**، مذكرة لنيل درجة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الأمير عبد القادر، 2002-2003م، ص، 41 ومايليها.

[2] - ناصر الدين سعيدوني: **ورقات جزائرية، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2000، ص، 104.

[3]- Haedo : op, cit, p27.

[4]- Rozet et Carette : **L'Algérie, Etat tripolitaine** édition, Bouslama, Tunis, 1980, p60.

[5] - ربما لثقته في إمكانيات هذا الزعيم في تحقيق النصر، ولا نستبعد أن يكون من بين أهداف صالح رايس التخلص منه بإقحامه في مغامرة في عمق الصحراء.

[6]- Marmol: op. cit, p425.

120مقاتل خصصهم السلطان عبد العزيز لجر المدافع التي حملها صالح رايس[1] أما دو غرامون فيحدد جيش عبد العزبز ب8000 مقاتل[2] ونفس العدد ذكره توفيق المدني[3].

وعلى الرغم من تطرق هايدو إلى هذه الحملة إلا أنه لم يشر الى مشاركة سلطان بني عباس فيها رغم أهميتها، الأمر الذي يجعلنا نتساءل عن سر سكوته.

بعد الاستعداد للحملة خرج صالح رايس على رأس الجيش بنفسه لإثارة الرعب في نفوس المتمردين، يذكر هايدو أن عدد هذا الجيش يتكون من 3000 مقاتل من المشاة(أتراك وأعلاج)، وألف فارس انكشاري من، مع مدفعين ثقيلين،[4] ونفس العدد أورده مرمول الذي يضيف إلى هذا العدد 8000 مقاتل من رجال المخزن، وأشار نفس المؤرخ إلى أن الفضل في إخضاع المتمردين يعود إلى كفاءة وشجاعة عبد العزيز وجيشه، الذي لولا مساعدته للحقت بالأتراك هزيمة حقيقية.[5]

وبعد تمكنه من إخضاع المتمردين يخبرنا هايدو أن صالح رايس عاد إلى الجزائر بعد أن ترك بتلك المنطقة حاميات عسكرية، محملا بغنائم كبيرة قدرها ب: 15 جملا محملا بالذهب و 5000 عبد أسود من كلا الجنسين[6] وقد تبدو هذه الأرقام للوهلة الأولى مبالغ فيها، إلا أن العجب سرعان ما يزول اذا عرفنا مدى ثراء شيوخ هذه المناطق، رغم كثرة سرد هذه الأقوال إلا أنه يرجح أن تكون مبالغا فيها وخاصة في تقدير قيمة تلك الغنائم، فإذا قدرنا أن حمولة كل جمل قنطار ونصف، (مع العلم أن الجمل يستطيع حمل ما وزنه قنطارين) من الذهب فمجموع الغنائم اثنان وعشرون قنطارا من الذهب وهو

---

[1]- Berbrugger: op, cit, p83.
[2]- Grammont: op, cit, p82.
[3]- أحمد توفيق المدني: **حرب الثلاثمائة عام بين الجزائر وإسبانيا1492-1792**، ش.و.ن.ت، الجزائر، بدون تاريخ، ص339.
[4]- Haédo: op, cit, p271.
[5]- Marmol: op, cit, p425.
[6]- Haédo: op, cit, p28.

أمر غير معقول في اعتقادنا، أما فيما يتصل بعدد الغنائم من العبيد فيبدو لنا معقـــولا، لمـــا اشتهرت به المنطقة بكثرة العبيد، حيث يخبرنا ابن سعيد المغربي أن واركلان (ورقلة) هـــي بلاد نخل وعبيد، ومنها تدخل العبيد إلى المغرب الأوسط وافريقية[1].

ومهما يكن من أمر فيبدو أن احتكاك صالح رايس شخصيا بالســـلطان عبـــد العزيـــز في هذه الحملة مكنه من التعرف أكثر على إمكانياته الحربية وربما يكون أيضا قد لاحظ فيـــه طموحا كبيرا في مد حدود منطقة نفوذه، فبدأ يتوجس منه خيفة فعزم على التخلص منـــه كما حدث مع حسن باشا من قبل.

عودة الخلاف بين صالح رايس وسلطان بني عباس:

اختلف المؤرخون في تحديد الأسباب الحقيقية لعودة الصراع والحرب بين البايلرباي صالح رايس وعبد العزيز سلطان بني عباس، فالمؤرخ الأسباني مرمول يخبرنا أن سبب نشوب الخلاف بين سلطان بني عباس وصالح رايس هو أن هذا الأخير خشي من تزايد نفوذ سلطان بني عباس وقوته، فخطط للتخلص منه، فقام باستدعائه إلى قصره بمدينة الجزائر بحجة مناقشة مسألة السلم بينهما و أنزله بقصر الجنينة، فلما علم قائده حسن قورصو بذلك أراد استغلال الفرصة في القضاء على خصمه، فكتب رسالة إلى صالح رايس يخبره فيها بأنه علم من مصادر أكيدة أن مضيفه السلطان عبد العزيز يقوم بتحريض سكان المنطقة على الثورة ضد الحكم التركي فقرر التخلص منه[2].

أما مبارك الميلي فيذكر أن نشوة الانتصار جعلت صالح رايس ينسى فضل عبد العزيز سلطان بني عباس فلم يعطه ما يستحق من الغنائم فأعلن الثورة عليه[3]، في حين

---

[1] – أبي الحسن بن موسى بن سعيد المغربي: **كتاب الجغرافيا**، تحقيق اسماعيل العربي، ط2، د م ج، الجزائر، 1982، ص137.

[2]- Mrmol: op, cit, p426.

[3]- Féraud: op, cit, p222.

يرى توفيق المدني أن أسباب الشقاق تتمثل في أن صالح رايس كان يرغب في إخضاع المنطقة التي كان يحكمها عبد العزيز، وفي الوقت نفسه كان عبد العزيز مصرا على استقلال منطقته فأدى ذلك التشدد في المواقف إلى الاصطدام مجددا بين الطرفين[1] وهو ما يؤكده سعيدوني مضيفا أن رفض البايلرباي لطلب عبد العزيز لمد نفوذ سلطنته، اعتبره هذا الأخير إهانة له وإجحافا في حقه فأعلن الثورة عليه[2].

ويذهب مولود قايد إلى القول أن السلطان عبد العزيز كان قد اتفق مع البايلرباي قبل القيام بحملة الجنوب على مد نفوذه على بسكرة والمسيلة جنوبا لكن البايلرباي رفض، وأضاف أنهما اختلفا أيضا حول تقسيم الغنائم التي غنموها من تلك الحملة.[3]

ويبدو لنا من خلال الآراء السابقة المختلفة حول الأسباب التي أدت إلى سوء العلاقات بين صالح رايس وسلطان بني عباس وبالتالي عودة الحرب والصراع بينهما، أن كل الأسباب التي ذكرت وجيهة وكفيلة بعودة الخلاف بين الطرفين، ذكرها مرمول فيما يتعلق برغبة صالح رايس في فرض سيادته المطلقة على كامل الإيالة، وربما زاد الاختلاف في تقسيم الغنائم من الشقاق والخلاف بين الطرفين، كما أننا لا نستبعد أن تكون للدسيسة والمؤامرة يد في سوء العلاقات بين صالح رايس و السلطان عبد العزيز، لأن القائد حسن قورصو لا يمكن أن ينسى خلافه مع سلطان بني عباس في الحملة التي قادها ضد المغرب، كما سبقت الإشارة إلى ذلك، فلا نشك في أنه هو من دفع البايلرباي إلى السعي للتخلص من زعيم بني عباس وهو في قبضته بقصره، لأنه ربما أدرك استحالة القضاء عليه في منطقته

ومن حسن حظ السلطان عبد العزيز أن أحد الرجال من عسكر زواوة[1] كان يعمل في قصر الجنينة أخبره بأن صالح رايس يريد اعتقاله و قتله فانسحب مسرعا هو

---

[1] - أحمد توفيق المدني: المرجع نفسه، ص339.

[2] - ناصر الدين سعيدوني: المرجع نفسه، ص 104.

[3]- Marmol: op. cit, p426.

ومن معه من الرجال، وفي طريقه اعترضت سبيله فرقة من جنود الإنكشارية محاولين القبض عليه لكنه تمكن من الفرار بعد قتالهم[2]، ويخبرنا هايدو أن الأتراك قاموا بتوزيع المال على رجال من زواوة لاغتيال السلطان عبد العزيز، لكن هؤلاء رفضوا العرض، و لم يكتفوا بالرفض فقط بل دافعوا عنه ضد الأتراك، وتمكن السلطان عبد العزيز من النجاة بفضل مساعدتهم، فالتحق بالقلعة معلنا الحرب على الأتراك.[3]

وفي بداية شتاء عام 1552م كما يذكر لنا مرمول خرج صالح رايس بنفسه على رأس جيش كبير للقضاء على عبد العزيز سلطان بني عباس، الذي جمع قواته وكان في انتظاره في منحدر جبل بوني[4] بعيدا عن القلعة أين جرت المعارك قتل خلالها أخيه الفضل، وألحق السلطان عبد العزيز وجيشه خسائر كبيرة في صفوف الجيش التركي مستفيدين من حصانة المنطقة ومعرفته بطبيعتها القاسية التي لم يتعود الأتراك على القتال فيها معتمدا على أسلوب حرب العصابات، وأمام صعوبة الموقف و تساقط الثلوج بكثافة، أدرك البايلرباي صالح رايس استحالة الاستمرار في القتال واقتحام القلعة، فأمر الجيش بالتراجع و الانسحاب من المنطقة دون أن يتمكن من إخضاع بني عباس[5] .

وكانت هذه أول مواجهة عسكرية بين عبد العزيز سلطان بني عباس والأتراك، حيث زادت هزيمة الأتراك من شهرة السلطان عبد العزيز لدى قبائل المنطقة، فجاءته تعرض عليه التحالف معه والانضواء تحت لوائه، وذلك عندما أدركت أنه الرجل الوحيد القادر

---

[1] - يذكر فيرو اعتمادا على رواية سكان بني عباس أن الأتراك قاموا بتوزيع المال على عسكر زواوة لاغتيال السلطان عبد العزيز، لكنهم رفضوا العرض وانضموا إلى جانبه ومكنوه من الفرار والعودة إلى القلعة، ثم تفرقوا في الجبال.

[2]- Marmol: op. cit, p426.

[3]- Haedo: op, cit, p272.

[4] - هو جبل يقع على بعد نحو 7 كلم جنوب غرب القلعة.

[5]- Marmol: op, cit, p426.

على مواجهة الأتراك كما يذكر مرمول،[1] ولكي يستمر في القتال عمل عبد العزيز على إعادة تنظيم أمور الإمارة وتدعيم الجيش، وقام بغزو عدة مناطق تابعة للحكم التركي، وتمكن من إخضاعها فازدادت إمارته قوة، [2] كما مد حدود إمارته حتى بلغت جبال البابور وخراطة شرقا، و مرتفعات الجرجرة شمالا و بلاد بسكرة جنوبا[3].

ويذهب بعض المؤرخين إلى القول أن شيوخ المنطقة من المرابطين استطاعوا إحداث تقارب وصلح بينه وبين عدوه ابن القاضي حيث اتفقا معا على محاربة الأتراك على أن يقوم السلطان عبد العزيز بحراسة منطقة البيبان ووادي الصومام فيما يقوم ابن القاضي بحراسة منطقة جرجرة[4]، ويذهب قداش إلى أبعد من ذلك حينما يذكر لنا أن عبد العزيز دعم ذلك التحالف مع ابن القاضي بزواجه من ابنته[5].

و لم يكتف السلطان عبد العزيز بإيجاد حلفاء جدد ومد نفوذ الإمارة بل عمل على تعزيز حصانة القلعة ببناء سور يحيط بها من الجهة الجنوبية حتى لا يتمكن الأتراك من الوصول إليها،[6] لا تزال آثار ذلك السور بمنطقة القلعة إلى يومنا هذا.

وفيما يتعلق بتنظيم سلطان بني عباس للجيش فقد قسمه إلى فرقتين كبيرتين، إحداهما كانت مستقرة بتازلة والأخرى بثالة[7] مزيطة، كما قام ببناء برجين مع اسطبلات لايواء الخيول، وجعل على رأس كل فرقة خليفة، بالإضافة إلى الوحدات العسكرية للمشاة موزعة على الجبال المحيطة بالقلعة، كجبال الجعافرة والبيبان، وكانت تلك الوحدات تقوم بالتحرك باستمرار لمراقبة المنطقة، كما كان الجيش يتكون أيضا من

---

[1]- Marmol: op, cit, p428.
[2]- Berbrugger: op, cit, p83.
[3]- M. Gaid: op, cit, p9.
[4]- Gaid: **les Berbères dans l'histoire**, p32.
[5]- M. Kaddache: op, cit, p53.
[6]- Ben Oudjit: op, cit, p245.
[7] – تعني "ثالة" في اللغة البربرية العين.

الخيالة(الفرسان) التي كان أساسها خيالة بني هاشم(الحشم)، وخيالة أولاد ماضي بالمسيلة.[1]

ويذكر هايدو أن السلطان عبد العزيز كان يقوم بتجنيد الأعلاج والمسيحيين الفارين من الأسر بدار السلطان بمدينة الجزائر، والجنود الأسبان الفارين من بجاية بعد حصارها ومقاطعة السكان لها، و يضيف نفس المؤرخ أنه كان يحسن استقبال اللاجئين إلى إمارته قصد الاستفادة منهم في جيشه،[2] وذلك من أجل الاستعداد لانتقام صالح رايس الذي لا يمكنه نسيان تلك الهزيمة في أول جولة له مع هذا السلطان.

وتذكر المصادر أن صالح رايس لم يستسلم لتلك الهزيمة، فأمر بتجهيز حملة ثانية ضد بني عباس في عام 1553م وأسند قيادتها هذه المرة لابنه محمد باي الذي سيتولى الحكم في الايالة فيما بين عامي 1567-1568، فخرج هذا الأخير على رأس جيش يتكون من 1000 جندي إنكشاري من المقاتلين المشاة، و1500 فارس بالإضافة إلى 6000 صبائحي [3]، وعند وصوله إلى المنطقة خيم بجبل بوني على مقربة من القلعة، للاستعداد للهجوم، لكن السلطان عبد العزيز لم يكن على غفلة من أمره، حيث دبر خطة محكمة تمثلت في التظاهر بالانسحاب وأثناء الليل هاجم فجأة الجيش التركي فألحق به الهزيمة[4]، اضطر على إثرها محمد باي على الانسحاب مع ما تبقي معه من الجند، ويذكر مرمول أنه لولا الجنود العرب لأباد عبد العزيز الجيش كله.[5]

---

[1]- Féraud: op. cit, p222.
[2]- Haedo: op. cit, p279.

[3] – صبائحي: هي كلمة تركية (Sipahi) تعني الفارس، لمزيد من المعلومات يراجع: مجموعة من المؤلفين: **الموسوعة العسكرية**، ط3، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1990، ص ص 762 - 764.

[4]- Rinn: op. cit, p10.
[5]- Marmol: op. cit, p427.

ومن الملاحظ أن الكتاب الأوروبيين يحاولون الإنقاص من كفاءة وقدرة الجنود الأتراك، حيث نجدهم في كل معركة تقع بين الأتراك وبني عباس يذكرون أن الفضل في إنقاذ الجيش التركي يعود إلى المقاتلين العرب، وهو أمر قد يكون مجانبا للحقيقة لما عرف عن الانكشارية من الشجاعة والإقدام في المعارك.

لا شك أن تلك الهزيمة كان لها أثر شديد الوقع على صالح رايس الذي يبدو أنه كان مصرا على الانتقام من بني عباس على الرغم من الخسائر التي تكبدها جيشه في حملتين متواليتين، فأمر إرسال حملة أخرى عام 1554، اختار لقيادتها العلجين، سنان رايس ورمضان رايس وهما من أحسن قادته في الجيش، فأراد هذين القائدين مباغتة عبد العزيز، فغيرا هذه المرة طريقهما إلى قلعة بني عباس الحصينة، وذلك بسلوكهما طريق الجنوب عبر المسيلة لتجنب المواجهة مع القبائل التابعة له من جهة، ولتأديب القبائل المستعصية عن دفع الضرائب والخاضعة لسلطته من جهة أخرى، فكان عقاب الجيش التركي لتلك المناطق شديدا حسب ما تذكر المصادر، وقد جمع السلطان عبد العزيز جيشه وخرج للقاء الجيش التركي عندما علم بقدومه، ووقعت المعركة بوادي اللحم قرب المسيلة حيث أنزل السلطان عبد العزيز بالاتراك هزيمة نكراء، و لم ينج من جيشهم إلا القائدين سنان رايس ورمضان رايس اللذان تمكنا من الفرار، أما المقاتلين العرب الأحياء الذين كانوا في صفوف الجيش التركي فلم يتعرض لهم عبد العزيز بسوء قصد الاستفادة منهم وإدماجهم في صفوف جيشه، كما يذكر كل من مرمول وهايدو[1].

ومنذ عام 1553 فرض عبد العزيز على الأتراك دفع ضريبة العبور عبر مضيق البيبان التي استمر الحكام الأتراك في دفعها حتى نهاية حكمهم بالإيالة.[2]

---

[1]-Marmol: op. cit, p427.

[2]- Ibid, p427.

- أنظر كذلك: S.Boulifa: op. cit, pp160-161.

وفي عام 1555 نظم صالح رايس حملتين نجح في كليهما، الأولى ضد المغرب حيث تمكن من تنصيب حليفه على العرش في فاس بعد أن استنجد به، والثانية تمثلت في تمكنه من استرجاع بجاية من الأسبان [1] ويذكر مولود قايد مشاركة عبد العزيز في حملة تحرير بجاية الأسبان وذلك بعد أن لجأ طلب صالح رايس إلى من إخوان الطريقة القادرية طالبا منهم توجيه نداء إلى الجهاد إلى كافة القبائل، وكان سلطان بني عباس ممن لبوا النداء، ووحسب نفس الكاتب فقد كانت مساهمته في تحرير بجاية كبيرة رغم سكوت المصادر عن ذلك[2].

وقد أدرك زعيم بني عباس أن صالح رايس بعد تحريره لبجاية سوف يزداد غرورا وإصرارا على إخضاعه والانتقام منه كما ذكر مرمول، فعمل على تحصين القلعة وتقوية الجيش حيث قام باستقبال جنود الحامية الأسبانية بجاية الذين التجأوا إليه بعد حصارها من طرف صالح رايس، وكان عددهم حسب فيرو نحو 1000 جندي أسباني[3] ويذكر لنا كل من رين وبوليفة أن عبد العزيز كان يخطط للاستيلاء على بجاية عام 1557 لكنه عندما وصله خبر وفاة صالح رايس ومجيء حسن باشا ابن خير الدين للحكم عدل عن فكرة غزو بجاية، وذلك للصداقة القديمة التي كانت بينهما[4]، ولكننا نشك في أن تكون صداقة سلطان بني عباس مع حسن باشا سببا كافيا يجعل السلطان عبد العزيز يتراجع عن مشروعه، و لم تحدد لنا المصادر الأسباب الحقيقية التي دفعت عبد العزيز إلى الإمتناع عن الاستيلاء على بجاية.

---

[1]- Haedo: op. cit, pp279- 280.
[2]- M. Gaid : **l'Algérie sous les turcs**, p71.
[3]- Haedo: op. cit, p280
[4]- Rinn: op. cit, p11 .

وبعودة حسن باشا لحكم الإيالة للمرة الثانية 1557-1567 عادت العلاقات الودية بين عبد العزيز والأتراك[1]، حيث تذكر لنا المصادر أن السلطان عبد العزيز أرسل ابنه مع هدايا ثمينة إلى مدينة الجزائر لأداء واجب الترحيب والتهنئة للبايلرباي بمناسبة تنصيبه على رأس الإيالة، وذلك من أجل تجديد الصداقة والعلاقات الحسنة التي كانت تجمعهما [2]، ويذكر هايدو أن عبد العزيز لم ينس غدر البايلرباي السابق صالح رايس ومحاولته اغتياله، فلم يشأ أن يخاطر بحياته بالذهاب إلى مدينة الجزائر بنفسه، فلم يعد يثق في الأتراك[3].

وبالرغم من أن المؤرخ الأسباني مرمول كان من المعاصرين لتلك الأحداث إلا أنه لم يشر إلى أن عبد العزيز أرسل ابنه نيابة عنه للترحيب وتجديد صداقته بالبايلرباي حسن باشا، كما أننا لا نجد في تبرير هايدو سببا معقولا، فإذا كان هو قد خشي على نفسه غدر الأتراك كما يدعي هايدو، فكيف يرسل ابنه طالما لا يثق في الأتراك؟ وهل حياة ابنه ليست مهمة؟.

ويخبرنا نفس المؤرخ أن البايلرباي حسن باشا بادله بهدايا مماثلة، وسمح له باستخلاص الضرائب في منطقة المسيلة كما سمح لهو الاستفادة من المدافع الثلاثة التي تركها صالح رايس بنفس المنطقة أثناء عودته من حملة الجنوب عام 1552 [4] ويضيف رين أن سلطان بني عباس تلقى عدة رسائل من حسن باشا تنص على السماح له باستخلاص الضرائب بمنطقة المسيلة والاستفادة من المدافع التي تركها صالح رايس بالمنطقة[5].

غير أن تلك العلاقات الودية بين الطرفين لم تدم طويلا، فما لبث الخلاف أن عاد، وعادت معه الحرب والمواجهة من جديد.

---

[1]- Marmol: op. cit, p427.
[2]- Ibid, p428.
[3]- Haedo: op. cit, p352.
[4]- Marmol: op. cit, p427.
[5]- Rinn: op, cit, p13.

وقد اختلفت آراء المؤرخين والكتاب وتضاربت أقوالهم حول الأسباب الحقيقية التي أدت إلى سوء العلاقات بين البايلرباي حسن باشا وسلطان بني عباس، فالمؤرخ مرمول يذكر أن سبب عودة الخلاف يتمثل في قيام السلطان عبد العزيز بالإغارة على مناطق خاضعة لسلطة الأتراك، مما أثار غضب الباشا فأمر بتجهيز قوة عسكرية قادها بنفسه عام 1558 للانتقام منه وإخضاعه.[1]

أما هايدو فيخبرنا أن سبب سوء العلاقات بين زعيم بني عباس والبايلرباي حسن باشا يعود إلى امتناع السلطان عبد العزيز عن دفع الضريبة ورفضه الخضوع للباشا والاعتراف بحكمه، بالإضافة إلى قيامه بالإغارة على القبائل الخاضعة للأتراك، وقيامه أيضا بتحريض قبائل المنطقة وتشجيعها على الثورة والتمرد ضد الحكم التركي[2].

أما رين[3] ودو غرامون[4] فيذكران أن القائد التركي حسن قورصو وبعض شيوخ قبائل منطقة الحضنة وأمير كوكو ابن القاضي بعثوا برسالة إلى حسن باشا يخبروه فيها باستعدادات السلطان عبد العزيز لغزو بجاية والاستيلاء عليها فخرج بنفسه لقتاله.

ومهما يكن من اختلاف آراء المؤرخين حول أسباب عودة التوتر بين البايلرباي حسن باشا و السلطان عبد العزيز زعيم بني عباس، فإننا لا نستبعد أن تكون للدسيسة والمؤامرة في قصر البايلرباي دور فيها، كما أن ابن القاضي العدو التقليدي لبني عباس كان دائما يسعى لإفساد العلاقة الودية بين عبد العزيز و حسن باشا.

ويضيف هايدو أن عبد العزيز كان يحسن استقبال المسيحيين الأسرى الفارين من الأسر بمدينة الجزائر، الذين كانوا يلجأون إليه لحمايتهم مقابل الانضمام إلى جيشه، وكان يدفع لهم المال الكثير، وعندما يدخلون في الإسلام وكان يساعدهم على الاستقرار، وذلك

---

[1]- Marmol: op. cit, p428.
[2]- Haedo: op. cit, p357.
[3]-- Rinn: op. cit, p11.
[4]- De Grammont: op. cit, p, 93.

للاستفادة منهم في صراعه مع الأتراك، فأصبح يملك جيشا كبيرا، تمكن به من إلحاق الهزيمة بالجيش التركي في عدة مواجهات[1].

بعد ذلك الاعتداء من قبل سلطان بني عباس قرر حسن باشا الانتقام منه فخرج بنفسه على رأس جيش يتألف من ثلاثة آلاف جندي انكشاري من المشاة، وخمسمائة فارس، وفي الطريق التحق به 4000 من المقاتلين العرب حسب مرمول[2] و دعمه صهره وحليفه ابن القاضي[3]ب و6000 حامل بندقية و600 صبائحي، وتجدر الإشارة هنا إلى أن حسن باشا وعد عدد كبير من الأسرى المسيحيين بمنحهم الحرية إن هم اعتنقوا الإسلام وخرجوا معه لقتال زعيم بني عباس، حسب ما ذكر هايدو[4]، وعندما علم عبد العزيز بقدوم حسن باشا، نزل من القلعة حتى يبقيها بعيدة عن هدف الأتراك، وكان على رأس جيش يتكون من 10000 مقاتل من المشاة وأكثر من 6000 فارس، بالإضافة إلى 1000 حامل بندقية نصفهم من الأعلاج والنصف الآخر من المسيحيين، وتذكر المصادر أن الجيش التركي كان يقطع الأشجار المثمرة ويعتدي على سكان المنطقة حتى يستفز السلطان عبد العزيز ويدفعه إلى الخروج للقتال، غير أن هذا الأخير رفض الخروج واكتفى بمناوشة الأتراك من حين لآخر.[5]

وعند وصوله المنطقة خيم بمجانة وبنى بها برجا وترك به حامية عسكرية تتكون من 200 جندي، استجابة لطلب سكانها الذين اخبروه أنهم لن يدفعوا له الضريبة حتى يترك لهم حامية عسكرية لحمايتهم من هجمات اعتداء السلطان عبد العزيز عليهم، كما

---

[1]- Haedo: op. cit, p 358
[2]- Marmol: op. cit, p, 427.
[3]- De Grammont: op.cit, p92
[4]- Haedo: op. cit, p358.
[5]- Ibid, p356.

أنظر كذلك:

- L Rinn: op. cit, p11.

بنى برجا آخر بزمورة وترك به حامية أخرى تتكون من 200 جندي، بعد ذلك عاد حسن باشا إلى مدينة الجزائر دون أن يتمكن من اقتحام القلعة بسبب ضعف الجيش الذي رافقه، وفي طريقه لاحقه عبد العزيز وأخيه أحمد أمقران حتى برج حمزة فقتلوا نحو ثلاثمائة جندي.[1]

ولم يكد حسن باشا يصل إلى مدينة الجزائر حتى وصلته الأخبار أن عبد العزيز قضى على الحامية التي تركها بمجانة، والتي كانت بقيادة حسن قورصو وأسر عدد كبير من الأتراك واستولى على مدافعها،[2] وتفرقت حامية برج زمورة بالجبال المجاورة عندما علمت بقدوم عبد العزيز [3].

وقد أعقب تلك الحرب مدة سنة لم يحدث خلالها أي صراع بين السلطان عبد العزيز والأتراك، فارتأى حسن باشا أن يغير من أسلوب تعامله مع هذا السلطان وذلك بعد فشله في إخضاعه باستخدام القوة، كما يذكر هايدو [4] فحاول التقرب منه واستمالته بالحسنى فأرسل له الأموال والهدايا وأراد أن يدعم علاقته به عن طريق المصاهرة، فطلب ابنته للزواج، لكن اعتزاز عبد العزيز بنسبه الشريف كما يذكر بعض المؤرخين [5] جعله يرفض طلبه، لأنه خشي أن يتحول إلى تابع وخاضع للأتراك كما أنه كان يعتقد أن مصاهرة الباشا سيفقده استقلاله ويحد من طموحاته في توسيع حدود مملكته إلى أوسع مدى، [6] وقد ذكر رين اعتمادا على إحدى الروايات الشفوية أن السلطان عبد العزيز أجاب حسن باشا عندما طلب ابنته للزواج قائلا: « إن هذه البلاد ليست تركية حتى أناسبك»[7]، ولسنا ندري إن كانت هذه الرواية صحيحة أم هي من

---

[1]- Rinn: op. cit, p11.
[2]- Marmol: op. cit, p 427.
[3]-Berbrugger: op. cit, p83.
[4]- Haedo: op, cit, p374.
[5]- Berbrugger: op, cit, p66.
[6]-S. Boulifa: op. cit, p165.
[7]- Rinn: op. cit, p11.

اختراع رين الذي كان من كتاب الجيش الفرنسي في الجزائر ومن أشد المدافعين عن رسالة فرنسا الحضارية فيها، فلا نستبعد أن يكون هدفه الإساءة إلى الحكام الأتراك والحط من قيمتهم وذلك خدمة لأهداف استعمارية.

وبعد رفض السلطان عبد العزيز طلبه لجأ حسن باشا إلى عدوه ابن القاضي الذي زوجه ابنته وأصبح صهره وحليفه ضد عبد العزيز[1]، ولا شك أن عبد العزيز كان يتوقع انتقام الباشا منه عندما رفض مصاهرته، فكان مستعدا لمواجهته حيث جمع نحو أربعة آلاف مقاتل من المشاة، وخمسة آلاف فارس، وخيم بتازلة بالجبال الحصينة وأعطى أوامره للجيش بقطع كل الطرق المؤدية إلى القلعة.[2]

ولكي ينتقم الباشا من سلطان قلعة بني عباس خرج إليه في سنة 1559 على رأس جيش كبير يتألف من 3000 مقاتل حامل بندقية و500 فارس، وثلاثة آلاف من رجال المخزن، ودعمه حليفه وصهره ابن القاضي بجيش يتألف من1500 مقاتل من المشاة مع 300 فارس، وعندما وصل حسن باشا إلى مجانة أمر ببناء برج للمراقبة بها[3] ونصب به مدفعين، ومن حسن حظ السلطان عبد العزيز أن خلافا نشب بين ابن القاضي وقادة الجيش التركي فاستغل ذلك الخلاف وتمكن من الاستيلاء على مكان حصين مرتفع يصعب على العدو الوصول إليه، وتمكن من إلحاق خسائر في صفوف الجيش التركي، غير أن الأمور لم تجر كما أراد لها عبد العزيز ذلك أن الأتراك من تمكن

أنظر كذلك:

Berbrugger: op. cit, p94.

[1]-Marmol: op. cit, p428.

2- Ibid, p428.

[3]- لم نجد أي اثر لهذا البرج بمجانة في الوقت الحالي، لأن صاحب الأرض أزال بقايا البرج وأقام مكانه سكن شخصي حسب أقوال أولاد مقران.

قتله، ولم يكتفوا بقتله فقط بل قاموا بقطع رأسه بهدف حملها إلى مدينة الجزائر كعلامة الانتصار، حسب ما تذكر المصادر[1].

وبعد مقتل السلطان عبد العزيز أرسل أتباعه رسولا إلى حسن باشا للتفاوض حول شروط تسليم القلعة، وبينما كانت تلك المفاوضات تجري اختاروا أحمد أمقران وهو أخ عبد العزيز حاكما جديدا للإمارة، فاستمرت المعركة، وعندما رأى الباشا عدم جدوى بقاء جيشه بالمنطقة، بعد ثمانية أيام من الهدنة غير المعلنة، كان خلالها جيشه يتناقص بفعل الهجمات المباغتة لجيش السلطان الجديد أحمد أمقران المتحصن بالجبال بحيث يصعب على الأتراك الوصول إليه، ولا سيما أن أخبار وصلته بشأن استيلاء سلطان المغرب على تلمسسان، فقرر الباشا الانسحاب والعودة إلى مدينة الجزائر مكتفيا بحمل رأس السلطان عبد العزيز[2] وعند وصوله إلى العاصمة مقر حكمه أمر بتعليقها على باب عزون عند مدخل المدينة.

ويبدو أن فيروكما ذكر أبو القاسم سعد الله يؤمن بالأسطورة والخرافات حينما يذكر أن رأس السلطان عبد العزيز، أجابت حارس الباب المعقلة عليها، عندما نادى على المتأخرين للدخول قبل أن يغلق الباب عزون قائلا هل بقي أحد خفي الخارج؟ فأجابت رأس عبد العزيز أنه لم يبق إلا رأس عبد العزيز، ويذكر فيرو أن الباشا عندما أخبره الحارس بالقصة أمر بوضعها في صندوق من فضة محكم الإغلاق ودفنها[3].

وبعد فشله في إخضاع بني عباس باستخدام القوة العسكرية، اضطر البايلرباي حسن باشا إلى عقد معاهدة تحالف ودفاع مشترك مع السلطان أحمد أمقران في عام 1561، دون أن يلتزم هذا الأخير بدفع أية ضريبة حسبما تذكر المصادر[4]، وعلى الرغم من تلك المعاهدة فإن علاقة الباشا بسلطان قلعة بني عباس ظل يشوبها الحذر والحيطة من

1- Marmol: op. cit, p428.
2-Ibid, p429.
3- Féraud: op, cit, p226.
4- Haedo: op. cit, p358.

كلا الجانبين، لا سيما من جانب الأتراك الذين أحاطوا الإمارة بمجموعة من الأبراج والحصون كبرج حمزة(البويرة حاليا) وسور الغزلان والمسيلة وسطيف، وذلك بهدف تطويق الإمارة من كل الجهات، ومنع سلاطينها من محاولة مد حدودهم على حساب البايلك، والحد من قوتهم وحماية الطريق الرئيسي الذي كان يربط مدينة الجزائر ببالك قسنطينة[1].

وإدراكا منه بثقل المسؤولية التي أصبحت على عاتقه، سعى السلطان الجديد أحمد أمقران إلى الحفاظ على المملكة التي أسسها أجداده، وقام بمد حدودها نحو الصحراء وأخضع السكان الذين كانوا خاضعين للأتراك كما تمكن من إخضاع إمارة كوكو أيضا حسب مرمول [2].

وقد عرفت الإمارة في عهده التطور والازدهار حسبما يقول بربروجر لما حققه من إنجازات [3] في شتى المجالات، لا سيما في المجال العسكري، باعتبار الجيش دعامة وعضد الإمارة، حيث استطاع أمقران أن يكون جيشا كبيرا يصل تعداده إلى 30000 مقاتل حسبما يذكر رين [4] وبالنظر إلى هذا العدد الكبير من الجند، يتبين لنا منذ الوهلة الأولى شساعة المنطقة التي كانت خاضعة لسلاطين بني عباس، ذلك أن منطقة بني عباس ومجانة لا تستطيع وحدها مد هذا السلطان بهذا العدد الكبير كما يقول فيرو [5].

ولكي يتمكن السلطان أحمد أمقران من مراقبة مملكته الواسعة الأرجاء من مقر حكمه بالقلعة أقام نظاما تلغرافيا فريدا من نوعه، يعتبر بمثابة أجراس الإنذار، بحيث يمكنه هذا النظام من معرفة كل ما يجري في الإمارة، يتمثل في بناء مراكز للمراقبة على قمم الجبال تعرف عند السكان ب"تشوافت" أو الشوافات، تعتمد على إشعال النار أثناء

---

[1]- Marmol: op. cit, p429.
2- Ibid, p430.
[3]- Berbrugger: op, cit, p93.
[4]- Rinn: op, cit, p12.
[5]- Féraud: op, cit, p229.

الليل، وإثارة الدخان أثناء النهار، ومن أهم تلك المراكز: عقبة الصنادق، عند قمة جبل القلعة.

- تافرطاست على قمة جبل ذراع متنان.
- رأس جبل قطاف.
- رأس جبل سالة[1]

ويذكر أحد الكتاب أن الأمير الحمادي الناصر بن علناس كان يتبع نفس الطريقة عندما كان بقلعة بني حماد وكذلك عندما انتقل إلى بجاية في القرن 11م [2]،و بهذه الطريقة كان السلطان أحمد أمقران يحكم الإمارة من القلعة الحصينة.

ويذكر فيرو أن سكان الإمارة الذين كان عددهم في تزايد مستمر بفضل سياسة السلاطين الحكيمة، وفي ظل تناقص الموارد ولتجنب الاصطدام المستمر مع الأتراك أيضا فإنهم طلبوا من السلطان مد حدود الإمارة جنوبا نحو الصحراء[3] فاستجاب لطلبهم وقام بإخضاع كل من بسكرة وطولقة وسوف وورقلة وأولاد نائل[4] والجلفة والأغواط.[5]

---

[1]- Féraud: op, cit, p230.
[2]- Ben Oudjit: op. cit, p295.
[3] - Féraud: op, cit, p130.
[4]- Mercier: op, cit, p143.

[5] - يذكر فيرو أن سكان أولاد نايل لا يزالون يرددون إلى القرن ال19 أغنية شعبية حول أحمد أمقران تقول:

سيدي أحمد المقراني الناصـــــــــــــــــر
تـــرك آثار عبوره بالـــــــــــــــــوادي
ركب فوق بغلـــــــــــــــــتـــــــــه
وعدد جنده كالرمـــــــــــــــــال
أخضع أولاد سالم بقوتـــــــــــــــــه.

=لمزيد من المعلومات، أنظر:

Ch. Féraud: op. cit, p230

وقد حققت الإمارة في عهد أحمد أمقران -كما يذكر فيرو- درجة كبيرة من الازدهار والرفاهية لم يسبق لهما مثيل في تاريخ الإمارة، ذلك أنها عرفت في عهد هذا السلطان نوعا من الاستقرار نتيجة قلة حروبه مع الحكام الأتراك، فقد اهتم بالدرجة الأولى بتنظيم الجيش كما سبقت الإشارة إليه[1] ودعم الإمارة بمصانع الأسلحة النارية وقد ساعده على ذلك توفر مادة الحديد بالمنطقة حسب ما ذكر اليعقوبي في قوله «إن بمدينة مجانة معادن الفضة والحديد والكحل والمرتك والرصاص»[2].

ولم يكتف أحمد أمقران بالاهتمام بالجانب العسكري في الإمارة فقط، بل اهتم أيضا بالعمران، فشيد جامع على الطراز القرطبي، حيث كان يجلس به للحكم والقضاء بين الناس، وقام ببناء قصبة القلعة ومدها بالمياه و بنى كثير من العيون، وشق الطرقات في النواحي[3]، ولا يزال سكان منطقة الحضنة يذكرون إلى يومنا هذا نظام أحمد أمقران في الري.

وفيما يتصل بالنشاط التجاري وتطويره قام أحمد أمقران ببناء مخازن كبيرة(مستودعات) للبضائع التي يأتي السكان لشراءها من كل النواحي، وكان حريصا على توفير الأمن للتجار، وقام بتوزيع الأراضي على الفلاحين ومكنهم من امتلاكها، وبهذا الصدد يذكر فيرو أنه وجد بنفسه لدى بعض سكان القلعة عقود ملكية تعود إلى عهد هذا السلطان، ولتزويد الجيش بالفرسان أوكل مهمة تربية الخيول وتدريبها وتحسين نوعيتها إلى قبيلة الحشم الماهرة في هذا المجال، وكان أحمد أمقران يقضي صيفه في الشمال وشتاءه في الصحراء.[4]

---

[1]- Ch, Féraud op. cit, p232.

[2]- يوسف عبد الكريم جودت: المرجع نفسه، ص275.

[3]- Ch. Féraud: op. cit, p232.

[4]- Ibid, p233.

وخلال فترة السلم التي أعقبت معاهدة 1561 والتي تميزت بتبادل الهدايا والتهاني بين الطرفين، تذكر المصادر أن السلطان أحمد أمقران دعم جيش حسن باشا في محاولته لتحرير المرسى الكبير عام 1563 من سيطرة الأسبان [1] بجيش قوامه 30000 مقاتل[2]، ولم يكن على رأس هذا الجيش أحمد أمقران ربما بسبب تقدمه في السن، أو لم يكن يرغب في تكرار ما حدث لأخيه عبد العزيز الذي قتل بسبب خلافه مع القائد حسن قورصو كما سبقت الإشارة إلى ذلك[3] وعلى الرغم من أهمية هذا التحالف إلا أننا لم نجد إشارة إليه عند كل من مرمول وهايدو.

ويبدو أن العلاقة الحسنة وفترة السلم والتعاون بين السلطان أحمد أمقران وحسن باشا قد استمرت في عهد علي قليج [4] حيث دعم أحمد أمقران علي قليج عندما قاد

---

[1] - لم يتمكن حسن باشا من تحرير المرسى الكبير في هذه المحاولة بسبب التفوق العسكري للحامية الأسبانية التي وصلتها الإمدادات من أسبانيا بقيادة القرصان أندري دوريا، لمزيد من التفاصيل أنظر: Haedo: op. cit, p365.

[2] - عبد الرحمان الجيلالي: المرجع نفسه، ص429.

[3]- Y. Ben Oudjit: op. cit, p271.

[4] - قلج علي: يشتهر في كتب التاريخ باسم "العلج علي" هو إيطالي وقع في الأسر في إحدى حملات خير الدين، وعمل في التجديف كغيره من الأسرى الأوروبيين في السفن الإسلامية، ثم اعتنق الإسلام واظهر براعة في فنون البحر وأصبح من ابرز رياس البحرية الجزائرية عينه حسن باشا واليا على تلمسان، وهو بطل معركة ليبانت الشهيرة التي وقعت عام 1573م، بعد ذلك ارتقى إلى منصب بايلرباي الجزائر، ونظرا لكفاءته العالية وسمعته الكبيرة استدعاه السلطان سليم الثاني على راس الأسطول العثماني برتبة (قبودان باشا) وكلمة قلج تركية تعني السيف أي (علي السيف) وقد أطلق عليه هذا الاسم لبطولاته وشجاعته وإخلاصه في الجهاد تحت الراية العثمانية.أنظر المدني أحمد توفيق: حرب الثلاثمائة عام، ص373. وكذلك: حماش خليفة: محاضرة ألقيت على طلبة السنة الأولى ماجستير، السنة الدراسية 2003/2002.

راجع كذلك، محمد سي يوسف: العلج علي ودوره في البحرية العثمانية، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، 1982.

بنفسه حملة عسكرية لإخضاع تونس عام 1570، وساعده أيضا في حملته الثانية عام 1574 والتي انتهت بإخضاع تونس للعثمانيين[1].

وقد ذكر هايدو أن أحمد أمقران أرسل ابنه إلى مدينة الجزائر محملا بهدايا ثمينة [2] في يوم 16 سبتمبر عام 1580 لتهنئة جعفر باشا بمناسبة تعيينه على رأس الإيالة، كرمز لتجديد علاقة السلم والصداقة[3] وقد حافظ هذا الباشا على علاقته الحسنة مع زعيم بني عباس طوال فترة حكمه للإيالة، وكان محترما استقلال الإمارة فلم تحدث أية مواجهات عسكرية في عهده.

غير أن علاقات السلم والصداقة تلك لم تستمر في عهد خضر باشا1589-1592 الذي خلف جعفر باشا، ذلك بسبب امتناع أحمد أمقران عن دفع الضريبة السنوية، الأمر الذي اعتبره الباشا الجديد تمرد وعصيان للحكم التركي، فسار إليه على رأس جيش كبير عام 1590 [4] لكنه لم يتمكن من الوصول إلى القلعة لأن السلطان أحمد أمقران قام بسد كل المسالك الضيقة المؤدية إليها باستخدام جذوع الأشجار والحجارة، وحاصر الباشا المنطقة لمدة شهرين، وكان يأمر جيشه بارتكاب أبشع المجازر في حق السكان المجاورين، وقطع الأشجار المثمرة لاستفزاز المتمردين ودفعهم إلى الخروج للقتال، لكن سلطان بني عباس لم يستجب لتلك الاستفزازات، وكان جيشه يكتفي بمناوشة الجيش العثماني من حين لآخر، ولولا تدخل أحد مرابطين المشاهير بالمنطقة

---

[1]- Haedo: op. cit, pp 405-406.

[2] – قدر بربروجر قيمة تلك الهدايا ب 2400 أوقية ذهبية أسبانية، وهي تعادل 19512 فرنكا بالإضافة إلى 400 بعير و1000 خروف.

[3]- Haedo: op. cit, p19.

[4] – كان جيش التركي يتكون من 12000 جندي انكشاري، و4000صبائحي علاوة على 4000 من رجال المخزن، أما أحمد أمقران فقد علم بقوم الباشا عن طريق مراكز المراقبة التي أحاط بها مملكته، فكان في انتظاره على رأس جيش يتألف من 30000 مقاتل حسب ما ذكر هايدو.

حسب ما يذكر هايدو لحدثت كارثة بين الطرفين، ذلك أن هذا المرابط [1] توسط بينهما قائلا لهم أن القتال بين المسلمين خطيئة كبرى، وأن عليهم أن يوفروا تلك القوة لقتال الكفار لا لإفناء بعضهم بعض، فلقيت كلماته المؤثرة أذانا صاغية من كلا الجانبين، وتوصل الطرفان إلى إبرام الصلح على أن يدفع أحمد أمقران إلى الباشا غرامة مالية قدرها 30000 أوقية كتعويضات عن الخسائر التي لحقت بالجيش التركي، فعاد بعد ذلك خضر باشا إلى العاصمة دون أن يتمكن من اقتحام القلعة بسبب حصانتها.[2]

ويبدو أن أحمد أمقران لم يكن راضيا عن ذلك الصلح حيث يذكر دوغرامون أنه شن حملة في عام 1598 على مدينة الجزائر للاستيلاء عليها انتقاما من الأتراك، وتمكن من حصارها لمدة 11 يوما مغتنما فرصة الإضطرابات التي كان يعرفها قصر الجنينة من عدم الاستقرار في الحكم وكثرة اغتيالات الحكام، [3] ومن حسن حظ الأتراك حسب ما ذكر نفس المؤرخ أن نقص التنظيم والمئونة في جيش أمقران، أرغم هذا الأخير على رفع الحصار والعودة إلى القلعة.[4]

وبالرغم من أهمية هذا الحدث وخطورته إلا أننا لم نجد تفسيرا لسكوت المصادر عن الإشارة إليه، ويمكننا القول أن هذه الحملة من أحمد أمقران تدل على قوته وجرأته في آن واحد، وقد أراد أن يبرهن للأتراك على أنه قادر على تهديدهم في عقر دارهم، وبالرغم من تراجعه فإنه أحدث ارتباكا وقلقا في صفوف الجيش التركي.

وقد استمر السلطان أمقران في رفضه دفع الضريبة للحكام الأتراك فكان ذلك يتسبب في مواجهات دموية بين الطرفين كحملة باي قسنطينة ضد القلعة بأمر من خضر باشا عام 1592 الفاشلة [5]، كما وقعت المواجهات أيضا في عهد شعبان باشا الذي أراد

---

[1] - لم يذكر اسم هذا المرابط.

[2]- Haedo: **RA**, 1881, op. cit, pp108-109.
[3]- De Grammont: op. cit, p131.
[4]- Ben oudjit: op. cit, p289.
[5]- Berbrugger: op. cit, p104.

إخضاع زعيم بني عباس، وتوسط هذه المرة للصلح بين المتقاتلين مرابط آخر من المنطقة، قبل السلطان أمقران بدفع غرامة مالية[1] وظل أحمد أمقران يرفض الخضوع للأتراك[2] الذين تمكنوا من اغتياله في إحدى المواجهات في حوالي عام 1600.[3]

و لم يكن أحمد أمقران أقل فروسية وشجاعة من أخيه عبد العزيز، حيث يعتبره المؤرخون أحد أهم سلاطين بني عباس الذين رفضوا الحكم العثماني في الجزائر والخضوع له، وأجبر الأتراك على البحث عن طريق آخر للربط بين بايلك الشرق و مدينة الجزائر لتفادي عبور منطقة البيبان[4]، فقاموا بتأسيس مدينة سور الغزلان في عام 1595، وأصبحوا يسلكون طريق الحضنة عندما يكونون في حالة حرب مع بني عباس.[5]

بداية ضعف إمارة بني عباس:

وبعد مقتل السلطان أحمد أمقران، على يد الأتراك خلفه في حكم الإمارة ابنه سيدي ناصر، في حوالي عام 1600، وإذا كان عبد العزيز قد اختار لقب السلطان وأحمد فضل لقب أمقران فإن ناصر ابن أحمد أمقران فضل لقب سيدي ناصر على كل الألقاب، وكانت تلك بداية العد التنازلي لسلطنة بني عباس، فكان ذلك أول عمل يقوم به هذا السلطان الجديد، [6]

وكان سيدي ناصر حسب ما يذكر فيرو رجل دين وزهد وتصوف، وعالم حافظ للقرآن الكريم، نشأ في طلب العلم في الزاوية التي أسسها جده سيدي عبد الرحمان بالقلعة، وكان يجمع حوله الطلبة والمريدين، و لم يكن يتدخل في شؤون الحكم والسياسة،

---

[1]- M. Gaid: Mokrani, p25.
[2]- De Grammont: op. cit, p130.
[3]- Rinn: op. cit, p12.
[4]- Ben Oudjit: op. cit, p282.
[5]- Berbrugger: op. cit, p105.
[6]- Ben Oudjit: op. cit, p290.

كما أنه لم يشارك والده في غزواته على الإطلاق[1]، وكان دائما منشغلا بإحاطة العلماء حوله في الزاوية، وقد قام بتسريح عدد كبير من الجيش، مما أثار غضب وسخط كبار قادة الجيش والتجار، وكان للعلماء والطلبة تأثير كبير عليه، ورغم الشكاوي التي كانت تتهاطل عليه من سكان الإمارة، إلا أنه كان يمضي في تلك السياسة و لم يكن يصغ لها، وتكاثر خصومه و لم يكن غالبية السكان راضين عن حكمه.

6)- مقتل سيدي ناصر وزوال إمارة بني عباس:

ولقد تسببت السياسة التي اتبعها السلطان سيدي ناصر في حكمه للإمارة حسب ما يذكر فيرو في مقتله، ذلك أن السكان من قادة الجيش الذين قام السلطان بتسريح الكثير منهم، والتجار الذين تراجعت تجارتهم ونقصت أرباحهم، وسمعة ومكانة الإمارة بدأت تفقد، و لم تعد القبائل تعترف بحكم الإمارة، حيث أعلنت الكثير من المناطق الخاضعة استقلالها، عندئذ رأى كبار رجال الجيش والتجار أن سي ناصر سيهدم ما بناه أجداده ووالده من مجد للإمارة، التي أصبحت مهددة بالزوال بسبب سياسته فقرروا التخلص منه، فدبروا له مؤامرة واغتالوه غدرا عام 1624 [2] في منطقة الحضنة، بعد ما تمكنوا من استدراجه إليها من منطقة سيدي عقبة ببسكرة جنوبا حيث كان في رحلة صيد كما يذكر فيرو، ذلك أنهم أرسلوا له رسولا يخبره بأن أمورا خطيرة قد حدثت في القلعة في غيابه، وأنه يجب عليه العودة بسرعة، وكان هدفهم عزله عن أفراد جيشه الذين كانوا برفقته كي يسهل عليهم اغتياله دون مقاومة، فرجع مع عدد قليل من أتباعه فقاموا بقتله وقتل كل أتباعه الذين دافاعوا عنه.[3]

---

[1]- Rinn: op. cit, p12.

[2]- ذكر لي أحد أحفاد أولاد مقران، أن العداء بين قبيلة أولاد حمادوش بالقلعة وأولاد مقران استمر إلى غاية الثورة التحريرية، بسبب اغتيالهم سيدي ناصر.

[3]- Ch. Féraud: op. cit, p237.

ولكن أحفاد الأسرة من أولاد مقران لا يزالون يذكرون ظروف مقتله ويكذبون إدعاء فيرو على أن سيدي ناصر قتل عندما كان في رحلة صيد، ويتعجبون كيف لزاهد وعابد مثله أن يذهب في رحلة للصيد والمتعة وهو الذي كرس حياته للعبادة وطلب العلم؟ ويذكرون أنه كان في رحلة يتفقد المدارس والمنشآت التي أنجزها والده بالصحراء.

أما بربروجر فيخبرنا أن سيدي ناصر ربما يكون قد قتل على يد الأتراك الذين كانوا حينها في حالة حرب مع أمير كوكو وتمكنوا من إخضاعه [1]، وهو نفس ما ذهب إليه مولود قايد الذي يضيف أن الأتراك قاموا بقتله من أجل إثارة الفتنة والاضطراب في الإمارة [2] ولكن لا أحد من المؤرخين والكتاب يخبرنا هل كان سيدي ناصر يحارب حينها إلى جانب الأتراك أم إلى جانب أمير كوكو عند مقتله؟.

واستنادا إلى ما ذكره الورثيلاني وفيرو فإن سيدي ناصر وهو آخر سلاطين أولاد مقران بقلعة بني عباس قد قتل على يد سكان القلعة من حي أولاد حمادوش، الذين كان أولاد مقران في حالة عداء معهم حتى ثورة 1954 حيث وحدت السكان وتحولت إلى مكة الثوار كما كان العقيد عميروش يفضل تسميتها حسب رواية أولاد مقران وسكان القلعة.

ومهما يكن من أمر فمن المؤكد أنه بمقتل سيدي ناصر انتهى حكم أولاد مقران بقلعة بني عباس، ودام حكمهم قرابة 80 عاما حسب ما ذكر الورثلاني في رحلته حيث

---

[1]- Berbrugger: op. cit, p110.

أنظر كذلك:

M. Gaid: **Histoire de Bejaia et de sa région**, t3, Alger, 1976, p141.

[2]- M. Gaid: **Chronique des Beys de Constantine**, p55.

يقول: « وقد عمرت هذه المملكة ثمانون عاما، حيث زالت بمقتل سيدي ناصر على يد بني عباس حسب اعتراف أحد علماء القلعة».[1]

وقد ذكر صاحب كتاب سلسلة الأصول في شجرة أبناء الرسول، أن سيدي ناصر المقراني هو فاضل وعالم وزاهد، حسد عليه بني عباس وقتلوه مكرا وخديعة مزق الله جيوشهم، وذكر أن أحد علماء فاس يقول في مرثيته:

فلعنة الله ثم الخلق قـــــــــاطبة على المجوس بني العبـــاس ما ذكروا

إن عاهـــــــدوك فقد خانوا على ثقة أو حالفوك فأيقن أنهـــــــم فجروا

وقد عدد أوصافهم من الخيانة والغدر ما يحمل السامع على الفرار منهم عفا الله عنا وعنهم.[2]

لقد رأينا أن علاقة أولاد مقران سلاطين إمارة بني عباس بالحكام الأتراك طوال فترة حكمهم للإمارة تميزت بالمواجهة والصراع، أحيانا وبالسلم والصداقة والود أحيانا أخرى، ورأينا أيضا أنه على الرغم من قوة الأتراك ومحاولاتهم العديدة لإخضاع سلاطين الإمارة والاستيلاء على القلعة المحصنة طبيعيا، إلا أن محاولاتهم باءت بالفشل أمام قوة السلاطين القلعة وموقعها الحصين، فكانوا في غالب الأحيان مجبرون على احترام إرادة سلاطينها في الاستقلال بالمنطقة، فهل سيحافظ شيوخ الأسرة على قوتهم ومكانتهم وهيبتهم عند انتقال حكمهم من قلعة بني عباس إلى بجانة؟.

---

[1] - الحسين بن محمد الورثيلاني: المصدر نفسه، ص8.

[2] - سيدي عبد الله بن محمد بن الشارف بن سيدي علي حشلاف: **كتاب سلسلة الأصول في شجرة أبناء الرسول**، المطبعة التونسية، تونس، 1929، ص115.

الفصل الثاني:أولاد مقران بمجانة (1635م-1830م)

1- أولاد مقران من قلعة بني عباس إلى مجانة وتأسيس المشيخة

2 - علاقة شيخ مجانة بالحكام الأتراك

أ- علاقة حرب وتصادم

ب- علاقة ود وتعاون

ج- علاقات المصاهرة

3- الصراع بين شيوخ الأسرة وموقف الأتراك

4- أولاد مقران والحاج أحمد باي

5- أولاد مقران والاحتلال الفرنسي

أ- مرحلة المقاومة

- أولاد مقران و مقاومة الأمير عبد القادر

- أولاد مقران و مقاومة الحاج أحمد باي

ب- مرحلة الاستسلام

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فكيف سيكون مصير الأسرة بعد ذلك؟ وهل ستتمكن من المحافظة على نفوذها ومكانتها بعد مقتل هذا السلطان؟.

لقد ترك الشيخ سيدي ناصر عند مقتله ثلاثة أبناء، وهم: بتقة أو أبو التقى، الذي يسميه فيرو أبو عتيقة، ويشتهر عند السكان باسم بتقة، ويستبعد فيرو أن يكون هو الإبن الأكبر، أخذته قبيلة الحشم - التي ظلت وفية لأولاد مقران حتى نهاية ملكهم- في سرية تامة إلى مجانة وتكفلت بتربيته وتدريبه في شؤون الحكم، في انتظار الظروف المناسبة لاسترجاع ملك أجداده، وهو الذي تنحدر منه الأسرة بمجانة، وأما الابن الثاني و يدعى: محمد، فقد هربته أمه خوفا عليه من غدر بني عباس ولجأت به إلى بجاية واستقرت عند أهلها في قرية أمدان [1] التابعة لقبيلة بني بومسعود[2] وهناك تابع الابن محمد تعليمه في إحدى الزوايا، وسرعان ما أصبح من مشاهير المرابطين في المنطقة، وقام بتأسيس زاوية أمدان، واشتهر في المنطقة باسم سيدي محمد أمقران، وقد استمد شهرته من انتسابه لأسرة أولاد مقران وللصفات الفاضلة التي كان يتحلى بها، فتقرب منه قائد الحامية التركية ببجاية، وأصبحت بينهما صداقة قوية استغلها الأتراك فيما بعد للاستفادة من مكانته وتأثيره على سكان المنطقة [3]، في فرض سلطتهم على منطقة القبائل التي كان

---

[1]- Ch. Féraud: op, cit, 239.

[2] - تقع على الضفة اليسرى لوادي الصومام، وتبعد بنحو 28 كلم عن مدينة بجاية، أنظر الخريطة في الملحق رقم:9.

[3] - أنتقل أحد أبناءه وكان يدعى سيدي عبد القادر إلى جيجل فيما بعد بطلب من الأتراك واستقر ببني سيار وأسس بها زاوية، وذلك لمساعدتهم على فرض حكمهم على المنطقة وتمكينهم من استغلال غابات الخراسة بالمنطقة، ولا يزال أحفاده يستقرون بالمنطقة إلى يومنا هذا. لمزيد من التفاصيل أنظر:
M. Gaid: Mokrani, p28.

حكمهم عليها ضعيفا من خلال تعاونه معهم[1]، لكن سيدي محمد أمقران ظل بعيدا عن الأحداث السياسية التي كانت تعيشها الأسرة بمجانة فيما بعد.[2]

وأما فيما يتعلق بالابن الثالث الذي يدعى بوتمزين، فقد انتقل من بجاية إلى ناحية الغرب سرا واستقر بمعسكر حيث كون فرع التمزنية بها، فظل بعيدا هو الآخر عن أهله من أولاد مقران، حسب ما يذكر فيرو [3] الذي لم يخبرنا عن الأسباب التي دفعته إلى مغادرة بجاية، والاتجاه ناحية معسكر، ومن المحتمل أن يكون أحد الأفراد من قبيلة الحشم ساعده على الهرب والاستقرار بنواحي معسكر بدافع الخوف من انتقام بني عباس خوفا من الثأر لمقتل والده كغيره من أفراد أسرته.

وعلى الرغم من الأحداث التي عاشتها القلعة بما فيها مقتل الشيخ سيدي ناصر إلا أن الأتراك لم يتمكنوا من إخضاعها وظلت القلعة تتمتع بالاستقلال والسيادة على مناطق واسعة في الجهة الغربية من بايلك الشرق الجزائري.[4]

وعندما كبر الإبن الأكبر بتقة على يد قبيلة الحشم بعيدا عن أعين بني عباس، تسلم قيادة الأسرة في حوالي عام 1635 وذلك بمساعدة قبيلة الحشم التي كانت حريصة على الوفاء والإخلاص لهذه الأخيرة، وساعدته على الارتباط بأكبر القبائل بالمنطقة آنذاك من خلال تزويجه من ابنة شيخ قبيلة أولاد ماضي، وكان أول عمل يقوم به بتقة هو رفضه أن يلقب بالسلطان أو الأمير، وفضل الشيخ معلنا عن قيام مشيخة أولاد مقران، وقرر الاستقرار بمجانة وعدم العودة إلى قلعة بني عباس[5] فكانت تلك الانطلاقة الفعليةل للمشيخة.

---

[1]- L. Rinn: «le royaume d'Alger sous le denier Dey», in, **R.A**, n°: 43,1898, p223.
[2]- Ch. Féraud: « Exploitation des forets de la karasta dans la Kabylie oriental sous la domination Turque» in, **R.A**, n°: 13, 1868, p383.
[3]- Ch. Féraud: op. cit, p240.
[4]- Berteuil. Arsène: **l'Algérie Française**, T1, Paris, 1856, p34.
[5]- L. Rinn: op. cit, p13.

وبعد أن استقر سيدي بتقة بمجانة وأحاط نفسه بباقي أفراد الأسرة ومد حدود المشيخة حتى منطقة الحضنة وأولاد نايل جنوبا، بدأ في مطاردة بني عباس الذين قتلوا والده غدرا، حيث تمكن من هزيمتهم وتشريدهم في الصحراء، وبعد معاناتهم من حياة التشرد والحرب، أعلنوا إستعدادهم للاستسلام والخضوع له كما توسلوا له بالسماح لهم بالعودة إلى ديارهم بقلعة بني عباس، وطلبوا منه نقل عاصمة حكمه إليها كما كانت من قبل، إلا أنه رفض مسامحتهم كما رفض العودة إلى القلعة، ولا شك أن سيدي بتقة كان يسعى لاستعادة مكانة الأسرة وقوتها في المنطقة، فبعد مقتل السلطان أحمد أمقران على يد الأتراك تراجعت مكانتها، وتأثرت أيضا بمقتل السلطان سيدي ناصر، كما أن علاقته بقبيلة أولاد ماضي سرعان ما ساءت وتحولت إلى عداء بسبب خلاف وقع بينه وبين صهره، كاد أن يكلفه حياته، حيث دبر له أولاد ماضي كمين لاغتياله في إحدى رحلاته لصيد الصقور في منطقة الحضنة، لكنه تمكن من النجاة ودخل معهم في حرب وصراع.[1]

2- علاقة شيخ مجانة بالأتراك:

عرفنا في الفصل الأول أن أولاد مقران ظلوا يحافظون على سيادتهم واستقلالهم عن الحكم العثماني في ظل حكم إمارة بني عباس، كما عرفنا أن الحكام الأتراك كانوا يسعون إلى تحسين علاقاتهم بسلاطين الإمارة، فكيف ستكون علاقة الأسرة بالأتراكفي مشيخة مجانة؟

لم تكن علاقة أولاد مقران شيوخ مجانة بالحكام الأتراك علاقة حرب وصراع دائم، كما أنها لم تكن علاقة سلم دائم أيضا، فقد كان يسودها السلم والتعاون عندما

---

[1] - لمزيد من التفاصيل أنظر:

- Ch. Féraud: op. cit, p241.

لم تكن علاقة أولاد مقران شيوخ بجانة بالحكام الأتراك علاقة حرب وصراع دائم، كما أنها لم تكن علاقة سلم دائم أيضا، فقد كان يسودها السلم والتعاون عندما يحترم الحكام الأتراك استقلال الأسرة وسيادتها في المنطقة، وكانت تسوء تلك العلاقة كلما حاول الأتراك عبور منطقة البيبان دون دفع ضريبة "العسة" وباستخدام القوة.

ومن هذا المنطلق قسمنا علاقة أولاد مقران بمشيخة بجانة بالحكام الأتراك إلى ثلاثة عناصر:

أ- علاقة حرب وصدام:

على الرغم من الاضطراب الذي عرفته الأسرة من مقتل سيدي ناصر والتحول من قلعة بني عباس إلى منطقة بجانة، إلا أن الأتراك ظلوا يواجهون صعوبات كبيرة أثناء اتصالاتهم ببايلك قسنطينة، وقد برهنت الأحداث فيما بعد أن أسرة أولاد مقران لم تكن بمعزل عن الأحداث التي كانت تعرفها الإيالة في هذه الفترة، فقد سجل أولاد مقران مشاركتهم في ثورة ابن الصخري [1] ضد الأتراك كما يخبرنا الأب دان الذي كتب « في عام 1638 لقي فيلقان تركيين حتفهما، أحدهما كان بقيادة مراد باي قسنطينة والآخر بقيادة يوسف قايد، على يد قبائل وادي الساحل بقيادة خالد المقراني وبوعكاز بن علي الذي أراد الانتقام من مراد باي الذي قتل أخاه» [2] ويؤكد ذلك دو غرامون حيث يقول أن سيدي أبو التقى قام بتدعيم جيش ابن الصخري بقوات قادها ابنه خالد،

---

[1] - حول تفاصيل هذه الثورة أنظر: أحمد بن محمد بن علي بن سحنون الراشدي:المصدر نفسه، ص 59 وما يليها.

- وأنظر كذلك:

Eugène. Vayssette : **Histoire des Beys de Constantine sous la domination Turque (1517-1837)**, édition Bouchène, Paris, 2002, p98, et suivantes.

[2]- François Trinitaire. Dan, le père : **Histoire de la Barbarie et de ses corsaires**, 2ème édition, Paris, 1649, p132.

لعبه أولاد مقران في هزيمة الجيش التركي في موقعة قجال جنوب سطيف، التي قتل فيها نعمان باي [1] أما مولود قايد فيذكر أن الأتراك أرسلوا حملة ثانية في عام 1639 بقيادة يوسف آغا للانتقام من الذواودة والحنانشة، الذين اضطروا إلى طلب المساعدة من سيدي بتقة المقراني الذي دعمهم بقوة، فتمكنوا من هزيمة الأتراك، ولكي ينقذ يوسف آغا ما تبقى من جنوده اضطر إلى طلب تدخل أحد المرابطين بالمنطقة للصلح بين المتحاربين[2].

ويبدو لنا أن علاقة المصاهرة التي كانت بين أولاد مقران وشيوخ الذواودة، دفعت سيدي بتقة إلى التحالف معهم في هذه الثورة، حيث يذكر الشيخ محمد خير الدين في مذكراته، حيث زوج شيخ العرب أحمد بن علي بوعكاز، إحدى بناته لأحد شيوخ أولا مقران.[3]

وقد تحسنت علاقة أولاد مقران بالأتراك بمجيء يوسف باشا إلى حكم الإيالة بين عامي 1640-1642 ذلك أن هذا الحاكم أدرك مزايا ربط علاقات ودية مع الأسر الكبيرة، فقام بنفسه بجولة في بايلك قسنطينة وأعاد تنصيب مراد باي على رأس البايلك وذلك بعد مقتل الباي نعمان على يد ثورة ابن الصخري، كما التقى بشيخ مجانة سيدي بتقة بمجانة وتقرب منه واعترف له حسب ما يذكر مولود قايد بالامتيازات التي كانت تتمتع بها الأسرة من قبل، وذلك مقابل دفعه ضريبة سنوية كرمز لولاءه وتبعيته للحكم العثماني.[4]

غير أن فترة السلم والود هذه لم تدم طويلا، ذلك أن الحكام الأتراك لم ينسوا تحالف أولاد مقران مع الثائر ابن الصخري، فكان الانتقام منهم مسألة وقت فقط وكانوا ينتظرون الظروف المواتية، ففي عام 1643 خرج مراد باي قسنطينة بأمر من الباشا

M. Gaid : **Mokrani**, p28.

[1]- Rinn: op. cit, p13.

[2]- M. Gaid: op. cit, p28.

[3] - محمد خير الدين: **مذكرات الشيخ محمد خير الدين**، ج1، مطبعة دحلب، الجزائر، 1985،ص46.

[4]- M. Gaid: **Chronique des Beys**, p19.

الذي دعمه بجيش كبير لقتال أولاد مقران بمنطقة بجانة بسبب رفضهم دفع الضريبة السنوية، إلا أنه انهزم أمام جيش سيدي بتقة، الذي رفض الصلح معه إلا بعد موافقته على شروط تتمثل في إعفاء المشيخة من دفع الضريبة، وضمان حرية الاتجار بأسواق مدينة الجزائر.[1]

وبعد تلك الحملة قام الشيخ سيدي بتقة بتأديب قبائل الجهة اليسرى لوادي الصومام حسبما يذكر فيرو لكنه لم يحدد أسماء هذه القبائل، بسبب امتناعهم عن دفع الضريبة له ورفضهم الاعتراف بسلطته، وفي نهاية حكمه فضل الاستقرار في زاوية أسسها بنفسه في بجانة للتفرغ للعبادة وطلب العلم إقتداء بوالده سيدي ناصر، تاركا حكم المشيخة لأكبر أبناءه المسمى بوزيد الذي يبدو أنه كان يدربه على شؤون الحكم فاستمر بوزيد في حكم المشيخة في حياة والده وبقي في الحكم بعدما توفي سيدي بتقة[2] في حوالي عام 1680 ودفن ببرج بو عريريج، وأقامت له الأسرة ضريحا تحول إلى مزار لسكان المنطقة فيما بعد.[3]

---

[1]- Féraud: op, cit, p20.

[2]-وقد خلده أحد الشعراء وهو الشيخ عاشور بن محمد(الخنقي) بن عبد الله الشيخ محمد المسعود في قصيدة مدح بعنوان"غاية الرقى في مدح الشيخ أبي التقى" من كتاب منار الأشراف.

و مطلع القصيدة:

إليك أبا التقى مولى الموالي ... حقيق لو دروا شد الرحال

على الأقدام أو فوق المطايا ... على الأبعاد أو قرب المحال

لينتجعوا هماما هاشميا ... سريا من ذوابة خير آل

شريفا فاطميا حيدريا ... سلالة تاج أرباب الكمال

ولي الله صديقا صفيا ... لديه مقربا أهل الوصال

مدار العفو والألطاف منه ... منار النور إن دجت الليال

[3]- Rinn: op. cit, p15.

ويبدو أن علاقة سيدي بوزيد الحاكم الجديد للمشيخة بالحكام الأتراك لم تكن على ما يرام، بسبب تمرده وحرصه على استقلال وسيادة المشيخة، وتمسكه بضريبة العبور التي فرضها أجداده على الأتراك أثناء عبورهم مضيق البيبان، وتجدر الإشارة هنا إلى أن الأتراك كانوا يدفعون ترضيات إلى شيوخ أولاد مقران في شكل عدد من الأبقار والأغنام وهدايا ثمينة حتى يأتمنوا شرهم ويضمنوا حمايتهم عند عبورهم المنطقة التي اعتاد السكان قطع الطريق بها [1] وكانت سيطرة شيخ مجانة بوزيد بن بتقة قوية على منطقة البيبان التي كان يمر بها الطريق السلطاني الذي كان يربط بايلك الشرق بمدينة الجزائر، وذلك بشهادة الرحالة الفرنسي بيسونال الذي رافق المحلة التركية قادما من مدينة الجزائر إلى قسنطينة عبر مضيق البيبان إذ يقول: « وفي اليوم التاسع عشر من جويلية دخلنا المنطقة التي كان يحكمها بوزيد، الذي كان يتحكم في ممر بيبان الحديد، هذا السلطان يحكم مملكة واسعة، ويحتمي بالجبال كي يتقي شر الأتراك وظلمهم، و عندما اقتربنا من مجانة توقف الجيش عن عزف الموسيقى ونكست الرايات ثم خيمنا بمجانة قرب عين في وسط عدد هائل من الأكواخ والخيم، كما أننا اضطررنا للبقاء في العراء دون أن نجرؤ على تنصيب خيمنا، رغم أشعة الشمس الحارقة، وقد انتابنا خوف شديد إلى درجة أننا لم ننم طوال الليل، وذلك خوفا من اعتداء اللصوص وقطاع الطرق، وكانت الخرفان تقترب منا كي تشرب من العين دون أن يجرؤ أحدنا على الاقتراب من واحدة منها على الرغم من أنه لم يكن معنا من المئونة سوى الخبز، وذلك لأن السلطان بوزيد لا يسمح بأي اعتداء على ممتلكاته التي لا تعد ولا تحصى لدرجة أنه هو نفسه لا يعرف عددها، فهو يملك أعدادا هائلة من المواشي، ويستخلص الضرائب من قبائل كثيرة خاضعة لنفوذه، في حين لم يكن هو ملزم بالدفع لأية سلطة، وقد كنا محظوظين لأننا في حالة

---

[1] – فلة القشاعي: **النظام الضريبي**، ص130.

سلم معه، وإلا كان علينا إذا أردنا السفر من الجزائر إلى قسنطينة أن نسلك طريق الصحراء وهو طريق طويل وشاق».[1]

ثم يصف لنا نفس الرحالة مرور نفس المحلة بمدينة زمورة في قوله: «لقد مررنا بزمورة [2] التي كانت بها حامية تركية في يوم 18 جويلية 1725، وأقمنا في دوار فقام سكانه بإخفاء الخيم والقمح عندما رأونا قادمين، لكننا أرغمناهم على إعطائنا ما نحتاج من خيم وقمح وذلك باستخدام القوة» [3] .

ومن خلال شهادة هذا الرحالة تتضح لنا القوة التي كانت تتمتع بهخا أسرة أولاد مقران تحت حكم الشيخ بوزبد، كما يتبين لنا تغيير أسلوب تعامل الأتراك من منطقة لأخرى وذلك حسب قوة وسطوة تلك المناطق.

ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد بل أن خوف وفزع الأتراك كان يذهب بهم إلى حد التوقف عن عزف الموسيقى وضرب الطبل عند اقترابهم من منطقة بيبان الحديد وذلك حتى لا يثيروا غضب قبائل بني عباس التابعة لأولاد مقران المسيطرة على الممر، حيث يذكر لنا نفس الرحالة « أن الجيش التركي كان يضطر إلى تخفيض رايته عند اقترابه من ممر صعب وخطير يدعى بيبان الحديد وكان سكان المنطقة يجبرونه على الخضوع ودفع ضريبة العبور».[4]

ويصف لنا هذا الرحالة الصعوبة التي كان يواجهها الأتراك أثناء عبورهم ممر البيبان الشديد الضيق، فيقول « لقد شعرنا بخوف وفزع شديد عندما وصلنا المنطقة، إلى درجة أننا لم ننم الليل كله، وكان الأتراك في مدينة الجزائر وقسنطينة يتهجون فرحا

---

[1]- Peyssonnel et Desfontaines : op, cit, p374.

[2] – تقع في شمال شرق مدينة برج بوعريريج. و تبعد عنها ب 32 كلم.

[3]- Peyssonnel et Desfontaines : op, cit, p374.

[4]- Peyssonnel et Desfontaines: op. cit, p209.

ويطلقون عدة طلقات بمدافعهم عندما تصلهم الأخبار بان المحلة قد عبرت بيبان الحديد بسلام، وكان الخليفة يضطر إلى تفادي المرور عبر مضيق البيبان عندما يعلم أن القبائل في استعداد للهجوم على القافلة، بسلوك طريق الحضنة، وهو شاق وطويل لكنه آمن»[1].

وتكمن خطورة هذا الممر الصعب في ضيقه الشديد والجبال الشديدة الانحدار المحيطة به، مما يسهل على عدد قليل من الرجال قطعه، وسده بالحجارة فقط ودون عناء كبير، كما يمكن لعدد قليل من الرجال أيضا التعرض لجيش كبير وذلك برمي الحجارة عليه من الأعلى أو دحرجة جذوع الأشجار الضخمة، فيستحيل العبور منه.[2]

وفي نفس السياق يذكر الطبيب الإنجليزي شو(Shaw) الذي أقام بالجزائر بين سنتي 1720-1730، أن الشيخ بوزيد حاكم بني عباس كان يحكم المملكة من مبنى القلعة، وأن هذا الشيخ كان باستطاعته تجهيز قوة تتكون من أكثر من 3000 مقاتل من المشاة و1500 فارس في الحين، وأكد أيضا أن قوته تفوق قوة إمارة كوكو، وأن مملكته تشتهر بصناعة البرانس والحياك والأسلحة النارية.[3]

وقد أدت ضرورة اتصال الحكام الأتراك ببايلك قسنطينة وضمان سلامة وأمن الطريق السلطاني الذي يمر عبر مضيق البيبان، إلى النزول عند رغبة شيوخ مجانة الذين كانوا يسيطرون على المضيق، وذلك من خلال دفع مستحقات العبور أو كما تسمى ضريبة العسة.

وأمام نفوذ الأسرة المتزايد في هذه المنطقة الاستراتيجية، في ظل حكم قوي ومتماسك، فإن الحكام الأتراك كانوا يتحينون الفرص للقضاء على الأسرة، وكانوا يعملون جاهدين على إثارة الفتن والصراعات بين شيوخها لإضعافها، وفي نفس الوقت

---

[1]- أحمد سيساوي: **النظام الإداري ببايلك الشرق الجزائري**، ص ص25-24.

[2]- Peyssonnel et Desfontaines : op. cit, p210.

[3]- Thomas. Shaw : **Voyage dans la Régence d'Alger**, Tunis, 1980, p347.

كانوا يحاولون التقرب من شيوخ الأسرة بشتى الأساليب، وذلك عندما يكونون في حاجة إلى السلم معهم، كمواجهة الخطر الخارجي مثلا كما حدث عام 1664.

ب- علاقة الود والتعاون:

لقد نجح العثمانيون في فرض سلطتهم على الريف الجزائري من خلال تدعيم سلطتين، السلطة الروحية وتتمثل في لجوئهم لأهل الصلاح والخير وأهل الطرقية والتصوف يتزلفونهم ويحمونهم ويطلبون بركاتهم ودعوتهم على الرعية، والسلطة الدنيوية التي تتمثل في شيوخ القبائل وقواد العشائر، الذين كانوا يمدونهم بالسيف والبرنس ويقطعونهم الأراضي ويضيفون إلى ذلك بعض الحاميات العسكرية في الوقت المناسب لتأديب الناقمين عليهمم وتخويف الباقين من السكان [1]، وتعتبر أسرة أولاد مقران من أهم الأسر التي اعتمد الحكام الأتراك عليها في تثبيت حكمهم بالجهة الغربية من بايلك الشرق.

وكان التحالف والتعاون العسكري من بين مظاهر التي طبعت العلاقات الحسنة التي كانت تربط بين شيوخ أولاد مقران حكام مجانة والحكام الأتراك باشوات وبايات، وبالرغم من أن أولاد مقران لم يكونوا من رجال المخزن وكانوا يتمتعون بالاستقلال عن الحكم العثماني، إلا أنهم كانوا من القوات التي دافعت بقوة عن مدينة جيجل عندما تعرضت إلى حملة عسكرية بحرية عام 1664 بقيادة الدوق دو بوفورت(Duc de Beaufort) حيث تمكن الفرنسيون من احتلالها لبضعة أشهر، فكان على الحكام الأتراك الدفاع عن المدينة وطرد الفرنسيين منها، وقد هبت القبائل المجاورة لتقديم يد المساعدة لتحرير المدينة، وكان أولاد مقران ممن لبى الدعوة إلى الجهاد، حيث أرسل سيدي بتقة

---

[1]- أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي من القرن العاشر إلى القرن الرابع عشرا لهجري(10-20م)، ج1، ش. و. ن. ت، الجزائر 1981، ج1، ص151.

شيخ بحانة قوة عسكرية للمساهمة في طرد الفرنسيين من المدينة[1]، ورغم أن المؤرخين لم يذكروا لنا تفاصيل أكثر حول هذه المشاركة، كما أنهم لم يذكروا لنا أيضا هل كانت مشاركتهم بطلب من الباشا؟ أم أنهم شاركوا في صد هذه الحملة شعورا منهم بأن الخطر لن يتوقف عند مدينة جيجل وربما يمتد إلى منقطة نفوذهم؟

ومن المعلوم أن الفرنسيين قد منيوا بهزيمة نكراء واضطر من بقي منهم أحياء إلى ترك الذخيرة وعدد كبير من المدافع وراءهم، وقد قدر الكاتب العسكري الفرنسي إرنست واتبلد Ernest Watbled عدد تلك المدافع بثلاثون(30) مدفعا من الفولاذ وخمسة عشر(15) مدفعا من الحديد وأزيد من خمسين (50) مدفعا من المورتي، و يذكر نفس الكاتب أن القبائل التي شاركت في الدفاع عن المدينة قامت بنقل أغلب تلك المدافع إلى قلعة بني عباس، كدليل على الانتصار، واستخدموها في الدفاع عن القلعة وتحصينها.[2]

وقد أشار إلى ذلك المؤرخ الأمريكي جون وولف أيضا حيث يذكر أن الجزائريين رموا بالفرنسيين في البحر فخسروا كل مدافعهم التي كان عددها (35) مدفعا من النحاس و (15) مدفعا من الحديد [3] وعندما وصل الفرنسيون إلى المنطقة لأول مرة في عام 1839 وجدوا تلك المدافع تحت ملكية قبائل بني عباس، حسب ما يعلق سعد

---

[1]- Ernest Watbled:« Expédition du Duc de Beaufort contre Djidjeli 1664», in, **R.A**, n°: 18, 1873, p228.

أنظر كذلك: Grammont: op. cit, p183 et suites.

وكذلك: أحمد توفيق المدني: المرجع السابق، ص40 وما يليها.

[2]- Ernest. Watbled: op. cit, p229.

[3] – ج. ب. وولف: **الجزائر وأوروبا**، ترجمة وتعليق، أبو القاسم سعد الله، م. و. ك، الجزائـــر، 1986، ص ص 316-317.

الله في الهامش على كتاب جون وولف[1]، وقد خص كل من الكاتبين فايسات[2] ومترو [3] تلك المدافع بمقالات في المجلة الأثرية لمقاطعة قسنطينة.

ومهما اختلف في عدد تلك المدافع، فإن الأمر الأكيد هو أن مشاركة أولاد مقران في هذه الحملة كانت قوية وفعالة، ولا شك أنهم استفادوا كثيرا من تلك المدافع في صراعهم مع السلطة العثمانية.

ومن المؤكد أن الشيخ سيدي بتقة لجأ إلى الزاوية كما سبقت الإشارة إلى ذلك والتفرغ للعبادة وطلب العلم، بعد المشاركة في صد الحملة الفرنسية.

وقد ترك الشيخ سيدي بتقة لأبناءه الأربعة بوزيد وعبد الله وعزيز ومحمد المدعو القندوز[4]، سمعة طيبة واحترام وتقدير سكان المنطقة له، واستطاع أن يحافظ على المكانة والنفوذ الذي ورثه عن والده وأجداده فهل سيتمكن ابناءه من المحافظة على تلك المكانة والنفوذ؟

ولم يكن سيدي بوزيد الذي تولى حكم المشيخة بعد وفاة والده تنقصه الحكمة والصلاح ولا الحرص على الحفاظ على المكانة والنفوذ الذان ورثهما عن الأجداد [5]، لكن يبدو أنه سيواجه صعوبات كبيرة في حكمه للمشيخة كما يذكر فيرو، وذلك بسبب الصراع الذي بدأت بوادره في عهده بين إخوته على الحكم وستعرف الأسرة في عهده أيضا بداية الضعف بسبب ذلك الصراع.

---

[1] - ج. ب. وولف: المرجع نفسه، ص317.

[2]- E. Vayssettes: « notice sur les canons de la Kalaa des Beni Abbas », in **R. S. A. C**, 1865.

[3]- A.Maitrot: « quelques armes curieuses des dépôts de Constantine », in, **R.S.A.C**, 1910.

[4] - القندوز كلمة بربرية تعني العجل، وتطلق على الابن الأصغر في العائلة، وقد ذكر ابن خلدون أنه كان على رئاسة فرع المطرفة في حوالي عام 1300م القندوز وعبد السلام، وهما اسمان سيحملهما فيما بعد فرع أولاد القندوز وفرع أولاد عبد السلام.

[5]- Ch. Féraud: op. cit, p246.

ولكي يبعد إخوته عن الصراع على الحكم كان عليه أن يستعمل أسلوب الحكمة والدهاء فقام بمساعدة أخيه عبد الله على امتلاك ثروة هائلة من الأراضي والمواشي ويذكر فيرو أنه أدى فريضة الحج ثمان مرات، وعين أخاه عزيز مساعدا ومستشارا له، في حكم المشيخة، فيما جعل من محمد القندوز حاكما على منطقة الحضنة، وكان هذا الأخير طموحا يتطلع إلى الزعامة بتحريض من أتباعه، فكان سيدي بوزيد يحاول كبح جماحه، ولكنه لم يتمكن من إيقاف طموحه، ووصل به الحد إلى إعلان الثورة ضد أخيه بوزيد، الذي تمكن من التغلب عليه في إحدى المواجهات ووضعه في السجن، ثم أطلق سراحه بعد أن تعهد له بالطاعة والولاء وعدم العودة إلى التمرد عليه، إلا أنه أبقاه تحت رقابته خشية أن يعود إلى التمرد و الثورة من جديد [1] وذلك حرصا منه على الحفاظ على تماسك المشيخة، حتى لا تتحول لقمة سهلة للأتراك والقبائل المتربصة بها.

وقد حاول الأتراك عبور ممر البيبان في عهد سيدي بوزيد مرتين متتاليتين حسب ما يذكر فيرو، دون دفع ضريبة العبور، لكنه تمكن من التصدي لهم وإرغامهم على الاعتراف بسيادته على تلك المنطقة، وتعهدوا على أن يدفعوا له ضريبة سنوية ويرسلوا له برنوس الاعتراف والتولية كل سنة مع هدايا معتبرة، وفي مقابل ذلك كلن شيخ أولاد مقران يسهر على حماية عساكرهم أثناء عبورهم المنطقة، وقد استمر الأتراك في دفع تلك الضريبة حتى نهاية حكمهم بالجزائر [2].

وكان الشيخ بوزيد منذ هذا الاتفاق مجبرا على مرافقة الجيش التركي مع فرقة من خيالة قبيلة الحشم حتى منطقة سيدي مبارك شرقا، [3] كما أقام مراكز الحراسة على طول ممر البيبان الصعب، خوفا من تعرض قطاع الطرق واللصوص و قبائل المنطقة للأتراك. [1]

---

[1]- Ch. Féraud: op. cit, p247.

[2]- L.Rinn: op, cit, p13.

[3]- محمد بن علي شغيب: المرجع نفسه، ص126.

وكان الأتراك يبعثون مع الحاميات التي كانت تعبر المنطقة التابعة لأولاد مقران بهدايا معتبرة تتمثل في السيوف التركية المرصعة بالذهب والفضة، ونقود وأسلحة وألبسة فاخرة وبرانس حمراء من النوع الجيد لأسياد مجانة، كما أن للقبائل التي كانت تحرسهم عند عبورهم المنطقة نصيب من تلك الهدايا حيث كان الأتراك يوزعون عليهم عدد من الخرفان والعجول والنقود حسب ما تذكر المصادر.[2]

غير أن ذلك لا يعني استسلام الحكام الأتراك لإرادة شيخ مجانة، بل أنهم كانوا يحاولون من حين لآخر التحرر من قبضته وعبور مضيق البيبان دون دفع الضريبة، لكن الشيخ سيدي بوزيد كان يقف لهم بالمرصاد وكان يتصدى لمحاولاتهم ويرغمهم في كل مرة على الدفع.[3]

ولم يكن يشغل الأتراك القيمة المادية لتلك الضريبة بقدر ما كانت تشغلهم قيمتها المعنوية، ذلك أن الضريبة كانت تعتبر رمز الولاء والتبعية، والامتناع عن تأديتها كان يعني بالنسبة للأتراك التمرد والعصيان وعدم الاعتراف بحكمهم.

ويبدو أن علاقة أولاد مقران بالأتراك قد تحسنت في أواخر عهد حكم الشيخ سيدي بوزيد، ذلك أن بورنان بن بوزيد بن بتقة كتب إلى إبراهيم داي عام 1732 يطلب منه السماح له بالمشاركة بجيشه في حملة تأديبية ضد باي تونس الذي تمرد و امتنع عن دفع الضريبة السنوية التي اعتاد أسلافه دفعها لحكام الجزائر، فاستجاب الداي لطلبه، فسار على رأس جيش مع شيخ العرب بوعزيز بن قانة، وذلك لمساعدة الجيش التركي فتم إخضاع الباي وإرغامه على دفع الضريبة.[4]

---

[1]- Ch. Féraud: op. cit, p248.

[2]- E. Mercier: **Histoire de Constantine**, p250.

[3]- Ch. Féraud: op. cit, p249.

[4] - أحمد بن مبارك العطار: **تاريخ قسنطينة**، تحقيق رابح بونار، ص54.

أنظر كذلك:

E. Mercier: op. cit, p251.

إن هذه المبادرة من أحد شيوخ أولاد مقران حكام مجانة إن كانت هذه المعلومات صحيحة تدل على تتبعهم للأحداث السياسية المحيطة بهم من جهة، كما أنها تدل أيضا على علاقتهم التي يبدو أنها كانت حسنة مع شيوخ العرب من أسرة بن قانة في الصحراء من جهة أخرى.

وبعد حكم الشيخ بوزيد بن بتقة مشيخة مجانة مدة طويلة من الزمن (54عاما) كانت مليئة بالأحداث، استطاع خلالها أن يفرض سيادة الأسرة في المنطقة، كما تمكن بفضل سياسته الحكيمة من الحفاظ على تماسك الأسرة، وفرض على الأتراك احترام استقلال المشيخة، توفي في حوالي عام 1734 [1] فهل سيحافظ أبناءه وأحفاده على مكانة ونفوذ الأسرة من بعده؟ كما حافظ هو عليها وقاوم الأتراك من أجل سيادة واستقلال الشيخة؟ هذا ما سنتناوله في العنصر الموالي من هذا الفصل.

ج- علاقات المصاهرة بين أولاد مقران حكام مجانة مع الأتراك:

لقد كان الأتراك حريصين منذ الأيام الأولى من مجيئهم إلى الجزائر على الارتباط بالأسر الكبيرة ذات النفوذ والمكانة في وسط السكان، وكانت إمارتي كوكو وبني عباس من أشد المقاومين للأتراك في بداية عهدهم، وتيقن الأتراك أن مواجهة هذه الإمارات بالقوة لن يجد نفعا، فاتخذت من سياسة المصاهرة معها وسيلة للتقرب منها، لمساعدتهم في مد سلطتهم على كامل تراب الإيالة.

ويعتبر خير الدين باشا أول من صاهر سكان الإيالة الجزائرية، حيث تزوج من أرملة الشيخ سالم التومي وأنجب حسن باشا الذي ارتبط هو الآخر بالأهالي عندما تزوج من إبنة أحمد ابن القاضي أمير كوكو عندما رفض عبد العزيز سلطان قلعة بني عباس تزويجه ابنته كما سبقت الإشارة إلى ذلك في الفصل الأول.

---

[1]- Rinn: op. cit, p14.

ولم يقتصر إرتباط الحكام الأتراك عن طريق المصاهرة بأسرة أولاد مقران على الأوائل فقط، بل لقد سعى حكام آخرون إلى التقرب من أولاد مقران طوال فترة حكمهم للإيالة الجزائرية ومصاهرتهم، نظرا للنفوذ الكبير الذي كانوا يتمتعون به في المنطقة وبدافع الارتباط بالأسر الشريفية أيضا، حيث يخبرنا فايسات أن علي باي بن صالح 1710-1713 [1] قام بتزويج بناته الثلاث لشيوخ أولاد مقران، وعلى رأسهم كبير الأسرة الحاج بن بوزبد المقراني الذي تزوج البنت الكبرى تركية، وتزوج أحمد بن بورنان من خديجة.[2]

وذكر العنتري كذلك أن الباي أحمد القلي [3] تزوج من الدايخة بنت بوزيد المقراني شيخ مجانة، وهي التي أنجبت له محمد الشريف والد أحمد باي آخر بايات قسنطينة، وذلك لأن زوجته الأولى لم تنجب له الأولاد، كما هدف من وراء هذه المصاهرة إلى الاستفادة من نفوذ أسرة أولاد مقران من أجل مساعدته على استقرار المنطقة الغربية من بايلك قسنطينة،[4] ثم زوج الباي أحمد القلي إحدى بناته وهي من أم

---

[1] – بعد أن أدى هذا الباي فريضة الحج، استقر بزاوية سيدي أحمد بن علي بمجانة حيث تفرغ فيها للعبادة إلى وفاته.

[2]- Eugène Vayssettes : **Histoire de Constantine sous la domination Turque (1517-1837)**, édition Bouchène, 2002, p98.

[3] – سمي بالقلي لعمله لمدة طويلة كآغا النوبة بالقل.

[4] – أحمد سيساوي: **فريدة مؤنسة في حال دخول الترك قسنطينة واستيلائهم على أوطانها وذكر شيء مستفاد من سيرة بايائها في انقضاء دولتهم واحتواء الفرنسيين على مملكتهم**، المشهور ب (تاريخ بايات قسنطينة)، لمحمد الصالح العنتري، بحث قدم لنيل، ش.د.م. في التاريخ الحديث، معهد العلوم الاجتماعية، جامعة قسنطينة، 1983، ص، 140.

وكذلك:

- Eugène. Vayssettes : op. cit, p69.

مقرانية، إلى صالح باي الذي كان حينها في منصب الخليفة [1]، وبذلك تقرب صالح باي من أولاد مقران، ولا شك أنه استفاد من هذه القرابة فيما بعد عندما أصبح بايا على قسنطينة 1771-1791.

وحسب جميلة معاشي فإن الباي حسن بوحنك 1792 - 1796 مصاهر أسرة أولاد مقران لتقوية مركزه وسلطته بالمنطقة [2] التي لم تكن تخضع جيدا لسلطة الأتراك حسب ما جاء في رحلة الورثلاني.

وقد سعى الحاج أحمد باي آخر بايات قسنطينة إلى ربط علاقات متينة مع الأسر المحلية الكبيرة ذات السلطة والتأثير القويين في مناطق حكمها بايلك الشرق، لإدراكه مدى أهمية الارتباط بها في استقرار حكمه للبايلك، وذلك عن طريق مصاهرتها، فتزوج من ابنة بن قانة سادة الصحراء، [3] و تزوج من عيشوش ابنة عبد السلام المقراني [4] وصاهر سادة فرجيوة وزواغة أيضا.

و لم تتوقف سياسة المصاهرة مع أولاد مقران وغيرهم من الأسر الكبيرة على الحكام الأتراك فقط، بل نجد حتى القادة العسكريين والجنود الانكشاريين ارتبطوا بأولاد مقران عن طريق المصاهرة، وحسب الدراسة التي قدمتها ليلى بابس، توصلت إلى أنه من بين 36 حالة زواج جنود وقادة الجيش الانكشاري ببرج زمورة ابتداء من القرن 18م سجلت 16 حالة زواج من أسرة أولاد مقران.[5]

---

[1]- فاطمة الزهراء قشي: **قسنطينة المدينة والمجتمع في النصف الثاني من القرن 13ه**، رسالة دكتوراه في التاريخ، جامعة تونس الأولى، 1998، ص 111.

أنظر كذلك،

M. Gaid : **Chronique des Beys de Constantine**, p3

[2] - جميلة معاشي: المرجع نفسه، ص206.

[3]-A. Dj. Temimi: **Le Beylik de Constantine**, p 61.

[4]- M. Gaid : op. cit, p268.

[5]- Leila. Babes: **Tribus. Etats, pouvoir général, pouvoir locale, dans le Beylik de Constantine**. p13.

ويبدو أن علاقة القرابة التي كانت تجمع صالح باي[1] بأولاد مقران جعلت منه يتقرب أكثر من هذه الأسرة ويحسن علاقته معها، وقد استفاد من تلك العلاقة في فترة حكمه البايلك قسنطينة وذلك من خلال مساعدة أولاد مقران له في مد نفوذ الحكم التركي على الكثير من المناطق بالبايلك، حيث تحالفوا معه في حملته على تقرت عندما أعلن سلطانها فرحات بن جلاب العصيان، وتمكن من إخضاعه.[2]

وبعد استرجاع وهران من الاحتلال الأسباني ذهب أولاد مقران لتهنئة صالح باي محملين بهدايا معتبرة وكان يتزعمهم حينها ابن عبد السلام[3]، وهذا يدل حسب اعتقادنا على العلاقة الحسنة التي كانت تجمع هذا الباي بشيوخ أولاد مقران.

كما أنهم ساعدوه أيضا في حملته ضد باي تونس عام 1787 [4] غير أن معاملته للأسر الكبيرة قد تغيرت في آخر عهده، الأمر الذي جعل أولاد مقران يمتنعون عن تأييده في محنته عندما قام باغتيال الباي الذي أرسله الباشا ليحل محله، وأعلن تمرده، ولم يتوقف الأمر عند عدم التأييد والمساندة فحسب، بل أنهم انضموا إلى جيش حسن باي مبعوث الداي، وهو في طريقه من الجزائر إلى قسنطينة للقضاء على تمرد صالح باي،

---

[1] - يعتبر صالح باي من أهم وأشهر البايات الذين حكموا بايلك قسنطينة، حكم البايلك من سنة 1771م إلى 1791م، لمزيد من المعلومات حول هذا الباي، يراجع:

-Eugène Vayssettes : op. cit, p221 et suivantes.

[2] - ناصر الدين سعيدوني: **دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر – العهد العثماني**- م. و. ك، الجزائر، 1984، ص73.

أنظر كذلك تفاصيل الحملة على بني جلاب في:

- معاد عمراني: المرجع نفسه، ص43.

[3]- Gaid : op, cit, p 43.

[4]- Gaid: Idem, p34.

الذي قتل إبراهيم باي [1]، ويعود هذا التحالف حسب ما يذكر بعض المؤرخين والكتاب إلى أن حسن باي كان صهرا لأولاد مقران.[2]

وبالرغم من أن الحكام الأتراك كانوا يهدفون من وراء مصاهرتهم لأسرة أولاد مقران إلى إخضاع الأسرة و الاتصال ببايلك قسنطينة دون صعوبات، إلا أنهم على ما يبدو لم يفلحوا في تحقيق ذلك، فقد كان الأتراك عند عبورهم منطقة نفوذ أولاد مقران مجبرين على دفع ضريبة العبور، التي يذكر الفرنسيين أن أولاد مقران والقبائل التي كانت تحرص الممر، طلبوا من الفرنسيين أثناء عبورهم بيبان الحديد عام 1839 بقيادة ابن الملك الدوق أورليان، دفع ضريبة العبور، وكان الخليفة أحمد المقراني برفقتهم، فدفعوا لهم تفاديا للاشتباك معهم رغم تفوقهم العسكري.[3]

ومن خلال ماسبق يمكننا الاستنتاج أن الأتراك كانوا يهدفون من وراء ارتباطهم بشيوخ أسرة أولاد مقران سواء بقلعة بني عباس أو بمشيخة مجانة، إلى الاستفادة من النفوذ والمكانة الدينية والسياسية التي كانوا يتمتعون بها في المنطقة الغربية من باياك الشرق، وبالتالي ضمان أمن واستقرار تلك المنطقة، وجمع الضرائب منها كدليل على

---

[1] – لمزيد من المعلومات أنظر **مذكرات أحمد الشريف** الزهار، تقديم توفيق المدني، ص 106.

أنظر كذلك: أحمد بن مبارك العطار: المرجع نفسه، ص72، وما يليها.

[2] – ناصر الدين سعيدوني: المرجع نفسه، ص، 73.

أنظر أيضا، كاتكارت: **مذكرات أسير الداي كاتكارت، قنصل أمريكا في المغرب**، ترجمة وتعليق، إسماعيل العربي، د.م.ج، الجزائر، 1982، ص119.

و كذلك، علي تابليط: « مدينة قسنطينة في الفترة العثمانية»، جريدة **السلام**، عدد 1558، الخميس 1996/12/12، ص18.

- Ch. Féraud: op. cit, p207.

أنظر كذلك:

I . Rinn: op. cit, p12.

خضوعها وولاءها للحكم التركي، بالإضافة إلى محاولتهم الارتباط بالأسر الشريفية جريا وراء الحصول على النسب الشريف.

- مهام شيخ أولاد مقران:

لقد كان شيخ أولاد مقران في منطقة حكمه [1] بمثابة الوسيط بين الحكام الأتراك والأهالي، ونظرا لمكانة الأسرة المتنفذة فقد كان شيوخها بمثابة اليد الخفية للبايات في ممارسة سلطتهم على الأرياف بطرق غير مباشرة، وكان اتصال شيخ أولاد مقران بايات قسنطينة يكون مباشرا وذلك عندما يقوم الباي بتوجيه الدعوة له إلى لقاءه بمقر حكمه للبايلك، أو من خلال زيارة الباي للأقاليم، أو عن طريق خليفته [2].

و تذكر جميلة معاشي أن شيخ أولاد مقران كان يتعامل في أغلب الأحيان مباشرة مع الباشا، وذلك لقرب منطقة حكمه من مقر السلطة المركزية بدار السلطان بالجزائر [3]، وأما عن مهام شيخ أولاد مقران الذي كان يزكيه الباي شخصيا على مجانة والمناطق التابعة لها، فكانت تتمثل في الإشراف على توزيع الأراضي الزراعية وتنظيم ملكيتها بين العائلات، ومراقبة كمية ونوعية الإنتاج، واستخلاص الضرائب وتسليمها للمسئول الذي يبعثه عادة الباي لهذا الغرض [4].

ويكون مع الخليفة عادة الموظف المكلف بالمهمة مع قوة من الجيش التركي، وكان الشيخ يشرف أيضا على تنظيم الأسواق الموجودة في منطقة نفوذه، ويراقب أعمال البيع

---

[1] - أنظر الملحق رقم 9.

[2] - فلة القشاعي: النظام الضريبي بالريف القسنطيني، ص43.

[3] - جميلة معاشي: المرجع نفسه، ص140.

[1]- Louis de Boudicourt : **La guerre et le gouvernement de l'Algérie**, Paris, 1853, p273.

والشراء بها ويستخلص الغرامات والمكوس من البائعين [1] حيث يقوم باقتطاع جزء من تلك الغرامات والمكوس لصالحه، بالإضافة إلى المبلغ الذي كان يقتطعه من مجموع الضرائب المستخلصة، كما كان شيخ مجانة يتمتع بامتياز آخر لا يقل أهمية عن الأرباح التي كان يجنيها كمقابل خدمته للحكام الأتراك، يتمثل في حقه في استغلال الأراضي الزراعية عن طريق التويزة واستخدام الخماسين، الأمر الذي كان ينتج عنه في أغلب الاحيان استغلال الطبقات المحرومة والمعدومة الإمكانيات المادية كما تذكر فلة القشاعي[2].

ومقابل ذلك كله كان على شيخ مجانة أن يدفع ضريبة سنوية إلى البايلك، والقيام بحراسة وحماية القوافل العسكرية التركية عند عبورها منطقة البيبان، أثناء اتجاهها من مدينة الجزائر إلى قسنطينة أو من الجزائر إلى بسكرة عبر طريق المسيلة [3].

وقد كانت حماية وسلامة الطريق السلطاني الرابط بين دار السلطان وبايلك قسنطينة، تشكل إحدى الانشغالات والاهتمامات الأساسية للحكام الأتراك، وذلك لضرورة ربط الأقاليم ببعضها البعض، وإحباط كل محاولة ممكنة من بايات الإقليم للانفصال أو التمرد عن الحكم المركزي، ولذلك كان شيوخ أولاد مقران مسئولون عن حماية هذا الطريق، وكانت مسألة التعامل معهم بأسلوب الليونة في غالب الأحيان في غاية الأهمية.[4]

وقد قدر سعيدوني أن عدد أفراد القوافل التي كانت تعبر ممر البيبان الذي كان يحرسه أولاد مقران، بما فيهم الحجيج والعسكر والتجار، ب12000 عابر، ونحو

---

[1] – فلة القشاعي: النظام الضريبي، ص57.

[2] – المرجع نفسه، ص125.

[3]- E. Carette : op. cit, p65.

[4]- Pierre Boyer : **l'évolution de l'Algérie médiane (ancien département d'Alger) de 1830 à 1956**, librairie d'Amérique et d'Orient, Adrien Maisonneuve, Paris, 1960, p65-67

8000 جمل وحصان محملين بالبضائع، وكان عبور المنطقة التي توجد بها المضايق والتي تعتبر من أخطر المضائق في الطريق المؤدي من الجزائر إلى قسنطينة أو العكس يستغرق مدة 48 ساعة.[1]

3- الصراع بين أولاد مقران شيوخ مجانة:

لقد تمكن سيدي بوزيد بفضل حنكته وحسن سياسته من تأجيل الصراع الذي ظهرت بوادره مباشرة بعد وفاة الشيخ سيدي بتقة عام 1680 بين الإخوة، غير أن ذلك الصراع سرعان ما انفجر بعد وفاته عام 1734، وإن كان أجداد أولاد مقران الأوائل قد أسسوا مملكة حقيقية كانت تقف الند للند مع الحكام الأتراك، واستطاعوا مد نفوذهم على مناطق واسعة في بايلك قسنطينة، (مجانة وبني عباس والحضنة وأولاد نايل ومنطقة الزاب جنوبا)، فإن أحفادهم على ما يبدو لم يحافظوا على تلك المملكة الواسعة الأرجاء، واحتفظوا فقط بلقب أسياد مجانة وبني عباس[2].

فلما توفي الشيخ سيدي بوزيد ترك أربعة أبناء هم: عبد ربه وهو الإبن الأكبر، الحاج، بورنان وعبد السلام، وكلهم من أم واحدة هي الحاجة زوينة، من قبيلة أولاد عبد الله بواد الجنان ناحية سور الغزلان، فتسلم إبنه الثاني الحاج حكم المشيخة بعد أن تنازل له عنها أخاه الأكبر عبد ربه، وبموافقة بقية الإخوة بورنان وعبد السلام أيضا، وكان بورنان رجل حرب يمضي معظم أوقاته في الصيد والحرب، وكرس حياته في مطاردة قبيلة أولاد ماضي المتمردين عن المشيخة، حيث تمكن من تفريقهم وتشريدهم في الصحراء، وفي النهاية أعلنوا استسلامهم و خضوعهم ودفع الضريبة له.[3]

---

[1] - ناصر الدين سعيدوني والشيخ المهدي البوعبدلي: المرجع نفسه، ج4، ص60.

-E. Mercier: **Histoire de l'Afrique**, p141.

- Ch. Féraud: op. cit, p253.

وأما فيما يتعلق بعلاقة أولاد مقران بالأتراك في بداية عهد حكم الحاج بن بوزيد، فيبدوا أنها تميزت بالاستقرار والسلم طالما كان هؤلاء يدفعون ضريبة عبورهم منطقة البيبان، غير أن الأتراك لم ينعموا طويلا بتلك الفترة، ذلك أنه في عام 1737 حدثت واقعة خطيرة حسب ما يذكر فيرو تسببت في عودة الحرب بين أولاد مقران والأتراك، ويورد نفس الكاتب قصة اعتداء خليفة باي قسنطينة الحاج بكير على أمهم الحاجة زوينة، حيث طلبها للزواج في طريق عودتها من الحج وذلك طمعا منه في الارتباط بالأسرة، فلما رفضت، حاول أن يرغمها ويعتدي عليها، وعندما وصلت إلى تونس أرسلت إلى أبناءها الأربعة، تشكو لهم ما صدر من الخليفة وطلبت منهم الانتقام منه، وبعد مدة قصيرة أرسل باي قسنطينة هذا الخليفة إلى مدينة الجزائر ينوبه في أداء واجب الدنوش [1] فتعرض له أولاد مقران بمجانة وقاموا باغتياله وإبادة كل أفراد الحامية العسكرية التي كانت ترافقه في رحلته واستولوا على ما كانوا يحملونه من أموال وهدايا[2].

---

[1]- دنوش (Dönüs) هي كلمة تركية تعني العودة، وهو مصطلح كان متداول لدى الأتراك في حكمهم للإيالة، ذلك أن البايات كانوا يعودون للوقوف أمام الباشا بمدينة الجزائر كل ثلاث سنوات، حاملين الهدايا والأموال المستخلصة من أقاليم حكمهم، وكان الباشا إما يعيد تثبيت الباي في منصبه أو يعزله، وقد يأمر بقتله إن صدر منه ما يستحق القتل، وذلك استنادا إلى التقارير التي كانت تصل إلى الباشا عن البايات بصفة مستمرة، وهذا الأسلوب في الحكم كان له الدور الفعال في منع البايات في التفكير في الانفصال عن الحكم المركزي.أنظر:

خليفة إبراهيم حماش: **العلاقات بين إيالة الجزائر والباب العالي من سنة 1798م إلى 1830م**، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الإسكندرية، 1988، ص ص 87-88.

- L. Rinn: op. cit, p13.

ونحن نشك في صحة ما أورده فيرو لأنه الوحيد الذي ذكر هذه القصة، رغم خطورتها وأهميتها، وربما اختلق القصة من خياله في محاولة منه الإساءة إلى الحكام الأتراك والنيل منهم.

وبناء على رواية فيرو عزم باشا الجزائر على الانتقام من أولاد مقران بعدما وصلته الأخبار عن تلك المجزرة التي ارتكبوها في حق القافلة، فأرسل حملة عسكرية كبيرة في عام 1740 لإنزال العقاب بالمذنبين، مدعمة بمقاتلي المخزن، وفرقة بقيادة عزيز بن القندوز المنشق عن الأسرة والذي كان قد أعلن ولاءه للأتراك وأصبح حليفا وعونا لهم ضد أبناء عمومته [1] مدعما هوالآخر من قبيلة أولاد ماضي حلفاء والده، ولما وصلت القوة التركية إلى المنطقة خيمت بمجانة، التي تمكن الأتراك من الاستيلاء عليها للمرة الثانية حيث انسحب شيوخ أولاد مقران إلى جبل متنان [2] وأعادوا بناء البرج الذي بناه البايلرباي حسن باشا أول مرة عام 1559 وقام السلطان عبد العزيز بتهديمه في نفس العام كما سبقت الإشارة إلى ذلك [3]، وقد ظل الجيش التركي بمجانة في انتظار عودة شيوخها الذين كانوا يراقبونهم من أعلى الجبل حيث كانوا يتحصنون، وأمام هذا الوضع لم يقف الأتراك طوال فترة مكوثهم بمجانة مكتوفي الأيدي بل كانوا يعملون على زرع بذور الشقاق والخلاف بين صفوف أولاد مقران، وظلوا يحاولون تفريقهم بتوزيع الأموال على بعضهم، حتى تمكنوا من ذلك.[4]

ويبدو أن نبوءة المرابط يحي العيدلي قد صدقت حسب ما يذكر الورثلاني في رحلته حيث يقول: « ذهبت لزيارة ضريح الشيخ الولي الصالح والبدر الواضح ترياق

---

[1] – هو ابن محمد القندوز ابن الشيخ بوزيد بن بتقة، (وهو ابن عم الحاج بن بوزيد شيخ مجانة)

[2] – كانت المرة الأولى عام 1559م عندما تمكن حسن باشا ابن خير الدين من احتلالها، لكن السلطان عبد العزيز قام باستعادتها بعد مغادرة الباشا لها.

[3] – يقع هذا الجبل بتافرطاست، قرب مجانة.

[4]- Ch. Féraud: op. cit, p254.

وطنه وأمير بلده سيدي أحمد بن عبد الرحمن جد أولاد مقران والله اعلم تلميذ الشيخ يحي العيدلي،[1] وقد سمعت أنه قال للشيخ سيدي يحي إني رأيت في النوم النار تخرج من بولي، فعبرها له الشيخ بأن قال: يصير منهم أي من أولاده ما يصير من الظلم والجور، وكان الأمر ما ذكر ولعل بركة جدهم تعمهم وكذا الشرف ».[2]

ومن الملاحظ أنه منذ وفاة بوزيد لم تعرف المنطقة الاستقرار والهدوء حتى الاحتلال الفرنسي عام 1830، حيث أصبحت الدسيسة والمؤامرة والاغتيالات أمرا مألوفا لدى أفراد الأسرة الذين انقسموا فيما بعد إلى عدة صفوف أو فروع، وظلت الأسرة على تلك الحال حتى نهاية الحكم العثماني، فهل كان للحكام الأتراك يد في انفجار ذلك الصراع؟ وكيف كان موقفهم منه؟

4- موقف الحكام الأتراك من صراع شيوخ أولاد مقران بمجانة:

يتفق أغلب المؤرخين ومنهم الفرنسيين خاصة على أن الحكام الأتراك منذ تأسيسهم الإيالة وهم يعتمدون أسلوب فرق تسد ويذكرون أن السر في بقاءهم بالإيالة طول تلك المدة يرجع إلى تنفيذهم ذلك الأسلوب، فهل ينطبق هذا الحكم على أسرة أولاد مقران؟.

لقد زاوج الحكام الأتراك في تعاملهم مع أسرة أولاد مقران بين أسلوبين مختلفين: أسلوب الليونة وأسلوب العنف، كما كانوا يعملون على خلق العداوة والمنازعات بين القبائل، لإضعافها وتحقيق التوازن فيما بينها، وقد اعترف بذلك أحمد باي نفسه حين يقول:« إن الذي يريد حكمهم يتحتم عليه إبقاءها بينهم(يقصد العداوة)، والتحريض على المنافسات بين القبائل المختلفة الأصول والأجناس، أما أوقات السلم فإنها تقارب بين

---

[1] - هو أحد المرابطين المشاهير بمنطقة القبائل، وهو من قبيلة بني عيدل الواقعة شمال شرق قلعة بني عباس.

[2] - الحسين بن محمد الورثيلاني: المصدر نفسه، ص8.

العرب وتوحدهم حول غرض واحد»[1]، وكان الأتراك يلجأون إلى الأسلوب الأول لحاجتهم الماسة لجمع الضرائب التي تعتبر إحدى دعائم حكمهم بالإيالة، من هذه المنطقة الهامة في بايلك الشرق الجزائري.[2]

ولا شك أن الأتراك لم يدخروا جهدا في السعي إلى القضاء على نفوذ وقوة أولاد مقران بشتى الطرق، فقد كانت سياسة فرق تسد جزء أساسي في حكمهم، وذلك من خلال تشجيعهم للصراع والشقاق بين شيوخ الأسرة والحرص على استمراره، بتدعيم أحد الفروع ضد الآخر، فنجحوا في استمالة عزيز ابن القندوز إلى صفهم، وحملوه على التمرد والانشقاق على الأسرة، وقاموا بتعيينه على قيادة أولاد ماضي وجعلوا منه حليفا قويا يواجهون به أبناء عمومته.[3]

وكان شيوخ أولاد مقران يناوشون الحامية التركية المتمركزة بمجانة من حين لآخر، غير أن انقسامهم حال دون تمكنهم من طرد الأتراك منها، ولكي يضمن الأتراك استقرار المنطقة وسلامة وأمن الطريق السلطاني أبعدوا شيوخ أولاد مقران عن حكم مجانة في حوالي عام 1700 وعينوا عليها شيخين غريبين عن الأسرة وهما: الشيخ بن نور بولبانة والشيخ عيسى، من قبيلة أولاد فاضل، وكان هذين الحاكمين الجديدين تنقصهما الخبرة والحكمة في إدارة شؤون المشيخة، وكانا يتتبعان أخبار أولاد مقران، ويعملان على إحباط كل مؤامراتهم للعودة إلى حكم مجانة، ويذكر فيرو أن بن نور والشيخ عيسى الحاكمين الجديدين لمجانة، قاما بزيارة الشيخ سيدي أحمد بن خليفة أحد المرابطين بالمنطقة، وذلك عندما علما أن شيوخ أولاد مقران الذين كانت تربطهم بالشيخ علاقة

---

[1]- محمد العربي الزبيري: **مذكرات أحمد باي وحمدان خوجة و بوضربة**، ش. و. ن. ت، الجزائر. 1973، ص ص 40-41.

[2]- Abd allah Laroui : **Histoire du Maghreb**, T II, Paris, 1976, p44.

[3]- Ch. Féraud: op. cit, p255.

أنظر كذلك:

L. Rinn: op. cit. p13.

حسنة قد اتصلوا به، فتعرض هذا المرابط للإهانة على يد هذين الحاكمين[1]، وكان أولاد مقران قد تفرقوا في المنطقة بعد تمكن الأتراك من إبعادهم من مجانة مقر حكمهم على النحو التالي: احتمى الحاج بن بوزيد بقلعة بني عباس الحصينة، ولجأ بورنان إلى الونوغة جنوبا، في حين استقر عبد السلام في البداية بالقلة ثم بالساطور ليستقر في النهاية بجبل بوندة، وكان عمهم عبد الله بن بتقة قد غادر مجانة إلى الحضنة حيث كون فرع أولاد عبد الله، [2] ولكي ينتقم هذا المرابط – حسب ما يذكر فيرو- من الشيخان بن نور وعيسى دعا عليهما بزوال سلطتهما وملكهما وأرسل في طلب شيوخ الممثلين أسرة أولاد مقران بجميع فروعها وبعد تذكيرهم بمجد أجدادهم وحثهم على ضرورة تناسي خلافاتهم وأحقادهم وذكر لهم أنه ما من وسيلة لاستعادة ملكهم المسلوب والتغلب على الأتراك، إلا الإتحاد، ونظرا لمكانة هذا المرابط في نفوس الجميع فقد تمكن من الإصلاح بينهم وجمع كلمتهم، فاتحدوا من جديد بعد أن كانوا مشردين وبعيدين عن مجانة مدة تزيد عن ثمان سنوات، فتمكنوا بفضل مساعدة هذا المرابط من الاستيلاء على مجانة في هجمة واحدة منتهزين فرصة الصراع الذي سرعان مانفجر بين الحاكمين بن نور وعيسى[3] وهاجموا الحامية التركية بمجانة وأرسلوا بعض جنود تلك الحامية أحياء يحملون رسالة إلى الداي مؤداها أن أولاد مقران يرغبون في العيش مستقلين، ولا يريدون أي تدخل من الأتراك في شؤون المشيخة.[4]

---

[1] – أنظر تفاصيل أكثر في:

Ch. Féraud: op. cit, p257et suites.
- L. Rinn: op. cit, p15.

[3] – سبب الصراع أن كل منهما أراد الانفراد بحكم مجانة، فقام بن نور بقتل عيسى، الذي تمكن من قتل عبد السلام المقراني. لمزيد من التفاصيل أنظر:

Ch. Féraud: op. cit, p260- 261.
- L. Rinn: op. cit, p14.

وهكذا استرجع شيوخ أولاد مقران حكمهم بمجانة وقاموا بتحطيم برج بوعريريج، وقد قام الحاج بن بوزيد بالزواج من زوجة بن نور وتكفل بتربية أبناءه، فأنجبت له ابن أطلق عليه اسم بوزيد، وعاشت الأسرة فترة من الاستقرار والأمن، وتقاسمت فروعها حكم مجانة فترأس الشيخ بورنان المشيخة على رأس مجانة، في حين تسلم عبد السلام قيادة الحضنة، وكانا تحت إشراف أخيهما الأكبر الحاج بن بوزيد.[1]

وبعد تلك الأحداث لم يشأ الأتراك في الدخول في مواجهات أخرى مع أولاد مقران و اعترفوا بحكم الحاج بن بوزيد على منطقة مجانة وما جاورها، وكانوا يبعثون له بقفطان التولية وهدايا معتبرة تتمثل عادة في السيف المرصع وألبسة تركية فاخرة، ويبدو أن الحكام الأتراك اضطروا إلى اللجوء إلى هذه الوسيلة حتى يتسنى لهم التدخل في الشؤون الداخلية للأسرة وبالتالي العمل على إضعافها وزرع بذور التفرقة والشقاق بين شيوخها من الداخل.[2]

وبالرغم من ذلك عاشت الأسرة في ظل حكم الشيخ الحاج بن بوزيد مدة تزيد عن خمسة والعشرين سنة في حالة استقلال تام عن الحكم التركي، كان الأتراك خلالها يبعثون له بقفطان التولية سنويا مصحوبا بهدايا ثمينة لكبار شيوخ الأسرة، كدليل على اعترافهم بحكمه للمنطقة.[3]

وتجدر الإشارة هنا إلى أن شيوخ أولاد مقران كانوا يتناسون أحقادهم وخلافاتهم إذا تعلق الأمر بخطر خارجي يتهدد الأسرة لكنهم سرعان ما كانوا يعودون إلى الصراع والحرب بمجرد زوال ذلك الخطر المشترك، كما وقع مع الأتراك في استرجاعهم لحكم مجانة.

---

[1]- Ch. Féraud: **op. cit, p261.**
[2]- Ibid, p255.
[3]- L. Rinn: op. cit, p15.

ولكن يبدو أن فترة السلم التي عرفتها مجانة لم تدم طويلا، ذلك أن الصراع والحروب بين زعماء الأسرة ما لبث أن عادت، فبورنان كان يخوض الحرب ضد عزيز بن القندوز المنشق عن الأسرة والمتحالف مع الأتراك وحلفاءه أولاد ماضي، تسببت تلك الحرب في مقتله في حوالي سنة 1780، بمنطقة الحضنة التي دفن بها، وقد أشار الرحالة الفرنسي دي فونتان- الذي اجتاز مجانة مع المحلة التركية في عام 1783 – إلى تلك الحرب في قوله:

« ينحدر شيخ مجانة من أسرة شريفة، وهو يحكم سكان أغنياء يرتدون أفخم الألبسة ويملكون أجود الخيول، وعدد كبير من الماشية، لقد قاموا بتهديم كل الحصون التي أقامها الأتراك بالمنطقة، إن شجاعتهم وتحصنهم بالجبال الوعرة جعلتهم بعيدين عن متناول الأتراك وعبوديتهم، وكان يسمى موطنهم مجانة ووطنهم المملكة المقرانية، يحكمها الشيخ بورنان الذي كان في العام الماضي في حرب مع باشا الجزائر وكان أيضا في حرب مع شيخ يسمى ابن القندوز، و كان أولاد مقران يحصلون على الضرائب من المناطق المجاورة فحين لم يكونوا هم ملزمون بدفع أي ضريبة».[1]

يتضح لنا من خلال ما سبق أنه كان للأتراك يد في الخلافات والحروب التي نشبت بين شيوخ الاسرة وذلك بهدف القضاء على قوتها ونفوذها في المنطقة.

5- انقسام الأسرة إلى عدة فروع:

يبدو أن أسرة أولاد مقران التي مارست نفوذا كبيرا ومعارضة قوية للحكام الأتراك خلال فترة حكمهم للإيالة [2] دخلت طور الضعف والانهيار بعد وفاة الشيخ

---

[1]- Peyssonnel et Desfontaines : op. cit, pp 109- 110.

[2]-Lemnouar Merouche: **Recherches sur l'Algérie à l'époque Ottomane. I. Monnaies, prix et Revenus (1520-1830)**, édition Bouchène, Paris. 2002. p234.

بوزيد في عام 1734، ذلك أن أفرادها دخلوا في صراع وحروب متتالية، فعندما قتل بورنان بن بوزيد ترك خمسة أبناء هم: أحمد، علي، عبد الله، بوزيد والونوغي، وكانوا كلهم تحت كفالة عمهم الحاج بن بوزيد، وكان أولاد بورنان مشاغبين يثيرون المشاكل في المشيخة، طردهم شيخ مجانة الحاج وأبعدهم عنها بسبب مظالمهم وكثرة شكاوى السكان، فتحولوا إلى لصوص وقطاع طرق، [1] وقد وصفهم الورثلاني في رحلته بأن أحفاد سيدي أحمد بن عبد الرحمان، اليوم هم معلومون بالظلم والجور وتحولوا إلى قطاع طرق، وسلطة الأتراك عليهم ضعيفة، وقال عنهم أيضا أن عدد أوصافهم من الخيانة والغدر ما يحمل السامع على الفرار منهم[2].

ولم يكن أولاد بورنان يقطعون الطريق ويسلبون السكان فقط، بل كانو يتعرضون للأتراك أيضا [3] الأمر الذي جعل عمهم الحاج بن بوزيد شيخ مجانة يرافق الأتراك أثناء عبورهم منطقة البيبان لحمايتهم من ابناء أخيه، مدعما بفرسان الحشم وذلك حتى يخرجون من منطقة الخطر بسيدي مبارك قرب سطيف [4] ولم يتوانى هؤلاء في إعلان الحرب على عمهم الحاج بن بوزيد واغتياله عام 1783 بقرية بوجليل قرب قلعة بني عباس، وهو في طريقه إلى مجانة [5].

بعد مقتل شيخ مجانة الحاج بن بوزيد في حوالي عام 1783، ترك ولدين هما بوزيد ومحمد، حيث ترك ابنه الأكبر بوزيد حكم المشيخة إلى عمه عبد السلام رغم لحداثة سنه، لكن هذا الأخير توفي بعد عام فقط من تسلمه الحكم 1784، فخلفه بوزيد

Ch. Féraud: op. cit. p264.

[2] - الحسين بن محمد الورثلاني: المصدر نفسه، ص36.

- Hadj Sadok: « à travers la Berbérie orientale du 18ème siècle avec le oyageur El Warthilani », in, **R.A** n°: 1951, p317.

أنظر كذلك:

. Boulifa: op. cit, p238.

- Ch. Féraud: op. cit. p266.

Ch. Féraud: op. cit. p267.

بن الحاج بن بوزيد الذي دخل في حرب مع أبناء بورنان المتحالفين مع ابن القندوز، وقد أدت هذه الحرب إلى مقتل عبد ربه آخر أبناء الشيخ سيدي بوزيد، في عام 1785 الذي وضع حد لعزلته، وانضم إلى صف ابن أخيه بوزيد بن الحاج عندما رأى أبناء بورنان وبن القندوز تمادوا في الظلم والجور. [1]

وقد شن الشيخ بوزيد بن الحاج حربا عنيفة ضد أبناء بورنان بمساعدة فرسان قبيلة الحشم وتمكن من التغلب عليهم وإبعادهم عن مجانة فتفرقوا في منطقة أولاد نايل جنوبا في حوالي عام 1792، [2] وبذلك تخلص بوزيد بن الحاج من شرهم ليتفرغ لقتال عزيز ابن القندوز منافسه في حكم مجانة.

ويبدو أن استحواذ أولاد الحاج بحكم مجانة وحدهم، أثار رغبة أولاد بورنان الذين كانوا قد انسحبوا إلى أولاد نايل ثم إلى وادي ميزاب، فتقدموا بالشكوى إلى الباي مصطفى الوزناجي[3]، في حوالي عام 1794 وطلبوا منه التدخل للسماح لهم بالعودة إلى مجانة، فسمح لهم بالعودة بعد أن تعهدوا له بعدم إثارة المشاكل في المشيخة، وقد كان هذا الباي يهدف من وراء تدخله بلا شك إلى تحقيق التوازن بين فروع الأسرة، وذلك طبقا للسياسة التي كان الأتراك يتبعونها اتجاه الأسرة، من خلال ضرب فرع بالفرع المعادي له، والعمل على تقويته فإذا ما أصبح قويا ويشكل خطرا عليهم انقلبوا عليه بتدعيم الفرع الضعيف وهكذا، وذلك دون أي تدخل عسكري منهم، لأن ذلك سيؤدي إلى اتحاد كل فروع الأسرة ضدهم، وبهذه السياسة كان البايات يتدخلون في شؤون المشيخة، ويزيدون من حدة الصراع للقضاء على قوتها ونفوذها بالمنطقة [4].

---

[1]-Ch. Féraud: op. cit, p269.

[2]- L. Rinn: op,cit., p20.

[3]- حكم هذا الباي من فيفري 1795 إلى جانفي 1798، وليس كما ذكر فيرو أنه كان يحكم البايلك عام 1794. أنظر: Eugène Vayssettes: op. cit, p158.

[4]- Ch. Féraud: op. cit, p270.

وقد تظاهر هذا الباي بالتدخل لوضع حد للقتال بين شيوخ الأسرة وذلك بتقسيم حكم مجانة بين الفروع الثلاثة المتناحرة:

- أولاد الحاج.
- أولاد عبد السلام.
- أولاد القندوز.

وبهذه الطريقة أصبح الباي يبعث بثلاث برانس للتولية، إلى شيوخ مجانة وبذلك كان يتلقى الضريبة من الفروع الثلاثة، وبهذه الطريقة تمكن من التحكم في الأسرة من جهة، ومضاعفة قيمة الضرائب التي كان يدفعها شيخ مجانة للحكومة التركية، وقد زاد تدخل البايات في شؤون الأسرة من احتدام الصراع بين الفروع الثلاثة، وبعد أن عادت الحرب بين أولاد الحاج وأولاد القندوز، غادر أولاد الحاج وأولاد عبد السلام مجانة، واستولى بذلك ابن القندوز على حكم مجانة وعندما جاء أنجلز باي [1] إلى الحكم في بايلك قسنطينة أعاد أولاد الحاج وأولاد عبد السلام إلى مجانة في حوالي عام 1799، وذلك لإضعاف ابن القندوز، ومنعه من استرجاع قوة ونفوذ الأسرة وبالتالي العودة إلى تهديد الحكم العثماني. [2]

وقد انتهز شيوخ قبيلتي أولاد ماضي وأولاد دراج فرصة انقسام أسرة أولاد مقران وقاموا بالإغارة على الأسرة في مجانة وشنوا عليهم الحرب وألحقوا بها خسائر كبيرة، ولا يستبعد فيرو أن يكون للأتراك دور في هذه النكبة التي لحقت بالمقرانيين، وذلك للقضاء على قوتهم ونفوذهم. [3]

---

[1] - اسمه الكامل حاج مصطفى أنجلز باي، اشتهر بهذا الاسم لأنه وقع في أسر سفينة إنجليزية، وقضى نحو 12 سنة أسيرا بانجلترا، دام حكمه من 1798م إلى 1803م.

[2] - Ernest Carette: op. cit., p12.

[3] - Ch. Féraud: op. cit, p270.

وقد انعكس الصراع بين فروع الأسرة سلبا على المشيخة حيث أصبحت خاضعة للأتراك وسهل عليهم التدخل في شؤونها من حين لآخر، فقد طبق الباي أنجلز سياسة التفرقة وقام بتقسيم حكم مجانة من جديد بين الفروع الثلاثة، فعين محمد بن محمد من فرع أولاد القندوز، محمد بن مسعود من فرع أولاد بورنان، وبن عبد الله من فرع أولاد الحاج وأولاد عبد السلام، وظل الشيوخ الثلاثة يتقاسمون الحكم بمجانة لمدة تزيد عن ست سنوات.[1]

وتجدر الإشارة هنا إلى أن الباي كان يعترف بالشيخ الحاكم على مجانة الذي يراه التابع الوفي له، وعندما يأتي باي آخر يخلع الشيخ الذي كان مواليا للباي السابق، وهكذا تأثرت المنطقة بحالة الفوضى والاضطراب التي ميزت الإيالة في أواخر العهد العثماني.

وبينما أولاد مقران في صراعهم من أجل حكم المشيخة، جاءهم نداء من عثمان باي [2] لمساعدته في القضاء على ثورة الشريف ابن الأحرش، [3] التي لم يتمكن من إخمادها، فاتحدت جميع فروع الأسرة لقتال هذا الثائر، وأعلنوا الحرب على قبائل أولاد خلوف، أولاد دراج، أولاد تبان وعياض، وذلك بسبب التفافها حوله وتأييدها

---

[1] - L. Rinn: op. cit, p15.

[2] - حكم من 1803م(1218ه) إلى 1804م(1219ه)، وقتل على يد الثائر ابن الأحرش بواد زهور قرب الميلية بجيجل.

[3] - حول تفاصيل هذه الثورة أنظر ناصر الدين سعيدوني: دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر.

أنظر أيضا، أحمد توفيق المدني: **مذكرات أحمد الشريف الزهار**، ص85 وما يليها.

وكذلك: الحاج أحمد المبارك: **تاريخ حاضرة قسنطينة**، تحقيق نور الدين عبد القادر، المطبعة الرسمية، الجزائر، 1952، ص ص13-14.

أنظر كذلك:

-Eugène Vayssettes : op. cit, p158et suivantes.

ومساعدتها له في ثورته، قد تمكن أولاد مقران من إفشال محاولته لاحتلال بجاية، وحاصروه بجبل مغريس [1] فانسحب إلى رابطة حيث لقي حتفه.[2]

ويمكن تفسير السبب الذي دفع أولاد مقران إلى الإسراع في تلبية نداء الباي للتعاون معه، إلى شعورهم بالخطر الذي يهددهم إذا نجح ابن الأحرش في ثورته، فرأوا في منافسا خطيرا ومهددا حقيقيا لامتيازاتهم ونفوذهم بالمنطقة [3]، وربما أراد أولاد مقران أن يبرهنوا على ولاءهم وإخلاصهم للأتراك من وراء هذا التحالف بهدف التقرب منهم ومن أجل استقرار المشيخة.

وبناء على قول رين فإن أولاد مقران أنقذوا بايلك قسنطينة من ثورة تعتبر من أخطر الثورات التي عرفتها الإيالة منذ مجيء العثمانيين [4] وقد دفعت الأسرة ثمن إنقاذها للبايلك حيث قتل أحد شيوخها وهو عبد الله بن بورنان [5].

وبعد القضاء على ثورة ابن الأحرش وزوال الخطر الذي جمع شملهم عاد شيوخ أولاد مقران مجددا إلى الصراع والقتال.

ونتيجة لسياسة علي باي اتجاه الأسرة من خلال تعيين ابن القندوز حاكم مطلق على بجانة، وذلك وفق سياسة فرق تسد المعتمد عليها، فقد أثار خصومه أولاد الحاج وأولاد عبد السلام، وأوحى قائد الحامية التركية ببجانة سرا إلى ابن القندوز بالكتابة إلى الباي لطلب المدد العسكري للقضاء على خصومه الذين يدبرون للثورة على

---

[1] - محمد الصالح العنتري: **مجاعات قسنطينة**، تحقيق وتقديم رابح بونار، ش. و. ن. ت، الجزائر، 1979، ص29. يقع هذا الجبل شمال مدينة سطيف بنحو 15 كلم.

[2]- L. Rinn: op. cit, p15.

[3] - ناصر الدين سعيدوني: **ورقات جزائرية**، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2000، ص ص 300-301.

[4]- L. Rinn: op. cit, p15.

[5]- Abd El Hamid. Merad Boudia: **la formation Sociale Algérienne précoloniale**. o.p.u. Alger. (s.d). p 326.

البايلك، وفي نفس الوقت أخبر هذا القائد أولاد الحاج وأولاد عبد السلام بأن ابن القندوز يدبر للقضاء عليهم، فبادروه بالهجوم وارتكبوا مجزرة في فرع ابن القندوز 1808[1]، وهكذا انقلب الباي على حليفه ابن القندوزالذي قتل في هجوم أولاد الحاج وأولاد عبد السلام، لكي يحقق التوازن في المشيخة، وبعد ذلك حكم مجانة ابن عبد الله من فرع أولاد الحاج بعد مقتل ابن القندوز لمدة أربع(4) سنوات عرفت خلالها مجانة نوعا من الاستقرار بفضل مساعدة الحامية التركية التي كانت مرابطة بمجانة [2]، غير أن فترة الاستقرار تلك لم تدم طويلا، فسرعان ما أعلن سكان المنطقة الثورة على الحكم التركي بسبب الحملات التأديبية ومحلات استخلاص الضرائب واستخدامها أسلوب العنف والقوة اتجاه السكان الأمر الذي كان يزيد من نقمتهم وتذمرهم وبالتالي ردة فعلهم العنيفة[3].

وكان شيوخ مجانة يتسابقون إلى الترحيب بالبايات الجدد فور تعيينهم لعلهم يحظون بثقتهم كما كانوا يغدقون عليهم من الأموال والهدايا، فهذا الحاج بن عبد السلام من فرع أولاد عبد السلام سارع لاستقبال نعمان باي الذي خلف طوبال باي [4] بمجانة عندما كان في طريقه إلى قسنطينة، وشرح له المأساة التي تعيشها المشيخة بسبب سياسة البايات الذين سبقوه، ولا شك أنه قدم له هدايا معتبرة ثمنا لتعيينه الحاكم المطلق على

---

[1] - كان دوار أولاد الحاج بحجر جعفر قرب مجانة يتكون من 80 خيمة، بينما كان دوار أولاد القندوز يتكون من 192 خيمة وهو يبعد بحوالي100 متر عن سهل مجانة).

[2]- Ch. Féraud: op. cit, p275.

[3] - فلة القشاعي: **الريف القسنطيني** ، ص125.

[4] - حكم طوبال باي بايلك قسنطينة من أكتوبر 1808م(1223ه) إلى مارس 1811م(1262ه). قتله أحمد باشا شبه بسبب تعامله مع التاجر اليهودي بكري الذي قتل على يده أيضا. تخلفه نعمان باي من قبضي 1811 1262ه)إلى مارس 1814م(1229ه). وكان مصيره القتل شنقا.

مجانة[1] وتقويته على حساب منافسيه من أولاد بورنان وأولاد القندوز، الذين تراجعوا نحو منطقة الحضنة وأعلنوا الثورة على هذا الباي وحلفاءه.[2]

وقد تآمر شاكر باي[3] مع فرع أولاد بورنان ضد الباي نعمان حيث قام بتحريضهم على مهاجمة الجيش التركي الذي كان بقيادة عمر آغا، العائد من حملة تونس[4] ووعدهم بتعيينهم على حكم مجانة عندما يعين على رأس البايلك، وبعد تنفيذ أولاد بورنان للمهمة، وتعيين الباي محمد شاكر على رأس البايلك، عام 1814، جاءه أمر من الباشا للانتقام من أولاد بورنان لتعديهم على الباي نعمان وقتله، فكان عليه تنفيذ أمر الداي، فذهب بنفسه على رأس الجيش وخيم ببرج بوعريريج وقام باستدعاء شيوخ أولاد بورنان للاجتماع به عند خيمته، فأقاموا الأفراح وعينوا الشيخ محمد بن المسعود حاكما على مجانة، وطردوا أولاد الحاج وأولاد عبد السلام منها، و سارعوا إلى لقاءه معتقدين أنه جاء لينفذ وعده، لكن فرحتهم وعرسهم سرعان ما انقلب إلى مأتم،

---

[1]- L. Rinn: op. cit, p15.

[2]- كان لهذا الباي نية القضاء على الفوضى والاضطراب الذي كانت تعرفها المشيخة، ولا شك أن ذلك اثر سلبا على استقرار البايلك، وهذا ما جعل هذا الباي يتدخل من أجل إنهاء الصراع بين شيوخ الأسرة.

[3]- حكم البايلك من مارس 1814م(1229ه) إلى جانفي 1818م(1233ه)، وكان هذا الباي دمويا لا يستعمل إلا القوة في مواجهة الثورات، فكانت الخيبة تلازمه في كل معركة نتيجة لسياسته التي تميزت بالعنف وسفك الدماء، كما أنه لم يكن محبوبا من طرف الشعب في البايلك ولقي جزاءه على يد الباي الذي خلفه بعد أن عزله الداي علي خوجة، وحاول التمرد فقتله شنقا، أنظر:

- محمد بن عبد الكريم: **حمدان بن عثمان خوجة الجزائري ومذكراته**، المرجع نفسه، ص39.

[4] - لمزيد من التفاصيل حول هذه الحملة، أنظر: أحمد توفيق المدني: **مذكرات أحمد الشرف الزهار**، ص 56.

وأنظر كذلك:

Eugène Vayssettes : op. cit, p190 et suivantes.

عندما غدر بهم وقتل منهم 8 شيوخ لم ينج منهم إلا شخص واحد بالفرار [1]، وقد أثارت تلك المجزرة حقد وكراهية كل فروع الأسرة فقاموا بإثارة قبائل المنطقة ضد شاكر باي لم يتمكن من إخمادها رغم أسلوب القوة والعنف الذي كان يتبعه، حيث كانت الهزيمة والخيبة تلازمه في كل محاولاته للقضاء على الثورة، وقد عانت منطقة مجانة وما جاورها من الأوبئة والمجاعات والقمع بسبب تلك الحروب التي تسببت في عزل هذا الباي وقتله بأمر من الباشا.[2]

وبعد القضاء على أولاد بورنان تقاسم الحكم في المشيخة: أربعة شيوخ وهم:

- ابن عبد الله بن الحاج، والحاج محمد بن عبد السلام من فرع أولاد الحاج.
- محمد بن القندوز و دحمان بن القندوز من فرع أولاد القندوز.

و لم يكن الباي محمد الميلي [3] الذي تولى حكم البايلك بعد شاكر باي، أقل خوفا وحقدا على أسرة أولاد مقران من أسلافه، فسار على نهج شاكر باي في التآمر للقضاء على الأسرة، وبعد تنصيبه على رأس بايلك قسنطينة سافر كل من ابن عبد الله ودحمان ابن القندوز يعرض كل منهما نفسه على الباي لاختياره الحاكم المطلق على مجانة، وعرض عبد السلام على الباي خطة للقضاء على أولاد القندوز فوافقه الباي على أن يقتسم معه

---

[1] – حمل رؤوس الضحايا وعلقها عند باب مدينة قسنطينة لمدة أيام، ليبرهن على صرامته في تنفيذ أوامر الباشا. لمزيد من التفاصيل أنظر:

Eugène Vayssettes : op. cit, p200 et suivantes.

وكذلك:

Ch. Féraud : op. cit, p281 et suivantes.

[2] – محمد العربي الزبيري: **التجارة الخارجية للشرق الجزائري، (1792– 1830)**، ط2، م و ك، الجزائر، 1984، ص28.

[3] – تولى الحكم عام 1818م(1233ه) إلى 1819م(1234ه)، بعد كل من قارة مصطفى حكم مدة شهر، حمد بقنص، و محمد باي المملوك، حكم مدة 6 أشهر.

الغنائم، وقد أشرك عبد السلام ابن عبد الله في تنفيذ المؤامرة فقاما بدعوة أولاد القندوز إلى وليمة وقتلوا كل شيوخ الفرع [1] فتخلص أولاد الحاج وأولاد عبد السلام نهائيا من خصومهم أولاد القندوز.

ورغم أن أولاد القندوز تقدموا بالشكاوى إلى إبراهيم باي الغربي عام 1819 الذي خلف محمد الميلي، لمعاقبة أولاد الحاج وأولاد عبد السلام على المجزرة التي ارتكبوها في حقهم، إلا أن الباي لم يترل العقاب بالمذنبين، بسبب أنهم قاموا بتوزيع أموال طائلة على حاشية الباي لمنع معاقبتهم حسب رواية فيرو.[2]

ويبدو أن سياسة البايات في تحطيم أسرة أولاد مقران قد انقلبت عليهم، ذلك أن الجهة الغربية من بايلك الشرق كانت تغلي غليانا بسبب الثورات التي اندلعت في هذه الفترة حيث يخبرنا القنصل الأمريكي وليم شالر في مذكراته أنه في يوم 21 أكتوبر 1823، أعلنت القبائل التي تسكن الجبال المجاورة لبجاية، الثورة على الأتراك، وأن الثوار قبضوا على المفتي الحنفي واقتادوه إلى الجبال، ومات في هذه الثورة الكثير من كلا الطرفين، ولكي ينتقم الباشا من المتمردين أمر بالقبض على كل السكان القبائل الذين كانوا يعملون في مدينة الجزائر ، كخدم في المنازل، ويذكر أنه رفض شخصيا تسليم العمال الذين كانوا يخدمونه في مترله.[3]

ويذكر صاحب دفتر تشريفات أيضا أنه في يوم 20 ذي الحجة من عام 1239ه (1823م)، خرج الآغا لقتال قبيلة بني عباس المتمردة وقام بحرق 12 دشرة وقطع رؤوس 12 رجل وأقتاد 16أسيرا منهم إلى العاصمة، ويذكر في موضع آخر بتاريخ رجب 1240ه(1824م)، أن القائد يحي آغا خرج على رأس الجيش للقضاء على تمرد

---

[1]- L. Rinn: op. cit. p15.

[2]- Ch. Féraud: op. cit. pp296-297.

[3] - وليم شالر: مذكرات وليم شالر، قنصل أمريكا في الجزائر(**1818-1824**)، تعريب وتعليق وتقديم، إسماعيل العربي، الجزائر، 1982، ص193.

قبائل بني عباس، وقام بحرق أكثر من 30 دشرة، وقطع رؤوس 6 رجال وأسر 27 رجلا و30 امرأة.[1]

وفي عهد محمد باي منماني (1824م)، قام أولاد القندوز بالتحالف مع أولاد بورنان بمحاولة استعادة مكانتهم والاستيلاء على حكم مجانة إلا أن ضعفهم وتواجد القوة العسكرية التي قادها أحمد باي بن عبد الله المملوك بنفسه لمساعدة أولاد الحاج وأولاد عبد السلام، قضت على محاولتهم فتراجعوا جنوبا إلى أولاد خلوف.[2]

وقد ظل شيوخ مجانة في صراع وحرب إلى مجيء الحاج أحمد باي إلى حكم بايلك قسنطينة عام 1826م، فكيف سيتعامل مع أولاد مقران وهل سيكون للقرابة التي تجمعه بهم تأثير على سياسته اتجاههم؟.

6- أولاد مقران في عهد أحمد باي:

يعتبر الحاج أحمد باي [3] من أشهر البايات الذين حكموا بايلك قسنطينة، تم تعيينه من طرف الداي حسين عام 1826، وهو آخر من حكم البايلك، ودام حكمه إلى غاية سقوط مدينة قسنطينة في أيدي الفرنسيين عام 1837.

---

[1]- A. Devoulx: **defter tachrifat**, Alger, 1853, p31.

[2]- L. Rinn: op. cit, p15.

[3]- حول شخصية أحمد باي وحكمه للبايلك أنظر:

- محمد العربي الزبيري: **مذكرات أحمد باي و حمدان خوجة وبوضربة**، م و ن ت، الجزائر، 1973.

- أنظر كذلك:

صالح فركوس: **الحاج أحمد باي قسنطينة(1826- 1850)**، د م ج، الجزائر، 1993.

وأيضا:

- Marcel Emrit : « les mémoires d'Ahmed Bey dernier Bey de Constantine ». in, **R.A**, n:°8. 1863.

- كذلك: A. Dj. Temimi : **le Beylik de Constantine et Hadj Ahmed Bey, (1830-1837)**. Tunis. 1978.

عندما نصب أحمد باي عمي رأس بايبك قسنطينة استبشر أولاد مقران خيرا، واعتقدوا أنه حان الوقت لتتوقف عن الصراعات والحروب التي أنهكتهم. أن تدخل الأتراك في شؤون المشيخة سيتوقف، وذلك لعلاقة المصاهرة التي كانت تجمعهم به، فهو بالنسبة إليهم حفيد وصهر في آن واحد [1]، وكان حكم مجانة بيد ابن عبد الله من فرع أولاد الخاج، غير أن فرحة أولاد مقران لم تدم طويلا، إذ أن أول عمل قام به أحمد باي قيامه بإلقاء القبض على ثلاثة شيوخ من الأسرة أن يرى أنهم مصدر الاضطراب والتعويضي والفتن التي كانت تعيشها المنطقة، وهؤلاء الشيوخ هم:

الحاج محمد بن عبد السلام وهو صهره [2] وسي الباي لونوغي، من فرع أولاد بورنان وصاخ بن القندوز من أولاد القندوز، وحكم عليهم بالإعدام، لكنه أطلق سراح صهره بعد الرسالة التي وجهها له ابن عبد الله [3] كبير الأسرة وشيخ مجانة، و تدخل والدته الحاجة رقية وتوسل زوجته عيشوش، ثم نجا سي الباي الونوغي من الموت بتدخل من حاشية الباي. فيما نفذ حكم الإعدام في حق صاخ بن القندوز. [4]

ويبدو أن الباي أراد أن يفتتح عهده بالصرامة في تنفيذ السلطة الفعلية بالمنطقة [5]، و قد أراد أن يتخلص من الضريبة التي كان أولاد مقران يفرضونها على الأتراك كما يذكر

A. Dj. Temimi: **le Beylik de Constantine et Ahmed Bey, (1830-1837).** Tunis. 1978.

[1] - أنظر موضوع المصاهرة في نفس الفصل.

[2] - كان الباي متزوج من ابنته عيشوش.

[3] - عاتب ابن عبد الله الباي على فعله، واخبره بأنه خيب ظن الأسرة التي استبشرت خيرا وفرحت بتعيينه عمي رأس بايبك. عندما أقدم على القبض على ثلاثة من شيوخ الأسرة. أنظر نص الرسالة كاملة في:

Ch. Féraud: op. cit, p300.

Ch. Féraud: op. cit. p300.

[4] - Ch. Féraud: op. cit. p298.

[5] - حمية معاشي: مرجع نفسه، ص304.

مولود قايد[1] ولم ينتهج الباي سياسة واحدة مع الأسرة، في ظل الصراعات والحروب التي مزقت وحدتها، فكان يدفع المال لأتباعه لاستمرار الفتن والصراع بين شيوخ الأسرة[2].

وقد أثار أحمد باي عندما أقدم على اعتقال ثلاثة شيوخ من الأسرة واغتيال أحدهم، هيجان كل فروعها وخاصة فرع أولاد القندوز الذين تحالفوا مع أولاد بورنان وأعلنوا الثورة ضده، فاضطر للخروج لقتالهم لكنه انهزم و انسحب بعد أن خسر مائة وخمسون (150) بغلا محملا بالمئونة والذخيرة ببرج زمورة وعاد مسرعا إلى قسنطينة.[3]

غير أن الصراع سرعان ما دب بين الفرعين اللذان أنهكتهما الحروب والهزائم ففضلا الانسحاب إلى الجبال في انتظار الفرصة السانحة للعودة إلى مجانة، وبذلك استاثر فرع أولاد عبد السلام وأولاد الحاج بمشيخة مجانة، إلا أن التنافس بين محمد بن عبد السلام وأحمد بن محمد انفجر عندما اسند ابن عبد الله شيخ مجانة تحصيل الضرائب بالونوغة لمحمد بن عبد السلام مما أثار غيرة وطمع خصمه أحمد بن محمد الذي طلب من الباي تنصيبه على قيادة خليل فأجابه الباي لطلبه، الأمر الذي لم يعجب ابن عبد الله لأنه اعتبر ذلك تبعية مباشرة للباي وهذا ينقص من نفوذ المشيخة وطلب من أحمد بن محمد رفض المنصب واعدا إياه بإشراكه في حكم مجانة، لكنه لم يجبه لطلبه، [4] وربما هدف الباي بسياسته هذه إلى إضعاف الأسرة والعمل على استمرار الصراع بين شيوخها.

وعندما سافر أحمد باي إلى مدينة الجزائر عام 1827، لأداء واجب الدنوش كان بمرافقته أحمد بن محمد، [5] وأثناء عودته إلى قسنطينة قطعت عليه قبائل التيطري بسور الغزلان طريق العودة فأضطر الباي إلى قتالهم وأظهر أحمد بن محمد شجاعة كبيرة وإخلاص

---

[1]- M. Gaid: **chronique des Beys de Constantine**, p 94.
[2]- L. Babes: op. cit, p15
[3]- L. Rinn: op. cit, p15.
[4]- Ch. Féraud: op. cit, p301.
[5] - محمد العربي الزبيري: المرجع نفسه، ص11.

في الوقوف إلى جانبه، وأبلى بلاء حسنا في الدفاع عنه [1]، فوعده الباي بمكافأته حال عودته إلى قسنطينة، فأنتهز أحمد بن محمد هذه الفرصة الثمينة وطلب من الباي منحه وظيفة تحصيل الضرائب بمنطقة الونوغة، وهو المنصب الذي كان يشغله ابن عمه وخصمه محمد بن عبد السلام، وأمره بالقبض على هذا الأخير في حالة رفضه الانصياع لأمر الباي، وعندما علم ابن عبد السلام بالأمر لجأ هاربا إلى سور الغزلان حيث صديقه عدو الباي يحي آغا، ونظما معا هجوما فاشلا على مجانة بهدف الاستيلاء عليها منتهزين فرصة غياب الخليفة أحمد بن محمد، لكن فرسان الحشم وأبناء الخليفة رغم حداثة سنهم دافعوا بشجاعة عن مجانة حتى عودته إليها.[2]

ومن الملاحظ أن أحمد باي قد أنحاز إلى جانب فرع أولاد الحاج المتحالفين مع أولاد عبد السلام، وهو الصف الوحيد الذي ظل يلعب الدور السياسي بالمنطقة، والتصدي لخصومهم من أولاد القندوز وأولاد بورنان، وقد ظل شيوخ الأسرة في صراع وقتال لم ينهه سوى نداء الجهاد الذي وجهه الداي حسين إلى كل قبائل الإيالة للدفاع عن مدينة الجزائر ضد الحملة الفرنسية عام 1830.

5- موقف أولاد مقران من الاحتلال الفرنسي:

قبل الاحتلال الفرنسي للجزائر عام 1830 [3]، كانت أسرة أولاد مقران تعاني الضعف والانقسام بسبب الحروب التي نشبت بين زعماءها منذ زمن بعيد، والتي

---

[1]- Gouvion : op. cit, p69.

[2]- Ch. Féraud : op. cit, p302.

[3]- لمزيد من التفاصيل حول الحملة الفرنسية راجع، أرجمند كوران: **السياسة العثمانية اتجاه الاحتلال الفرنسي للجزائر**، ترجمة عبد الجليل التميمي، ط2، منشورات الجامعة التونسية، تونس، 1970.

• كذلك، حمدان خوجة: المصدر. وعبد الجليل التميمي: **بحوث ووثائق في التاريخ المغربي(1816-1871)**، ط1، الدار التونسية للنشر، تونس، 1972.

تسببت في انقسام الأسرة إلى عدة فروع أو صفوف متناحرة، حيث كان كل صف يرى أنه الأحق والأجدر بحكم مشيخة مجانة، وكان الحكام الأتراك يعملون باستمرار على تغذية ذلك الصراع من أجل السيطرة على الأسرة كما سبقت الإشارة إلى ذلك في هذا الفصل.

وبالرغم من ذلك الضعف إلا أن الأسرة ظلت تحتفظ بشهرتها ومكانتها ونفوذها لدى سكان المنطقة، فكيف كان موقف الأسرة بجميع فروعها من الاحتلال الفرنسي للجزائر؟

وماهو موقفها من مقاومة أحمد باي بايلك الشرق؟ وكيف كانت علاقتها بالأمير عبد القادر منظم المقاومة المسلحة بايلك الغرب؟

وكيف تعامل الفرنسيون مع الأسرة بعد تمكنهم من احتلال البلاد؟

لقد مرت مواقف أسرة أولاد مقران من الاحتلال الفرنسي بمرحلتين رئيسيتين: مرحلة المقاومة، ومرحلة الاستسلام والتعاون مع الفرنسيين.

أ- مرحلة المقاومة:

عندما نادى الداي حسين كل القبائل والأسر الكبيرة للدفاع عن مدينة الجزائر ضد الحملة الفرنسية [1]، تناسى أولاد مقران أحقادهم وتركوا صراعهم وهبوا جميعا لتلبية نداء الداي، ودعا بن عبد الله كبير الأسرة وشيخ مجانة آنذاك الأسرة إلى تكوين القوم[2] وأسند قيادته إلى كل من محمد بن عبد السلام وأحمد بن محمد، وبقي هو بمجانة بسبب

أنظر كذلك: Pièrre Boyer: «la Conquète de l'Algérie», in, **Initiation à l'Algérie**, Libairie d'Amérique et d'Orient, Paris, 1957.

[1] - عمار هلال: **أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر المعاصرة(1830- 1962)**، د. م. ج، الجزائر، 1995.

[2] - القوم هي قوة إضافية محلية توفرها القبائل للبايلك عند الحاجة.

سنه المتقدم، وسار القوم من أولاد مقران مع أحمد باي إلى مدينة الجزائر، وكانت مشاركتهم في صد الحملة الفرنسية فعالة بشهادة الفرنسيين أنفسهم وذكروا أن دور فرسانهم كان بارزا في معركة سيدي فرج، وأن الفرنسيين عانوا كثيرا من مقاومتهم الباسلة[1].

وعندما سقطت مدينة الجزائر في أيدي الفرنسيين عاد أحمد باي ومعه أولاد مقران، إلى قسنطينة فرافقه أحمد بن محمد وكان إلى جانبه يدافع عنه ضد أعداءه، وعندما دخل منطقة البيبان اعترض سبيله ابن القندوز المقراني على رأس قوة كبيرة من القبائل الحاقدة على الباي وهي: أولاد عامر، أولاد عبد النور، التلاغمة، ريغة القبالة، وقبائل فج مزالة (فرجيوة)، [2] و لكن الباي تمكن من الإفلات منه باستخدام الحيلة والمكر، حيث كتب رسالة إلى ابن القندوز يعده فيها بتنصيبه على مشيخة مجانة إن توقف عن القتال، ودعاه إلى لقاءه في خيمته بمجانة، فلما حضر قام بإلقاء القبض عليه، فزاد ذلك من نقمة السكان وثورتهم، وتمكنوا من اللحاق به رغم فراره، وبينما نزل أحمد باي ضيفا على قبيلة أولاد عبد النور، وكان شيخ هذه القبيلة صهر أسير الباي، تمكنت ابنته (زوجة الأسير) من إثارة القبيلة ضد الباي لإطلاق سراح زوجها.[3]

وفي وسط عدد كبير من الثائرين الحاقدين على الباي، تمكن من النجاة وللمرة الثانية بأعجوبة من موت محق، إذ مكنته حيلته ودهاءه من الفرار من الأعداء بعد أن قتل بن القندوز شنقا، وأسرع بطلب النجدة من أخواله أولاد بن قانة، وقد تمكن الثائرين من اللحاق به وكان عددهم كبير يستحيل على الباي وأتباعه التغلب عليهم، ومن حسن

---

[1]- Ch. Féraud: op. cit, p304.

انظر كذلك، يحي بوعزيز: **كفاح الجزائر**، م. و. ك، الجزائر، 1986.

[2]- L. Rinn: op. cit, p15.

[3]- M. Gaid: Mokrani. p38.

حظ الباي أن وصول أولاد بن قانة بقوة كبيرة لإنقاذه في الوقت المناسب، وتمكنوا من تفريق أعداءه.[1]

ويبدو أن متاعب الباي لم تنته بعد، فلما وصل إلى أبواب مدينة قسنطينة فوجئ بانقلاب الانكشارية عليه حيث قاموا بتعيين محمود بن شاكر باي ومنعوا الباي من دخول المدينة لكنه تمكن من دخولها بفضل براعة والدته الحاجة رقية التي حصلت على فتوة من علماء المدينة لفتح أبواب المدينة أمام الباي[2]، وبعد أن تمكن الباي من العودة إلى مقر حكمه وانتقم من المتآمرين عليه، خرج لعقاب القبائل الثائرة من أولاد مقران بزعامة صهره محمد ابن عبد السلام وشيخ مجانة ابن عبد الله، وكان صف ابن عبد السلام يتكون من قبائل: وأولاد يلس، أولاد ماضي، أولاد موصلي، أولاد بوضياف وأولاد عبد النور التلاغمة وريغة الظهارة، لكنه لم يتمكن من إخضاعها وعاد إلى قسنطينة.[3]

وما أن تمكن الباي من التحرر من قبضة الثائرين حتى سمع بحركة تمرد تزعمها الباي الأسبق إبراهيم الكريتلي [4] الذي يبدو أنه أراد أن يغتنم الفوضى التي عمت البلاد بعد الاحتلال الفرنسي، حيث جمع القبائل الحاقدة على الباي، مدعيا أن الفرنسيين عينوه بايا على قسنطينة [5]، وكان بن عبد السلام المقراني ومقورة بن عاشور شيخ فرجيوة، من بين الذين التفوا حوله وسار بهم في اتجاه قسنطينة، وفي طريقه خيم عند قبيلة أولاد عبد النور ثم التحق بهم فرحات بن سعيد على رأس قوة كبيرة من عرب الصحراء، فخرج

---

[1]-Ch.Féraud: op. cit, p 310.

[2]- L. Rinn, op. cit, p18.

[3]- Ch. Féraud: op. cit. p307.

[4]- وأصله من جزيرة كريت، حكم بايلك قسنطينة لمدة سنتين وستة أشهر(من شهر جويلية 1822م إلى شهر ديسمبر 1824م)، عزل من طرف الداي حسين.لمزيد من المعلومات راجع، أبو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية، ج1، م. و. ك، الجزائر، 1992، ص145ومايليها.

[5]- حميدة عميراوي: دور حمدان خوجة في تطور القضية الجزائرية(1827- 1840)، ط1، د. ب. ث، قسنطينة، 1987، ص133.

الباي لقتالهم، وعندما علم أحمد باي بكثرة عددهم ففكر في حيلة لتفريق صفوفهم وإضعاف قوتهم فهداه دهاؤه إلى توزيع المال على شيخ قبيلة أولاد سحنون مقابل سحب جيشه ففعل هذا الأخير، فلما رأى إبراهيم الكريتلي جيشه بدأ يتفرق اضطر إلى الانسحاب مع ما تبقى معه من المقاتلين، فخرج الباي أحمد منتصرا من هذه المعركة.[1]

يبدو أن محمد بن عبد السلام لم يكن راضيا على سياسة صهره الحاج أحمد باي الذي أسند مشيخة مجانة [2] إلى عدوه ومنافسه أحمد بن محمد، ولا نجد هنا تفسيرا وجيها لانحياز أحمد باي إلى جانب أحمد بن محمد، غير أن أغلب المؤرخين يرجعون سبب ذلك إلى استماتة أحمد بن محمد في القتال دفاعا عن الباي ضد قبائل التيطري الذين اعترضوا سبيله حينما كان عائدا من مدينة الجزائر إلى عاصمة إقليمه، فكافأه الباي على ذلك بتوليته مشيخة مجانة، فأراد الانتقام من صهره فكان على رأس مجموعة من الشيوخ تتألف من: صالح بن يلس شيخ أولاد عامر وفرحات بن سعيد [3] وبوعكاز بن عاشور [4] وشيخ أولاد ماضي سي بوضياف، حيث اتصلت هذه المجموعة بالحاكم برثيزين (Berthézène) بمدينة الجزائر تعرض عليه استعدادها للاستسلام والتعاون مع الفرنسيين مع كل القبائل التي تحت زعامتها للإطاحة بأحمد باي، [5] ويذكر فيرو أن الفرنسيين لم يردوا على رسالتهم بسبب انشغالهم بأحداث الحملة والصعوبات التي واجهوها [6].

---

[1]- Ch. Féraud: op. cit, p309.

[2] - وذلك بعد وفاة الشيخ ابن عبد الله في عام 1830م.

[3] - عزله الباي أحمد من مشيخة عرب الصحراء وعين مكانه صهره الحاج بوعزيز بن قانة، فأصبح من أعداءه، واتصل بالفرنسيين وأعلن خضوعه لهم واستعداده للتعاون معهم للإطاحة بأحمد.

[4] - تحول إلى عدو ومحارب للباي أحمد لأنه قام بعزله من مشيخة فرجيوة.

[5]- Gouvion: op. cit, p70.

أنظر كذلك، حميدة عميراوي: المرجع نفسه، ص198.

[6]- Ch. Féraud: op. cit, p310.

أما مرسي فيذكر أن اتصال هذه الجماعة بالفرنسيين كان عام 1837 وليس كما ذكر كل من رين وفيرو[1]، لكنه لم يذكر لنا هل كان ذلك قبل احتلال الفرنسيين لقسنطينة أم بعده؟

وعندما يئس محمد ابن عبد السلام من مساعدة الفرنسيين له للانتقام من صهره أحمد باي، وجه أنظاره نحو باي تونس وكتب له يعرض عليه التحالف معه للقضاء على أحمد باي وغزو البايلك، ولسوء حظه أن الباي أحمد علم بتلك المراسلة، وتمكن من القبض عليه، وكاد أن يقتله لولا توسلات زوجته عيشوش (ابنة محمد بن عبد السلام)، فاكتفى بوضعه في سجن القصبة.[2]

وبرجوعنا إلى مذكرات الحاج أحمد باي وجدنا أنه لم يشر إلى ذلك في حيث يذكر أنه أثناء مفاوضاته مع الفرنسيين قام باستدعاء كل جيوش مقاطعة إقليمه إذ يقول« وقد هب جميع القادة لتلبية ندائي واذكر من جملة من حضر: أحمد المقراني ومحمد بن عبد السلام المقراني وولد بن عبد الله المقراني وشيخ أولاد الحداد...».[3]

وفي الوقت الذي كان فيه محمد بن عبد السلام في صراع مع صهره أحمد باي، ظل خصمه وابن عمه أحمد بن محمد(شيخ مجانة) مخلصا ووفيا للباي أحمد طوال فترة

---

[1]- Ernest. Mercier : **le Bachagha Mokrani et les causes de l'insurrection de 1871**, Paris, 1900, p11.

[2]- Ch. Féraud : op. cit, p304.

أنظر كذلك: A. Dj. Temimi : op. cit, p115.

[3]- Marcel Emerit : « les mémoires d'Ahmed Bey dernier Bey de constantine», **RA** n° 49. 1905. p105.

راجع كذلك، محمد العربي الزبيري: مذكرات أحمد باي وحمدان خوجة و بوضربة، ص69.

حكمه للبايلك، وكان إلى جانبه في كل المحن التي واجهها الباي، [1] ومن ذلك وقوفه إلى جانب الباي في الدفاع عن مقر حكمه (قسنطينة) ضد الحملة الفرنسية الأولى عام 1836 [2]، حيث ذكر رين أن الفرنسيين عانوا من مضايقة أحمد بن محمد المقراني وجيشه.[3]

وأثناء الحملة الفرنسية الثانية (1837) تمكن الفرنسيون من اقتحام المدينة فانتهز محمد بن عبد السلام فرصة الفوضى التي عمت المدينة، وتمكن من الفرار من السجن في يوم 13 أكتوبر من نفس السنة والتحق بمجانة، حيث أعاد جمع القوة واستمال فرسان الحشم إلى جانبه، وأعلن نفسه الحاكم الشرعي للمشيخة في غياب خصمه أحمد بن محمد الذي كان ملازما. [4]

وعندما سقطت مدينة قسنطينة في أيدي الفرنسيين وانسحب أحمد باي إلى الجنوب وعرض عليه أحمد المقراني اللجوء إلى قلعة بني عباس أو إلى جبال المعاضيد لكن الباي فضل الذهاب إلى الصحراء حيث أقاربه أولاد بن قانة. [5]

عند ذلك عاد أحمد المقراني مع ما تبقي معه من الرجال إلى مشيخته بمجانة لكنه وجد ابن عمه وخصمه محمد بن عبد السلام قد استولى عليها، ومنعه من الدخول إليها فلجأ إلى قلعة بني عباس التي ظل سكانها أوفياء للأسرة [6] لكن رين يذهب إلى القول أن بني عباس والقبائل القريبة من القلعة منها سكان ثازايرت وأزرو وقسم من إغيل علي

---

[1] - صالح فركوس: المرجع السابق، ص289.

[2] - لمزيد من التفاصيل حول الحملة الفرنسية على قسنطينة يراجع، عبد الكريم بجاجة: معركة قسنطينة، 1836-1837، تعريب محمد الهادي لعروق، دار البعث، الجزائر، 1984.

[3]- L. Rinn: op. cit, p16.

[4]- Ch. Féraud: op.cit, p310.

[5]- M. Emerit: op. cit, p105.

انظر كذلك: بجي بوعزيز: ثورة 1871، ص48.

[6]- M. Gaid: Mokrani, p42.

والشواريخ [1] أظهروا لأحمد بن محمد عداءهم ورفضوا استقباله فلجأ إلى قبيلة بني عيدل بالماين [2] غير أن هؤلاء كما يذكر يحي بوعزيز ناصبوه العداء، فلم يكتفوا برفضهم استقباله والاعتراف به كزعيم عليهم، بل أن الأمر ذهب بهم إلى أبعد من ذلك، حين قاموا بالقبض عليه وتسليمه إلى عدوه محمد بن عبد السلام الذي نفاه إلى منطقة الحضنة بعد أن تعهد له بعدم العودة ثانية إلى مجانة [3] فاستأثر بذلك محمد بن عبد السلام بحكم مجانة لوحده.

وبناء على قول المؤرخ التونسي عبد الجليل التميمي فإن القائد الفرنسي "دو روفيقو" قد اتصل بمحمد بن عبد السلام المقراني لتأليبه ضد أحمد باي [4]، ولكن التميمي لم يحدد التاريخ الذي اتصل فيه هذا القائد بمحمد بن عبد السلام، ونعتقد أنه يقصد أن بن عبد السلام هو من اتصل بالفرنسيين وليس العكس.

وحسب أبو القاسم سعد الله فإن الفرنسيين اتصلوا أيضا بمحمد بن القندوز المقراني في محاولة منهم لتأليبه ضد عدو أحمد باي لعلمهم بعداءه الشديد له[5]، وخلاصة القول أن أسرة أولاد مقران كانت من الأسر المحلية الكبيرة التي هبت إلى الدفاع عن مدينة الجزائر ضد الحملة الفرنسية، وان انقسام الأسرة أثر في مواقفها اتجاه أحمد باي ومقاومته، حيث ظل أولاد الحاج الفرع الحاكم بمجانة وفيا ومخلصا للباي أحمد حتى نهاية مقاومته واستسلامه.

---

[1] - تقع هذه القبائل بجوار قلعة بني عباس، ولا تبعد عنها كثيرا.

[2]- L. Rinn: op.cit, p21

[3] - يحي بوعزيز: المرجع نفسه، ص50.

[4]- Temimi: op.cit. p115

[5] - أبو القاسم سعد الله: المرجع نفسه، ص155 ومايليها

- أولاد مقران والأمير عبد القادر:

يعتبر الأمير عبد القادر[1] من أبرز رجال المقاومة الجزائرية ضد الاحتلال الفرنسي، حيث اشتهر بمقاومته الاحتلال في منطقة الغرب الجزائري لمدة تزيد عن الثمانية عشر سنة، تمكن خلالها من انتزاع اعتراف فرنسا بدولته.

وبعد توقيع الأمير عبد القادر مع الفرنسيين معاهدة تافنة عام 1837، تفرغ لتنظيم شؤون دولته، فقام بتقسيمها إداريا إلى ثمان مقاطعات، ووضع على رأس كل منها خليفة، وكانت مجانة إحدى تلك المقاطعات، وجعل عاصمتها سطيف،[2] وفي إطار تنظيم الدولة وتنصيب الخلفاء الذين يمثلون سلطته في الأقاليم التي كان يستولي عليها، سافر الأمير عبد القادر إلى منطقة الونوغة قرب سور الغزلان، وما أن علم الخصمان محمد بن عبد السلام وأحمد بن عبد السلام بقدومه حتى أسرع كل منهما للقاءه، حاملا كل منهما هدايا ثمينة تليق بمقام الأمير، وعرض عليه كل منهما خدماته و مساعدته، طمعا في منصب الخليفة على مجانة [3]، ويذكر في هذا السياق يحي بوعزيز أن الأمير عبد القادر

---

[1] - حول شخصية الأمير عبد القادر ومقاومته، أنظر:

محمد بن عبد القادر الجزائري: **تحفة الزائر في أخبار الجزائر والأمير عبد القادر**، دار اليقظة العربية، ط2، بيروت، 1964.

أنظر كذلك:

هنري تشرشل: **حياة الأمير عبد القادر**، ترجمة وتقديم وتعليق، أبو القاسم سعد الله، ش و ن ت، الجزائر، 1982.

[2] - محمد العربي الزبيري: **الكفاح المسلح في عهد الأمير عبد القادر**، ش و ن ت، الجزائر، 1982، ص126.

[3] - أنظر كذلك، أبو القاسم سعد الله: المرجع نفسه، ص 166ومايليها.

[4] - محمد بن الأمير عبد القادر: **تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر**، ج1، الإسكندرية، 1903، ص200.

هو من كاتب زعماء القبائل والأسر الكبيرة ومن بينهم بن عبد السلام المقراني لكي يستميلهم إلى جانبه[1] ومهما يكن من أمر فقد وقع اختيار الأمير على محمد بن عبد السلام باعتباره صاحب السلطة الحقيقي على أولاد مقران، ولكون أحمد بن محمد كان صديقا وحليفا لخصمه أحمد باي، فانضم إليه صف أولاد القندوز الحاقدين على أحمد باي فحظيوا هم أيضا بقيادة منطقة الحضنة.[2]

وقد أدى تعيين محمد بن عبد السلام خليفة على مجانة من طرف الأمير عبد القادر إلى عودة الصراع والقتال بين الخصمين، حيث قرر أحمد بن محمد منع بن عبد السلام من الدخول إلى مجانة، وذلك بعد أن جمع قوة من قبائل حوض الصومام وبني عباس، في حين كان بن عبد السلام يعتمد على قبيلة الحشم وأولاد ماضي وبعض مرابطي المنطقة، و قام حينها بن عبد السلام بتجريد صف أولاد الحاج من كل القوة والنفوذ الذي كانوا يتمتعون به بمجانة والمناطق المجاورة لها.[3]

من كل ما سبق يمكننا القول أن الصراع بين أحمد باي والأمير عبد القادر كان له تأثير في صراع شيوخ أولاد مقران.

ب- مرحلة الاستسلام والتعاون مع الفرنسيين:

عندما شعر أحمد بن محمد بالتهميش والإقصاء وضياع النفوذ و السلطة نتيجة إبعاده عن مجانة كما رأينا، بدا يفكر في الاستسلام والخضوع للفرنسيين، فاتصل بصديقه

---

[1]- أحمد بن الصالح العنتري: **فريدة منيسة في حال دخول الترك قسنطينة واستيلاءهم على أوطانهـــا أو تاريخ قسنطنة**، مراجعة وتقديم وتعليق، يحي بوعزيز، د. م. ج، الجزائر، 1991.

- محمد بن الأمير: المرجع نفسه، ص200.

- ناصر الدين سعيدوني: « العلاقة بين الامير عبد القادر والحاج أحمد باي وانعكاسها على الفترة ما قبل الاحتلال »، **مجلة الدراسات التاريخية**، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، العدد الثاني، 1986، ص57 وما بعدها.

[3]- Ch. Féraud: op. cit, p311.

بوعكاز بن عاشور[1] شيخ فرجيوة، وأعرب له عن نيته في الاستسلام، ثم كتب إلى الخليفة علي بن باحمد الذي شجعه على الذهاب إلى الفريق غالبوا(Galbois) في قسنطينة دون خوف أو تردد، فذهب إليه في وائل جويلية 1838، فقام بتعيينه في بداية الأمر قائدا على أولاد عامر ناحية سطيف بصفة مؤقتة، وكان الفرنسيون قد عينوا بن هاني بن يلس خليفة على مجانة، [2] كرد فعل على تعيين محمد بن عبد السلام على مشيخة مجانة من طرف الأمير عبد القادر، وكان هدفهم ضرب الأسرة ومشيخة مجانة في آن واحد.

وقد تلقى أحمد المقراني تعيينه قائدا على أولاد عامر بمرارة لكنه أظهر للفرنسيين ولاءه كخطوة أولى في سبيل تحقيق ما كان يطمح إليه من استعادة مكانته ونفوذه، ولم يمض وقت على ذلك حتى تم تعيينه في منصب خليفة مجانة، وذلك بعد مقتل بن هني بن يلس في إحدى المعارك التي كان يخوضها الجيش الفرنسي ضد قبيلة ريغة القبالة في شهر سبتمبر من نفس السنة [3]، حيث قام فالي(Valée) شخصيا بتنصيبه في يوم 24 أكتوبر عام 1838 في حفل بهيج بقصر الباي بقسنطينة، ووقع الخليفة على وثيقة التعيين بعد أن أدى اليمين بحضور عدة شخصيات وطنية وفرنسية مهمة.[4]

وقد باشر الخليفة أحمد بن محمد المهام المنوطة به دون أن يلتحق بمركز المشيخة بمجانة التي لم يلتحق بها إلا بعد عام من تنصيبه، وذلك بسبب وجود خليفة الأمير عبد القادر محمد ابن عبد السلام بها، وخضوعها إلى سلطة الأمير، وكان الخليفة ابن عبد

---

[1] - كان الشيخ بوعكاز بن عاشور يقاتل إلى جانب الباي ولما سقطت مدينة قسنطينة في أيدي الفرنسيين أعلن خضوعه للفرنسيين وتعاونه معهم.

[2]- Colonel Robin: **l'insurrection de la grande Kabylie en 1871**. Alger. 1901, pp96-98.

[3] - قتل بن يلس في إحدى المعارك التي كان يخوضها الجيش الفرنسي ضد ريغة القبالة لإخضاعها.

[4]- L. Rinn: op.cit. p23.

Bourde Paul: **à travers l'Algérie**. G. Charpantier. Paris, 1880. p175. انظر كذلك:

السلام مدعما بجيش نظامي يتكون من 300 جندي من المشاة النظاميين، و50 فارسا نظاميا، بالإضافة إلى أفراد فرع أولاد عبد السلام وأولاد القندوز المتعاونين معه [1] و كانت السلطة الاستعمارية بلا شك تهدف من وراء ذلك إلى ضرب ابن عمه خليفة الأمير عبد القادر على نفس المشيخة.[2]

وهكذا وضع أحمد بن محمد المقراني نفسه في خدمة السلطات الاستعمارية التي وضعت سياسة جديدة تتمثل في التعامل مع الأسر الكبيرة ذات النفوذ، وذلك بالحفاظ على الامتيازات التي كانوا يتمتعون بها خلال العهد العثماني، مقابل تعاونهم معها في التوسع والقضاء على المقاومة.

كانت سلطة الخليفة أحمد بن محمد تقع على المناطق التي لم تتمكن الإدارة الاستعمارية من حكمها حكما مباشرا، فهي تمتد من بايلك التيطري وبرج حمزة (البويرة) غربا حتى مشيخة فرجيوة شرقا، ومن البيبان حتى مشيخة ابن قانة جنوبا.[3] فكان يتحكم في قبائل برج حمزة، الجلفة، الحضنة، بوسعادة، أولاد نايل، بسكرة، وحوض وادي ريغ، [4] والجهة الغربية من جبال الونوغة ومزيطة، وشفعة والقرقور، وكانت هذه القبائل تدفع الضرائب الم نقدا أو كمنتجات زراعية. [5]

وقد حدد قرار تعيين أحمد ابن محمد على مشيخة مجانة مهامه فيما يلي:

- تنصيب شيوخ القبائل الخاضعة لسلطته.
- تقديم المرشحين للقيادات إلى القائد العام بقسنطينة لتعيينهم.

---

[1] - محفوظ قداش: « جيش الأمير عبد القادر، تنظيمه وأهميته»، ترجمة حسن بن مهدي، مجلة الثقافة، تصدرها وزارة الثقافة بالجزائر، عدد 75، 1983، ص65.

[2]- Ch. Féraud: op.cit, p312.

[3]- M. Gaid: **les Beni Yala**. p59.

[4] - نجي بوعزيز: ثورة 1871، ص 51.

[5]- Carette: op.cit, p127.

- تحصيل الضرائب المتنوعة لحساب السلطة الفرنسية، مع احتفاظه بثلث ضريبة الحكور مقابل أتعابه.

- القضاء بين الأهالي حسب ما تقتضيه الشريعة الإسلامية.

- يساعده فرق الصبايحية في فرض سلطته على المناطق التابعة له، وكذلك في عملية تحصيل الضرائب، وتكون مسؤولية ورواتب هذه الفرق على حساب السلطة، ويخضع الخليفة مباشرة إلى القائد العام لمقاطعة قسنطينة.[1]

ويذكر فيرو أنه في الوقت الذي كان الفرنسيون يجهلون تماما طبيعة البلاد وكيفية فرض سلطتهم في الجهة الغربية من بايلك قسنطينة، قدم لهم الخليفة أحمد المقراني خدمات جليلة لا يمكن تجاهلها أو نسيانها، فقد لعب دورا فعالا في استقرار المنطقة والوقوف في وجه الأمير وأتباعه.[2]

ويؤكد كاريت حقيقة المساعدات التي قدمها الخليفة أحمد المقراني للفرنسيين أثناء عبورهم منطقة البيبان، ويذكر أيضا أن ضعف الأسرة وانقسامها ساعد الجيش الفرنسي على التوسع في المنطقة، ويقول نفس الكاتب أنه يكفي وجود أحمد المقراني بين صفوف القوات الفرنسية لخضوع قبائل عديدة في المسيلة وبوسعادة وغيرها [3] وهو ما أكده أيضا الأستاذ حميدة عميراوي حيث يقول أن أحمد المقراني لعب دورا فعالا في تمكن الفرنسيين من بسط نفوذهم على مناطق كثيرة في البرج والمسيلة والحضنة وأولاد نايل[4] كما تمكن الخليفة بمساعدة الفرنسيين من التخلص من خصومه من باقي أفراد الأسرة، [5] وخاصة

---

[1]- L. Rinn: op.cit, p22.

أنظر كذلك: يحي بزعزيز: **ثورة 1871**، ص50.

[2]- E. Carette: op.cit, t1, p126.

[3]- Pélissier de Reynaud: **Annales Algériennes**, première édition, vol, I-II-III. Alger, 1836, p291.

[4]- حميدة عميراوي: المرجع نفسه، ص198.

[5]- Pélissier: op.cit, p291.

ابن عمه ومنافسه محمد بن عبد السلام الذي يذكر بيليسي أنه قاوم الجيش الفرنسي مقاومة عنيفة، وأصبح الخليفة الحاكم المطلق لمشيخة مجانة.[1]

ولعل أعظم خدمة قدمها الخليفة أحمد بن محمد إلى الفرنسيين هي تمكنهم من عبور مضيق البيبان، الذي لم يكن الأتراك يعبرونه إلا بعد دفع ضريبة العبور إلى شيوخ أسرة أولاد مقران أو بإذن منهم، وقد مكنهم عبور منطقة البيبان بربط بايلك الشرق بمدينة الجزائر.

ونخلص إلى القول أنه كان للصراع بين شيوخ أسرة أولاد مقران، دورا في انقسام مواقف الأسرة من مقاومة أحمد باي، ومن الاحتلال الفرنسي، وكان من نتائج ذلك الصراع استسلام أحمد بن محمد الذي مكن الاحتلال من إخضاع الأسرة بجميع فروعها، ويمكننا القول أيضا أن استسلام أحمد بن محمد للفرنسيين لم يكن حبا فيهم أو ضعفا في إيمانه أو نقصا في شهامته وشجاعته، وإنما كان بهدف الاستعانة بهم ضد أعدائه من أفراد الأسرة، كما أن خصمه محمد بن عبد السلام انضم إلى صف الأمير عبد القادر بهدف القضاء عليه، ونكاية في أحمد باي، وفيما يتعلق باستسلام كل فروع الأسرة فقد حدث ذلك بعد أن ضاقت بهم السبل وحاصرتهم القوات الفرنسية من كل جهة.

والسؤال الذي يجب طرحه هل ستستمر الأسرة في تقديم خدماتها لسلطات الاحتلال؟

[1]- Ch. Féraud: op.cit, p317.

الفصل الثالث:الحياة الاقتصادية والاجتماعية للأسرة

1)-الحياة الاقتصادية:

أ- التجارة

ب- الصناعة

ج- الزراعة

د- دور أسرة أولاد مقران في استغلال غابات الخراسة

2)- الحياة الاجتماعية:

أ- النظام الاجتماعي للأسرة

ب- العلاقات مع المناطق والقبائل المجاورة

ج- المسكن

د- اللباس

هـ- التعليم

ن- نظام القضاء

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

1- الحياة الاقتصادية:

لقد استطاعت أسرة أولاد مقران من الجمع بين النفوذ الديني من خلال تأسيس حكم الأسرة انطلاقا من قلعة بني عباس في البداية ثم مشيخة مجانة فيما بعد، والنفوذ السياسي [1]، حيث كانت تلعب الدور الرئيسي في المنطقة التي كانت تتحكم فيها طوال فترة الحكم العثماني و الاحتلال الفرنسي إلى غاية ثورة 1871[2] وكانت هذه القبائل تخضع لحكم الأسرة لأنها استمدت نفوذها الروحي من الأجداد المؤسسين لها والذين كانت شهرتهم تتعدى حدود المنطقة، ثم أصبحت الأسرة تميل إلى النفوذ العسكري، بفعل امتدادها الواسع وامتلاكها للأراضي الشاسعة وعدد كبير من المواشي.[3]

كانت أسرة أولاد مقران تستمد قوتها ونفوذها من المقوم الديني والسياسي والعسكري، بالاضافة إلى المقوم الاقتصادي، وهو ما سنتطرق اليه في هذا الفصل، وقد اكد أغلب المؤرخين والكتاب على أن سلطنة بني عباس كانت من أغنى المناطق في مجال التجارة والصناعة [4].

وقد ارتأينا أن نتناول الحالة الاقتصادية للأسرة في العناصر التالية:

1-Leila Babes: **Mythes d'origines et structures dans le Constantinois sous la domination Turque, essai sur le fondement du pouvoir politique.** Thèse 3ème cycle en étude politique, Aix- en- Provence, 1984, p14.

2- V. Péquet: **les civilisation de l'Afrique du Nord**, A. Colin, Paris. 1909. p257.

3- Carette: op.cit. p465.

4- Alain Mahé: **Histoire de la grande Kabylie XIX- XX**. édition Bouchéne. Paris. 2001. p27.

أ- التجارة:

تعتبر التجارة النشاط الاقتصادي الغالب الذي كان يمارسه سكان سلطنة بني عباس، إذ لعب موقع القلعة الاستراتيجي دوره في ازدهار التجارة ورواجها بالقلعة، فموقعها الحصين في أعالي الجبال وفي نقطة عبور والتقاء السكان، جعل منها همزة وصل بين المنطقة التلية ومنطقة الهضاب العليا.

وعلى الرغم من أن اقتصاد الريف في العهد العثماني كان يتميز بالانطواء على نفسه، أي أن السكان كان همهم الشاغل توفير حاجاتهم الضرورية دون التفكير في التصدير، إلا أن إمارة أولاد مقران ببني عباس ومجانة، يمكن استثناؤها من هذا الحكم، إذ كان اقتصادها متفتحا يعتمد أساسا على النشاط التجاري وخاصة في قلعة بني عباس، حيث وجد السكان أنفسهم مجبرين على بيع ما كان يصنعه صناعهم من منتجات مختلفة، ومبادلتها مع غيرهم بما يحتاجونه في حياتهم اليومية.

ففي عهد الإمارة بقلعة بني عباس، كان اقتصاد الأسرة يرتكز أساسا على النشاط التجاري، بحكم طبيعة المنطقة الجبلية وصعوبة التضاريس وقلة الأراضي الزراعية، وقد شهدت القلعة منذ تأسيسها في عهد السلطان أحمد بن عبد الرحمان في مطلع القرن السادس عشر توافد عدد كبير من السكان من مختلف المناطق، طلبا للأمن والاستقرار والحماية والتبادل التجاري الحر في ظل حكم أسرة أولاد مقران، مما ساعد على ازدهار التجارة ورواجها، فقد كانت الإمارة نقطة التقاء التجار، علاوة على المنتجات المختلفة التي كان ينتجها السكان محليا،[1] ويذكر هانوتو Hanoteau بهذا الصدد أن كثافة السكان في منطقة بني عباس والمناطق المجاورة لها ساعد على تنشيط التجارة لان الارض

---

[1]- Féraud: op. cit, p210.

لم تكن قادرة على تقديم الغذاء الكافي للسكان [1] وقد أشار الرحالة الفرنسي بيسونال إلى أن سكان بني عباس كانوا يصنعون الأسلحة النارية ويبيعونها في أسواق قسنطينة [2].

ولا شك أن سلاطين إمارة بني عباس أولوا اهتماما كبيرا للنشاط التجاري الذي كانت تعتمد عليه الإمارة في اقتصادها بالدرجة الأولى، فقد ذكر فيرو أن السلطان أحمد أمقران قام ببناء مستودعات ضخمة لتخزين البضائع التي كان السكان يأتون لشرائها من كل النواحي، وشق الطرقات بين الأحياء والقرى للتبادل التجاري كما كان سلاطين الإمارةحريصين على تحقيق الأمن والاستقرار بالمنطقة من خلال مراقبة الأسواق وحراستها من اللصوص وقطاع الطرق[3].

وتجدر الإشارة هنا إلى الدور الذي لعبه المهاجرون الأندلسيون بما فيهم طائفة اليهود الذين لجأوا إلى قلعة بني عباس على إثر سقوط بجاية في أيدي الأسبان عام 1510 كما سبقت الإشارة إلى ذلك، دور رئيسي في ازدهار النشاط التجاري بالإمارة، وظهور بعض الصناعات الجديدة التي لم يكن سكان القلعة يعرفونها من قبل، كصناعة الحلي والمجوهرات وصهر الحديد، وصناعة الأسلحة النارية وبعض الأسلحة الحديدية كالسيوف والدروع والمتارس وصناعة البارود، وكانت هذه المنتجات بلا شك تصدر إلى المناطق المجاورة، فكانت تعود على أصحابها بأرباح طائلة [4].

ومن المعلوم أن الأندلسيين لجأوا إلى بعض المدن الساحلية والداخلية الجزائرية فرارا من الاضطهاد الذي تعرضوا له بالأندلس على يد الأسبان في نهاية القرن الخامس

---

[1]- Hanoteau et Letourneux: **La Kabylie et les coutumes Kabyles**, T1, Paris, 1893, p568.

[2]- Peyssonnel et Desfontaines: op. cit, p342.

[3]- Féraud: op. cit, p232.

[4]- عبد الكريم محمود غرايبة: **تاريخ العرب الحديث**، طبع الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت، 1984، ص 41.

عشر الميلادي، حفاظا على أنفسهم ودينهم وشرفهم، فاستقروا في عدة مدن كالجزائر ووهران وبجاية وجيجل وعنابة وغيرها، كما استقروا أيضا بمدن المغرب الأقصى وطرابلس الغرب وتونس، غير أن احتلال الأسبان لبعض تلك المدن كوهران وبجاية على الخصوص، جعلهم يلجأون إلى المناطق الجبلية المجاورة لمدينة بجاية، فكانت قلعة بني عباس المكان المناسب الذي تتوفر فيه شروط الحماية والأمن الذي كانوا يبحثون عنه [1].

وكان اليهود من بين الذين التحقوا بالقلعة فقد عثر الفرنسيون على كتابة باللغة العبرية على أحد جدران القلعة تحمل اسم إبراهيم هاليفي بروفانسال [2] وهذا يدل على التسامح الديني الذي كان يسود بين سكان إمارة القلعة وهو يؤكد أيضا ما ذكره هايدو فيما يتعلق بالحرية الدينية التي كان يتمتع بها المسيحيون بالإمارة.

ويبدو أن هؤلاء المهاجرين الأندلسيين قد وجدوا في قلعة بني عباس ملاذا لهم. واستفادت القلعة من وجودهم بها، ويمثل مسجد أبو العباس - الذي بني على نمط مساجد قرطبة والذي لا تزال آثاره إلى يومنا هذا- جانبا من التأثير الأندلسي في مجال العمران[3]، وبحكم أن الأندلسيين بما فيهم اليهود كانوا مهرة في فن التجارة فقد ساهمو في ازدهار التجارة بالإمارة التي كان اعتمادها على النشاط التجاري كبيرا.

وعن تأثير المهاجرين الأندلسيين في المدن الجزائرية التي استقروا بها يقول سعد الله: «أن الأندلسيين نشروا أنماط حضارتهم في المدن التي استقروا بها في الجزائر فتقدمت بوجودهم العمارة والطب والموسيقى والزراعة والصنائع والحرف والتجارة والتعليم والخط... وطبعوا المدن الجزائرية بطابع الأندلس وكان تأثيرهم على السكان كبير بخبرتهم الكبيرة في التجارة والحرف» [4]

---

[1] - عبد الكريم محمود غرايبة: المرجع نفسه، ص 41.

- Lévi Provencal : op.cit, p774-775.

[3] - أنظر الملحق رقم 10.

[4] - سعد الله أبو القاسم: **تاريخ الجزائر الثقافي**، ص ص212- 213.

وقد ذكر الغبريني في كتابه عنوان الدراية، نحو ثلاثة وثلاثون عالما أندلسيا كانوا يعيشون في بجاية [1]، فلا شك أن يكون من بين الذين لجأوا إلى قلعة بني عباس بعض هؤلاء العلماء فاستفادت منهم إمارة المقرانيين على مر السنين.

وفيما يتصل بالأسواق التي كان سكان منطقة بني عباس ومجانة يقومون بتسويق منتجاتهم بها فكانت تعقد، العديد من الأسواق الأسبوعية بها وبالمناطق المجاورة التي كان يتردد عليها السكان بكثرة [2]، من أجل تصريف فائض منتجاتهم الفلاحية من التين والزيتون والفواكه الأخرى، ومنتجاتهم الصناعية من ألبسة وأواني وعتاد وآلات النسيج والأسلحة، وبالمقابل فإن سكان الصحراء من البدو الرحل كانوا يأتون من الجنوب إلى التل لمقايضة منتجاتهم من التمور والوبر والصوف والأغنام بما يحتاجونه من حبوب خاصة [3] وبهذه الطريقة كانت المصلحة المشتركة تجمع بين سكان الصحراء القادمين من الجنوب، والسكان المستقرين وشبه المستقرين [4] ويذكر كاريت أن تجار قلعة بني عباس كانوا يجوبون كل مناطق الإيالة، وأنهم كانوا ماهرين في فن التجارة وأنهم يعتبرون بمثابة بني ميزاب التل[5].

---

[1] - الغبريني أبو العباس أحمد: **عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجايـــة**، تحقيـــق عادل نويهض، لجنة التأليف والترجمة والنشر، بيروت، 1969، ص7.

-Pierre Boyer: **L'évolution de l'Algérie médiane (ancien département d'Alger) de 1830 à 1956**, librairie d'Amérique et d'Orient, Adrien, maison neuve, Paris, 1960, p47.

- Ismail Urbain : « notice sur l'ancienne province du Titri », pub. in, **Tableau de la situation des établissements Français en Algérie**., 1845. p400.

[4] - الهواري عدي: **الاستعمار الفرنسي في الجزائر، سياسة التفكيك الاقتصادي والاجتماعي، 1830 - 1960**، ترجمة جوزيف عبد الله، دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، بيروت، 1983، ص99.

- Carette : op. cit, T2. p346.

وكانت المقايضة أساس التبادل التجاري بين السكان الذين كانوا يفضلونها لأنهم كانوا يجنون من ورائها أرباحا طائلة، وتجدر الإشارة هنا إلى أهمية الأسواق الأسبوعية بالنسبة لسكان المنطقة، فلم تكن الأسواق الأسبوعية مكانا يلتقي فيه السكان من مختلف القبائل والمناطق لمقايضة بضائعهم فقط، بل كانت وظيفة السوق أبعد ذلك، حيث أدى وضع المنطقة وعزلتها وصعوبة مسالكها ودروبها إلى تحول السوق من الحاجة لاقتناء مختلف مواد التموين إلى عادة لا يمكن للسكان التفريط فيها أو التخلي عنها بسهولة، فتحولت بذلك الأسواق إلى ملتقى يتم فيه نشر الأخبار وتبادل الآراء والتقاء الأقارب والأصدقاء، وكان البراح [1] يعلم الناس بالأخبار الجديدة في المنطقة، وفي الأسواق تحل المنازعات ويعقد الاتفاق على الزواج، فكانت الأسواق بمثابة الرأي العام في يومنا هذا.[2]

ومما كان يزيد الأسواق الأسبوعية أهمية أنها تلتقي فيها كل الفئات الاجتماعية من علماء وشيوخ وقياد ومرابطين وطلاب العلم، وذلك الاختلاط والاحتكاك من شأنه أن يؤدي تبادل الآراء والأفكار وبالتالي إلى التطور الاجتماعي والثقافي للسكان، وقد أدركت السلطة التركية أهمية وخطورة الأسواق الأسبوعية، فكانت تبث جواسيسها يتحسسون الأخبار، و كان سكان المناطق البعيدة الذين يمتنعون عن دفع الضرائب لاعتقادهم أنهم بعيدين عن السلطة المركزية، لكنهم كانوا يجدون أنفسهم مجبرين على دفع ما عليهم من ضرائب في السوق من خلال الغرامة التي كانوا يدفعونها مقابل ما يعرضونه للبيع من سلع وبضائع، فوجدت بذلك السلطة العثمانية السبيل لتعويض تلك الضرائب التي كانوا يمتنعون عن دفعها.[3]

---

[1] – البراح هو شخص يكلفه صاحب المصلحة بإعلان خبر ما و إبلاغه للناس في يوم السوق، مقابل مبلغ من المال، ويشترط أن يكون محل ثقة بين الناس، كالإعلان عن الأفراح أو ضياع حاجات الناس.

[2] – محمد سي يوسف: **مقاومة منطقة القبائل للاستعمار الفرنسي(ثورة بوبغلة)**، دار الأمل، تيزي وزو، 2000، ص19.

[3] – محمد سي يوسف: المرجع نفسه، ص20.

وتعد أسواق منطقة بني عباس من أهم الأسواق التي كان يقصدها السكان من كل قبائل المنطقة، وذلك يعود إلى تنوع السلع التي كانت تعرض في هذه الأسواق، وإلى موقع القلعة الاستراتيجي، حيث كانت تتوسط قبائل المنطقة، والأهم من ذلك الأمن والاستقرار الذي كان يوفره حكام الإمارة للمتسوقين، وخاصة الأجانب، وهو ما لم يجدوه في الأسواق الأخرى التي يعاني فيها التجار من اعتداء قطاع الطرق واللصوص عليهم.[1]

وبالرغم من انتقال أسرة أولاد مقران من قلعة بني عباس إلى سهل مجانة إلا أن ذلك لم ينقص من نفوذها الاقتصادي، كما أن منطقة مجانة لا تقل أهمية عن منطقة بني عباس، فهي تقع في موقع استراتيجي يربط بين منطقة القبائل ومنطقة غرب مدينة الجزائر، وتربط بين المنطقة الشبه الصحراوية والمرتفعات والسهول الوسطى، فهي منطقة التقاء التجار من كل النواحي[2] مما جعلها تتبوأ مكانة هامة في المنطقة.

ومن أهم المنتجات التي كانت إمارة بني عباس ومشيخة مجانة تصدرها إلى أسواق المناطق الأخرى، البرانس والحياك والقشابية والشواش والطرابيش والقندورة والأغطية والأفرشة، والسجاد والحصير، والأسلحة النارية والأسلحة البيضاء، والعسل وزيت الزيتون والشموع والوسائل المستخدمة في النشاط الفلاحي، والتين المجفف، والحبوب والقمح والشعير والفواكه، والصوف والجلود والأواني الفخارية والأدوات الخشبية والقرميد والآجر وحجارة الطواحن وغيرها من المنتجات الأخرى.[3]

1- Alain Mahé: op, cit, p35.
2- Général Brossard: **mélanges sur l'Afrique. Perpignon, Imprimerie** Baptiste. Paris. 1838. p122.
3- Carette: op. cit. p266.

وأما المنتجات التي كانوا يستوردونها فكانت تتمثل في: التمور والحلفاء والبن والسكر والقماش والكتان والقطن والنحاس والذهب والمطاحن الحجرية والقرميد والآجر وغيرها من المنتجات المحلية [1].

وكان تجار بني عباس ومجانة يجوبون أسواق مدينة الجزائر وبجاية وقسنطينة وغيرها من المدن الكبرى [2].

ونخلص إلى القول أن أسرة أولاد مقران في قلعة بني عباس ومجانة كانت تعتمد على النشاط التجاري الذي أولت له الأسرة عناية كبيرة مما أدى إلى ازدهاره بالمنطقتين.

ب- الصناعة:

تعد الصناعة النشاط الاقتصادي الثاني لأسرة أولاد مقران في قلعة بني عباس بعد النشاط التجاري الذي سبقت الإشارة إليه، حيث أدى موقع القلعة في أعالي الجبال وصعوبة تضاريس المنطقة وافتقارها إلى الأراضي الزراعية، إلى اضطرار السكان إلى لصقل مواهبهم واستغلال ما لديهم من امكانيات قصد توفير حاجاتهم الضرورية وما تتطلبه حياتهم اليومية، وكانت الصناعة الحرفية التقليدية التي كان الصناع يمارسونها لا تتطلب إمكانيات كبيرة، وتعتمد على وسائل يدوية بسيطة وشيء من الإبداع.

وكانت الحياة بالريف تتميز بالبساطة على خلاف الحياة بالمدينة، وذلك يجعل متطلبات السكان بسيطة، ومن هذا المنطلق فقد كانت الصناعة ببني عباس موجهة للاستهلاك المحلي في بداية الأمر، ونظرا للجودة التي كانت تتميز بها منتجاتهم الصناعية، ورواجها في أسواق المنطقة وازدياد الطلب عليها، فإن تصدير تلك المنتجات أصبح حافزا قويا كان جعل الصناع والتجار يعملون جاهدين على تسويق تلك المنتجات إلى المناطق الأخرى، ولا يجب أن تفهم البساطة هنا بغياب الإبداع والإتقان في تلك الصناعات بل

- Hanoteau et Letourneux : op. cit, p565.
- Daumas et Fabar: op. cit, p58.

على العكس من ذلك فقد كانت منتجات صناع القلعة تمتاز بالجودة والإتقان ولعل أشهر تلك المنتجات التي كانت رائجة في الأسواق البرانس والبنادق والشواش (الطرابيش)[1].

ويتميز سكان قلعة بني عباس بحبهم للعمل والتفاني فيه، فبالإضافة إلى عملهم اليومي الدءوب تجدهم يولون اهتماما كبيرا وعناية خاصة لحقولهم، سواء تلك المتواجدة بالقرب من منازلهم أو التي تبعد قليلا عن القلعة، حيث يمارسون زراعة أنواع مختلفة من الأشجار المثمرة كالتين والزيتون والرمان [2].

وتعتبر صناعة الأسلحة النارية من أهم الصناعات التي كانت تشتهر بها منطقة بني عباس، وكان دافع الاهتمام بهذه الصناعة هو الحماية والدفاع، وقد كان لاختيار المكان الذي بنيت عليه القلعة بمهارة بدافع الحماية أيضا، ولا شك أن وفرة المواد الاولية بالمنطقة قد ساعد السكان على القيام بهذه الصناعة حيث تتحدث المصادر عن وجود معادن الحديد والكحل والفضة والرصاص بالمنطقة [3] وذكر القنصل الأمريكي وليم شيلر في مذكراته أن بني عباس كانوا يستخرجون معدن الحديد ويصنعون مختلف أنواع الأسلحة والأدوات الفلاحية [4]،وحتى الرحالة الألماني وليم سبنسر أشار إلى أن سكان قلعة بني عباس كانوا يعرفون طريقة استخراج معدن الحديد والمعادن الأخرى كملح البارود المتواجدة بمنطقتهم وتصنيعها محليا [5].

---

[1] - العيد مسعود: **المجتمع الجزائري في العهد العثماني**، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، 1974، (ر. غ.م)، ص10.

[2]- Daumas et Fabar: op.cit, p24.

[3] - اليعقوبي: المصدر نفسه، ص105.

[4] - وليم شيلر: المصدر نفسه، ص114.

[5] - وليم سبنسر: **الجزائر في عهد رياس البحر**، ترجمة عبد القادر زبادية، ش.و.ن.ت، الجزائر، 1980، ص118.

ومن أهم أنواع الأسلحة النارية التي كان سكان بني عباس يقومون بصناعتها صناعة المدافع التي أسسها السلطان عبد العزيز بن أحمد بن عبد الرحمان قصد الدفاع عن القلعة ضد أعداءه من أمراء كوكو والأتراك [1] حيث عثر الفرنسيون عند احتلالهم القلعة على أربة مدافع حديدية يعتقد أن أحدها من أقدم المدافع في الجزائر بل في كل الشمال الإفريقي، ويعود تاريخ صنع هذا المدفع إلى القرن الثالث عشر الميلادي، ويحمل كتابة عليها اسم السلطان محمد بن عبد العزيز العباسي[3]، ومؤرخ في جمادى الثانية من عام 766ه(1366م)[4]، ويبلغ طول هذا المدفع مترين و48 سم، وعياره 18 ملم وهو خالي من الزخارف[5]، ويحمل إلى جانب اسم السلطان، اسم صانعه وهو العلجي حسن الرومي[6]، وتجدر الإشارة إلى أن المعلومات حول هذا المدفع تضاربت فيما يتعلق بتحديد هوية صانعه ومكان صنعه اسم السلطان المكتوب عليه.

فمؤرخ بايات قسنطينة فايسات الذي اعتمد على معلومات استقاها من سكان قلعة بني عباس يذكر لنا أن صانع هذا المدفع هو أحد الجنود الأسبان الذي لجأ إلى قلعة بني عباس ومكث بها بعد أن أسلم، وقام ببناء دار سبك المدافع، معللا ذلك بمعرفة

1- Vayssettes : op, cit, p33.

2 - لم يتمكن الفرنسيون من الوصول إلى قلعة بني عباس إلا بمساعدة خليفتهم على بجانة أحمد بن محمد المقراني، وذلك في عام 1839.

3 - أنظر الملحق رقم: 11.

4 - لخضر درياس: **المدفعية الجزائرية في العهد العثماني**، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه الدرجة الثالثة، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، 1989- 1990، ص61.

5 - أنظر الملحق رقم: 12.

6- Lévi Provençal : «Complement à l'Histoire de la Galaa des Beni Abbes », in. **R.S.A.C**, 1913, p773.

السكان لهذا النوع من المدافع من جهة، و مقدار عيارته التي تضم قنبلة من 18 كلغ وتحتاج إلى 6 كلغ من البارود، وشهرة الناحية بصناعة الأسلحة النارية من جهة أخرى[1].

وأما ميترو(Maitrot) فيذكر أن هذا المدفع صنع بليون أو طولون تحت إشراف مهندس الأمير محمد بن عبد العزيز، معللا ذلك بورود اسم "الرومي" الذي يعني الفرنسي، وأما بخصوص اسم الأمير فهو أمير بجاية الحمادي وهو أبو العباس الذي حكم بجاية عام 1356م [2] ولكن الجنرال دوماس يعتقد أن الاسم الوارد في المدفع هو للسلطان عبد العزيز سلطان قلعة بني عباس [3].

أما لخضر درياس وبعد تحليله للكتابة التي وردت في المدفع ومقارنتها بالنصوص التاريخية لتلك الفترة، فقد توصل إلى أن اسم محمد بن عبد العزيز لم يرد ذكره في كتابات المؤرخين، وان الاسم الذي يوجد في المصادر هو لأبي عبد الله محمد أبو العباس حاكم بجاية عام 1366م وليس كما ذكر ميترو، وأما السلطان عبد العزيز زعيم بني عباس فهو بعيد جدا عن تلك الفترة [4] وهو ثالث سلاطين الإمارة حيث حكم من 1510 إلى تاريخ مقتله على يد الأتراك عام 1559 كما ذكرنا في الفصل الأول من هذا البحث.

ومهما يكن من أمر فإننا نرجح أن هذا المدفع من صنع محلي وأن فكرة الصنع الفرنسي مستبعدة، لأنه لا يعقل أن يصنع المدفع في إحدى المدن الفرنسية كما يدعي ميترو ويحمل هذه الكتابة، خاصة إذا علمنا أن أوروبا المسيحية في هذه الفترة كانت في حالة حرب وعداء شديد مع الدولة العثمانية ممثلة الخلافة الإسلامية.

---

[1]- Vayssettes : « notice sur les canons de la Kalaa des Beni Abbas », in **R. S. A. C**, 1865, p33.

[2]- A.Maitrot: « quelques armes curieuses des dépôts de Constantine », in, **R.S.A.C**, 1910, p182.

3- Daumas et Fabar: op.cit, p39.

[4] - لخضر درياس: المرجع نفسه، ص25.

ويدعم قولنا ما ذكره فيرو من أن عبد العزيز سلطان قلعة بني عباس زود الحامية الأسبانية ببجاية بمادة بارود المكاحل [1] وذلك عندما كان في حالة تحالف معها.

وقد ذكر إبراهيم ابن غانم الأندلسي أن عملية الكشف عن وجود المعادن بالطرق التقليدية يعتمد على وسائل بسيطة غير معقدة، فالكشف عن وجود ملح البارود، كان يتم بثلاث طرق:

- طريقة الكشف بالوتد، وتتم بغرز وتد خشبي بالأرض المشكوك في وجود الملح بها بمقدار شبر، ثم يستخرج ويضع بدلا منه وتد حديدي محمى حتى الاحمرار ويسد عليه بالتراب ويترك حتى يبرد ثم يخرج، فان وجد على لون الحديد فلا وجود للملح، أما إذا وجد لون الوتد ابيض فذلك دليل على وجود الملح [2].

- طريقة الكشف بالنار: وهي الطريقة الثانية وتتم بنثر حفنة من تراب المكان المشكوك فيه على نار مشتعلة، فان حدثت شرارة فذلك دليل على وجود الملح، وان لم يحدث شيء فلا وجود للملح.

- أما الطريقة الثالثة فتتم بتذوق تراب المكان المشكوك فيه، فان شعر الإنسان باللدغ والحرارة فان الملح موجود وان لم يشعر بشيء فلا وجود له.[3]

وتجب الإشارة هنا أيضا إلى الدور الذي لعبه المهاجرون الأندلسيين الذين استقروا بقلعة بني عباس بعد الاحتلال الاسباني لبجاية، سواء في عملية الكشف عن المعادن، أو في صناعة البارود والأسلحة ومختلف الصناعات الأخرى، وقد يكون صناع القلعة قد تأثروا بالصناع الأندلسيين الذين استقروا بالقلعة.

---

[1]- Féraud : op.cit, p177.

[2] - إبراهيم ابن أحمد غانم الأندلسي: **العز والمنافع للمجاهدين في سبيل الله بالمدافع**، مخطوط بالمكتبة الوطنية الجزائرية، رقم 1115، ص65.

[3] - المصدر نفسه، ص65.

وبالاضافة إلى صناعة المدافع كان سكان القلعة يشتهرون بصناعة بارود المكاحل حيث يذكر فيرو أن عبد العزيز سلطان قلعة بني عباس قام بتزويد الحامية الأسبانية ببجاية بمادة بارود المكاحل عندما كان في حالة تحالف معها [1]، كما كانوا يصنعون البنادق المرصعة بالفضة والمرجان [2] وهو ما يؤكده كاريت الذي يدعي أن سكان بني عباس كانوا يجلبون مادة الحديد من مدينة الجزائر، وبعد تعرض هذه الأخيرة للاحتلال الفرنسي تحول تجار بني عباس إلى أسواق تونس للتزود بهذه المادة [3]، إلا أننا نشك في صحة ما ذهب إليه كاريت، لأن مصادر عديدة تذكر أن سكان المنطقة اشتهروا بمعرفتهم لطريقة استخراج معدن الحديد [4].

وكانت بنادق بني عباس تلقى رواجا وانتشارا في أسواق الإيالة بفضل الجودة والاتقان التي كانت تتميز بهما، حيث يذكر كاريت أن سكان بني عباس كانوا يستخدمون غابات الزان في صناعة اذرع البنادق، وكان هذا النوع من البنادق الرفيعة يدر على التجار بأرباح طائلة، لا سيما وأن سكان المنطقة كانوا حريصين كل الحرص على امتلاك البنادق، فهي بالنسبة لهم ضرورية مثلها مثل الخيول حيث كانوا يستخدمونها في الحروب وفي الصيد وفي الاحتفالات الاستعراضية، وكان سعر البندقية الواحدة حسب تقدير كاريت يصل إلى 175 فرنكا، في حين لم يكن سعر البنادق التي تنتجها مناطق أخرى يتجاوز 50 فرنكا [5] ويدل غلاء سعرها على جودتها وصلابتها وبراعة صانعيها حيث كانوا يستخدمون خشب الزان والجوز اللذان يمتازان بالصلابة والجمال.

---

[1]- Féraud : op.cit, p177.

[2]- ناصر الدين سعيدوني والمهدي البوعبدلي المرجع نفسه، ص66.

[3]- Carette : op. cit, p266.

[4]- حمدان بن عثمان خوجة: المصدر نفسه، ص 67.

[5]- Carette: op. cit. p267.

ويدعي كاريت أن هذه الصناعة التقليدية انتقلت إلى سكان قلعة بني عباس عن طريق أحد الحرفيين المختصين في صناعة البنادق، حيث قدم من مدينة الجزائر واستقر بقلعة بني عباس، [1] غير أننا نستبعد هذا القول الذي ربما كان كاريت يهدف من وراءه الانتقاص من قدرات وإمكانيات سكان القلعة.

كما كانوا يشتهرون أيضا بصناعة النسيج، من الألبسة مثل البرانس والقشابيات والحياك والحنابل والأغطية والأفرشة والسجاد والحصير وكانت هذه المنتجات تزين بالرسوم والأشكال الهندسية، وتعتمد على مادة الصوف.

وكانت برانس بني عباس ذات شهرة ورواج كبير في أسواق مدينة الجزائر والمدن الكبرى الأخرى [2] كقسنطينة وعنابة [3]، بل أن شهرتها ومكانتها تخطت حدود الإيالة إلى تونس والمغرب الأقصى حسب ما يذكر فيرو، ونظرا لجودتها وجمالها فإنها لم تكن في متناول جميع الطبقات الاجتماعية بسبب سعرها المرتفع، حيث كان سعر الواحد منها يتراوح بين 30 و50 فرنكا في حين كانت البرانس المناطق الأخرى لا تعدى سعرها 20 فرنكا [4] وتجدر الاشارة هنا إلى أن البرنوس العباسي لا تزال شهرته ومكانته قائمة إلى يومنا هذا ليس في منطقة البرج وما جاورها فحسب، بل عبر التراب الجزائري.

وقد أشار القنصل الأمريكي وليم شالر إلى براعة سكان بني عباس في صناعة البرانس ومختلف أنواع الألبسة [5]، وأما القرى التي كانت تشتهر بصناعتها فهي: القلعة، تازايرت،

---

[1]- Carette: op, cit, p267.

[2]- العيد مسعود: المرجع نفسه، ص11.

أنظر كذلك:

Abd El Hamid Merad Boudia : op, cit, p23.

[3]- Féraud : « les corporations des métiers à Constantine avant la conquête Française, traduction d'un manuscrit arabe», in **R.A**, n°: 16, 1872, p451.

[4]- Carette : op. cit, p293.

[5]- وليم شالر: المصدر نفسه، ص ص 114- 115.

تالفسة، إهدان، تقرابت، بوجليل، أولاد قايد و ويزران، ويتزود سكان هذه القرى بمادة الصوف من السوق الأسبوعية التي كانت تقام بمجانة كل يوم أحد[1].

وبالإضافة إلى صناعة الأسلحة النارية كان سكان بني عباس يشتهرون أيضا بصناعة السيوف والرماح والسهام والسروج واللجام والدروع والمسامر والحراب [2] وهي وسائل ضرورية كانوا يستخدمونها في حروبهم.

وكان السكان يصنعون مختلف الأدوات والوسائل الفلاحية التي كانوا يستخدمونها في نشاطهم الفلاحي اليومي[3] ومن بين تلك الأدوات المحراث والفأس والمناجل وغيرها.[4]

وقد ذكر ويليم شالر في موضع آخر أن بني عباس بالإضافة إلى أنهم كانوا يصنعون الأسلحة النارية والأدوات الفلاحية، كانوا يتفننون في صناعة النسيج والألبسة المتنوعة وصناعة الأحذية وإنتاج زيت الزيتون [5].

وكان سكان قلعة بني عباس يشتهرون ببراعتهم في صناعة مادة الصابون وتصديره إلى مناطق عديدة، حيث كانوا يستخدمون المواد الأولية المتوفرة محليا، كالريحان والصنوبر والزيتون [6] ورماد نبات الدفلة والعرعار و غيرها [7]، ويذكر كاريت بهذا الصدد أن سكان بني عباس يولون عناية كبيرة للنظافة، فقلما تجد أسرة لا يقوم أفرادها بغسل أيديهم قبل وبعد تناول كل وجبة أكل.[8]

---

[1]- Carette: op. cit, pp293.

[2]- Abd elhamid Merad Boudia: op, cit, p186.

[3]- ناصر الدين سعيدوني والمهدي البوعبدلي المرجع نفسه، ص66.

[4]- Carette : op, cit, p366.

أنظر كذلك: Alain Mahé: op, cit, p37.

[5]- وليم شالر: المصدر نفسه، ص ص 114- 115.

[6]-Carette: op. cit, p293.

[7]- قلة الخنشلي، المرجع نفسه، ص12.

[8]- Hanoteau et A. Letourneux : op.cit. p268.

وكانت صناعة عصر الزيتون لا تقل أهمية عن الصناعات السالفة الذكر، خاصة وأن المنطقة تشتهر بانتاجها للزيتون كما أن وفرة الحجارة المستخدمة في طحن الزيتون ساعد على انتشار هذه الصناعة في المنطقة، ويعتبر زيت الزيتون مادة أساسية في غذاء السكان، كما تعتبر شجرة الزيتون ذات أهمية كبرى في حياة السكان أيضا حيث بالإضافة إلى غذاء السكان المتمثل في الزيت والزيتون، تقدم أوراق الأشجار كعلف للمواشي، في فصل الشتاء، وتستخدم الفضلات المستخرجة من الزيتون كوقود، كما يستعمل الزيت كذلك في الإنارة [1].

كما كانوا يعرفون صناعة القرميد والآجر محليا وربما كانوا يسوقونها إلى المناطق المجاورة، ويعرفون أيضا صناعة مادة الجير الذي يستخدمونه في طلاء المساجد وقبب الزوايا وأضرحة المرابطين، وكانوا يصنعون الحبال باستخدام الصوف وشعر الماعز لاستعمالها في حياتهم اليومية.[2]

وكانوا يصنعون الأواني المنزلية من الخشب والفخار، ويتساوى في هذه الحرفة الرجال والنساء، بالإضافة إلى صناعة الأحذية والمحافظ والأحزمة الجلدية ووسائل الغزل والنسيج ووسائل البناء.[3]

يتضح لنا أن الصناعة في قلعة بني عباس ومجانة تحت حكم أسرة أولاد مقران كانت مزدهرة ولقيت العناية والاهتمام، وكانت منتجاتها رغم بساطتها تتميز بالاتقان والجمال مما جعلها رائجة في الأسواق، ولا شك أن ذلك يكون قد ساهم في تنشيط التجارة والزراعة بالمنطقة.

= أنظر كذلك: Carette: op. cit, p359.

[1]- Ibid, p293.

[2]- Daumas et Fabar : op, cit, p26.

[3] - العيد مسعود: **المجتمع الجزائري في العهد العثماني**، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، 1974، (ر.غ.م) ص 10.

ج- الزراعة:

لقد اختلف الوضع الاقتصادي لأسرة أولاد مقران من قلعة بني عباس إلى مجانة. ذلك أن الموقع الجغرافي والتضاريس المختلفة بين المنطقتين أثر على النشاط الاقتصادي للسكان، فالتضاريس الصعبة التي تميز منطقة بني عباس وطابعها الجبلي جعل الأراضي الزراعية قليلة جدا وبالرغم من ذلك فالسكان كانوا يستغلون تلك الأراضي على قلتها، وأما بالنسبة لمنطقة مجانة فهي عبارة عن سهل فسيح، وأرضه خصبة لذا كان سكانها يعتمدون على زراعة وانتاج الحبوب بكثرة، كما كانوا يقومون بالإضافة إلى ذلك بتربية المواشي، ويمكننا القول أنه إذا كانت منطقة بني عباس قد غلب النشاط التجاري على اقتصادها فإن منطقة مجانة جمعت بين التجارة والزراعة معا.

ومن أهم المنتجات والمحاصيل التي كانت تشتهر بهما قلعة بني عباس ومجانة، زراعة الزيتون وأشجار التين اللذان كانا يشكلان الغذاء الأساسي للسكان ومصدر هام في التبادل التجاري والتصدير،

ملكية الأرض:

لقد كانت ملكية الأراضي في الجزائر بصفة عامة خلال العهد العثماني تتمثل في عدة أشكال: ملكية خاصة للأفراد والأسر، ملكية عامة للقبيلة أو العرش، ثم ملكية البايلك أو الدومين وملكية الوقف [1]، وفيما يتصل بنمط ملكية الأراضي الذي كان سائدا لدى أسرة أولاد مقران خلال هذا العهد، فالملكية الخاصة هي الطابع الغالب، ودليلنا على ذلك ما أورده رين حين يذكر أن السلطة الفرنسية قامت بإرجاع الأراضي لأصحابها من فروع الأسرة عام 1845 وذلك بعد استسلامهم [2] الأمر الذي يدل على

---

[1] - العيد مسعود: المرجع نفسه ص4.

[2]- Rinn: op. cit. p31.

أنه كان لكل أسرة أرض خاصة بها، ولكننا نعتقد أن ملكية الأرض كانت جماعية قبل انقسام الأسرة إلى عدة فروع متناحرة، وذلك في عهد الشيخ سيدي بوزيد الذي توفي في حوالي عام 1734.

وبما أن الأرض كانت ملكية خاصة بالأسرة فكانت الأسرة تحرم المرأة من الميراث حفاظا على تماسك الملكية كغيرها من الأسر الجزائرية أثناء تلك الفترة، كما كان نظام الشفعة يطبق تفاديا لتفتيت الملكيات وحرصا على أن لا يشرك الأجانب في ملكية الأسرة [1].

وأما عن نظام استغلال الأراضي التي كانت تمتلكها أسرة أولاد مقران، فبما أنها كانت تعتبر من الأسر "الأرستقراطية" في بايلك الشرق الجزائري، ونظرا للنفوذ الذي كان يمارسه شيوخها وبما أنهم كانوا أسيادا على المنطقة أيضا، فلم يكن أفراد الأسرة يستغلون الأرض بأنفسهم، بل كانوا يستأجرون الفلاحين لخدمتها مقابل منحهم خمس الإنتاج (الخماسين)، علاوة على العمل التطوعي الجماعي الذي كانت الأسرة تستغله والذي يعرف بسم التويزة وذلك في أوقات الحصاد وجني المحاصيل الزراعية بشكل عام[2].

ويذكر بعض المؤرخين بهذا الصدد أن منطقة بني عباس ومجانة كانت تشتهر بإنتاجها الوفير للقمح والحبوب [3] حيث تتوفر مجانة على أخصب الأراضي المنتجة

---

[1] -العيد مسعود: المرجع نفسه، ص21.

[2] - المرجع نفسه، ص6.

أنظر كذلك: فلة القشاعي: المرجع نفسه، ص39.

[3] - أندري برنيان، أندري نوشي، إيف لاكوست: **الجزائر بين الماضي والحاضر**، ترجمة اسطنبولي رابح ومنصف عاشور، د.م.ج، الجزائر، 1984، ص147.

للحبوب [1]، والعسل والشموع والتين والزيتون والكروم، وتشتهر أيضا بتربية المواشي والخيول. [2]

ويذكر اليعقوبي أنه خلال العهد الحفصي كان سكان المنطقة يخزنون حبوبهم بمجانة[3]، وقد عرفت مشيخة مجانة ومنطقة بني عباس كغيرها من مناطق بايلك الشرق بعض التدهور، في المجال الزراعي جراء الحملات التأديبية التي كان الأتراك يقومون بها في عملية جمع الضرائب، وفي إخضاع القبائل الممتنعة، أو في حالات التدخل لقمع وإخماد الثورات التي كانت تندلع بسبب ثقل الضرائب، فأثر ذلك سلبا على الناحية الاجتماعية لسكان المنطقة حيث تحول كثير منهم إلى البداوة والترحال للتهرب من الضريبة من جهة، ولتفادي الاصطدام بالأتراك من جهة أخرى.[4]

وعلاوة على المنتجات السابقة، كان سكان مجانة يقومون بطحن الحبوب، وذلك لتوفر الحجارة المخصصة لذلك في منطقتهم، وكانت مجانة تسمى حسب ما ذكر اليعقوبي مجانة المطاحن[5] وذلك يرجع إلى توفر الحبوب بكثرة وبالتالي أدى ذلك إلى كثرة المطاحن.

ونظرا للأراضي الشاسعة التي كانت تملكها الأسرة، فإن أغلب الكتاب والمؤرخين يعتبرونها من الأسر الأرستقراطية الكبيرة ذات النفوذ، والمكانة المرموقة لدى الحكام الأتراك، فكانت لها امتيازات كبيرة دون غيرها من الأسر، وكانت تجني أرباحا طائلة من

---

[1]- André Nouşhi : **Enquête sur le niveau de vie des populations rurales Constantinoise de la conquête Française jusqu'en 1919**, Paris. 1961. p66.

[2] - أندري برنيان، أندري نوشي، إيف لاكوست: المرجع نفسه، ص147.

[3] - الإدريسي: المصدر نفسه، ص95.

[4] - ناصر الدين سعيدوني:« دور قبائل المخزن في تدعيم الحكم التركي بالجزائر» في مجلة الأصالة، تصدرها وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، عدد 32، 1987، ص45.

[5] - اليعقوبي: المصدر نفسه، ص356.

المناطق الواسعة الأرجاء التي كانت تابعة لها، والتي كانت تمتد عبر مجانة وسور الغزلان وحمزة، وقبائل الحضنة، وذلك بعد أن انتشرت فروعها في الجهات الغربية والجنوبية من بايلك الشرق،[1] وقد قدرت أملاكها من الأراضي عشية الاحتلال بنحو عشرون ألف هكتار (20000)، ومدخولها السنوي ب2 مليون فرنك، هذا ما جعلها من الأسر الميسورة الحال في بايلك الشرق الجزائري[2].

وبخصوص مساحات الأراضي التي كانت تملكها أسرة أولاد مقران بجميع فروعها، واعتمادا على جدول الأراضي التي قامت السلطة الاستعمارية بمصادرتها عقب ثورة 1871، والتي نشرها الأستاذ يحي بوعزيز [3] فإننا نستنتج أن أملاك الأسرة لم تكن بقلعة بني عباس عاصمة الإمارة، ومجانة فقط، بل كانت منتشرة في مناطق عديدة مثل: بني عيدل، سيدي مبارك، زمورة، الجبايلية، العنصر، العناصر، عين سلطان، أولاد خلوف، تافرق، رأس الواد، عين تاسرة، بني منصور والأصنام ومدينة برج بوعريريج.[4]

وأما عن طبيعة تلك الأملاك فهي عبارة عن أراضي زراعية ورعوية، وبساتين للأشجار المثمرة وحقول للخضر وسدود وآبار ومنابع للمياه، فمجموع الأشجار المثمرة التي صادرتها السلطة الاستعمارية يفوق 4000 شجرة زيتون وتين وعنب وغيرها، كما يوجد ضمن الأملاك المصادرة أيضا البيوت والمنازل والحمامات والمقاهي وحتى المساجد لم تسلم من المصادرة، وقد بلغ المجموع الكلي للأراضي التي صودرت بين سنتي 1871 و1873: 55 سنتآر و89 آر و2282 هكتار، وكانت موزعة على فروع الأسرة الستة وهم:

---

[1] - بوعزيز (يحي): «الحالة الاقتصادية والاجتماعية للمجتمع الريفي بالشرق الجزائري خلال القرن 19»، مجلة الثقافة، ع80، 1984.

[2] - فلة المشامي: المرجع نفسه، ص126.

[3] - يحي بوعزيز: **مواقف العائلات الأرستقراطية من الباشاغا المقراني**، م. و. ك، الجزائر، 1994.

[4] - المرجع نفسه، ص140.

أولاد الحاج، أولاد عبد الله، أولاد عبد السلام، أولاد القندوز، أولاد عبد الرحمان، و أولاد بورنان، وكانت تلك الأملاك تشمل: 569 ضيعة زراعية للحبوب والأشجار المثمرة، 39 بستانا مسقيا للخضر والأشجار المثمرة، 39 منزلا للسكن، 3 رحاوات للحبوب، و3 إسطبلات بالإضافة إلى مقهى ومسجد وحمام.[1]

ومن خلال هذه الأرقام يتضح لنا أن الأسرة كانت تملك أراضي واسعة وثروة كبيرة، قدرها كاريت بأكثر من 70 مليون فرنك، وذكر أيضا أن شيوخ الأسرة لم تكن نفقاتهم كثيرة حتى لا يثيروا انتباه جشع وطمع الحكام الأتراك ويعتقد كاريت أن شيوخ الأسرة كانوا يخزنون ثروتهم بعيدا عن الأتراك بقلعة بني عباس حيث يستثمرونها في النشاط التجاري الذي كان يدر عليهم أرباحا طائلة [2]، ولا شك في أن سكان المناطق التابعة لحكم الأسرة كانوا يخضعون لشيوخها ويبدون الاحترام والتقدير لها بسبب امتلاكها لتلك الثروة.

وأما عن ممتلكات الأسرة من المواشي فبالرغم من عدم وجود إحصائيات تحدد عدد رؤوس الماشية التي كانت تملكها إلا أنه يمكننا أن نستنتج من خلال ما ذكره الرحالة الفرنسي بيسونال الذي عبر منطقة حكم أسرة أولاد مقران وأقام بمجانة في حوالي عام 1725 يذكر أن الشيخ بوزيد سلطان تلك البلاد كان يملك أعدادا لا تعد ولا تحصى من المواشي، إلى درجة أنه هو نفسه لا يعرف عددها[3] كما يمكننا أن نستشف من خلال اشتهار الأسرة بصناعة الألبسة التي تستخدم فيها كميات كبيرة من الصوف خاصة في نسج البرانس والحياك والقشابيات والأفرشة والأغطية، وذلك يدل على الأعداد الهائلة من المواشي التي كانت الأسرة تملكها، وكان من بين المنتجات التي كانت تقوم الأسرة ببيعها في الأسواق، الصوف والجلود وهذا ما ذكره كاريت .

---

[1] - يحي بوعزيز: المرجع نفسه، ص141.

[2]- Carette : op. cit, p129.

[3]- Peyssonnel et Desfontaines : op.cit, p374.

أولاد الحاج، أولاد عبد الله، أولاد عبد السلام، أولاد القندوز، أولاد عبد الرحمان، و أولاد بورنان، وكانت تلك الأملاك تشمل: 569 ضيعة زراعية للحبوب والأشجار المثمرة، 39 بستانا مسقيا للخضر والأشجار المثمرة، 39 منزلا للسكن، 3 رحاوات للحبوب، و3 إسطبلات بالإضافة إلى مقهى ومسجد وحمام.[1]

ومن خلال هذه الأرقام يتضح لنا أن الأسرة كانت تملك أراضي واسعة وثروة كبيرة، قدرها كاريت بأكثر من 70 مليون فرنك، وذكر أيضا أن شيوخ الأسرة لم تكن نفقاتهم كثيرة حتى لا يثيروا انتباه جشع وطمع الحكام الأتراك ويعتقد كاريت أن شيوخ الأسرة كانوا يخزنون ثروتهم بعيدا عن الأتراك بقلعة بني عباس حيث يستثمرونها في النشاط التجاري الذي كان يدر عليهم أرباحا طائلة [2]، ولا شك في أن سكان المناطق التابعة لحكم الأسرة كانوا يخضعون لشيوخها ويبدون الاحترام والتقدير لها بسبب امتلاكها لتلك الثروة.

وأما عن ممتلكات الأسرة من المواشي فبالرغم من عدم وجود إحصائيات تحدد عدد رؤوس الماشية التي كانت تملكها إلا أنه يمكننا أن نستنتج من خلال ما ذكره الرحالة الفرنسي بيسونال الذي عبر منطقة حكم أسرة أولاد مقران وأقام بمجانة في حوالي عام 1725 يذكر أن الشيخ بوزيد سلطان تلك البلاد كان يملك أعدادا لا تعد ولا تحصى من المواشي، إلى درجة أنه هو نفسه لا يعرف عددها[3] كما يمكننا أن نستشف من خلال اشتهار الأسرة بصناعة الألبسة التي تستخدم فيها كميات كبيرة من الصوف خاصة في نسج البرانس والحياك والقشابيات والأفرشة والأغطية، وذلك يدل على الأعداد الهائلة من المواشي التي كانت الأسرة تملكها، وكان من بين المنتجات التي كانت تقوم الأسرة ببيعها في الأسواق، الصوف والجلود وهذا ما ذكره كاريت .

---

[1] - يحي بوعزيز: المرجع نفسه، ص141.

[2]- Carette : op. cit, p129.

[3]- Peyssonnel et Desfontaines : op.cit, p374.

ومن خلال هذه الأرقام يتضح لنا المناطق الكثيرة والمتنوعة التي كانت تابعة لحكم أولاد مقران، ويتبين لنا أيضا أن أغلب سكان تلك المناطق كانوا يســـــكنون الخيام الأمر وذلك يؤدي بنا إلى الاستنتاج أنهم كانوا يعتمدون على الزراعة والرعي، كما نستشف من خلال الجداول السابقة ضخامة المبالغ التي كانت الأسرة تحصل عليها، وأن الأسرة كانت تقوم بجباية الضرائب دون تدخل من السلطة التركية.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن القبائل التابعة لحكم أسرة أولاد مقران كانت تدفع مستحقاتها من الضرائب في شكل منتجات زراعية، وقلما كان التعامل بالنقود، والقيم الواردة في الجداول هي عبارة عن قيم تعادل ما كانت القبائل تدفعه من مختلف المنتجات.

دور أسرة أولاد مقران في استغلال غابات الخراسة([1]):

لا شك في أن سر قوة الجزائر في العهد العثماني تكمن في قوة أسطولها البحري وشجاعة بحارتها وجنودها، وكان النظام العثماني حريصا على الحفاظ على قوة الايالة، وذلك بتجديد وتعزيز الأسطول البحري.

وكانت المراكب التجارية والحربية كانت تصنع من الخشب، مما جعل هذه المادة ذات أهمية كبيرة، وتزايد الطلب والاستهلاك عليها، وكان النجارون في الإيالة يتزودون بمادة الخشب من غابات شرشال في بداية الأمر، ثم لفتوا أنظارهم نحو غابات بجاية والمناطق المحيطة بها.

---

[1] - الخراسة (تكتب أيضا الكراسة)هي كلمة تركية تعني الألواح الخشبية التي تستعمل في عدة أغراض، كبناء السفن والمراكب البحرية، والمنازل وغيرها، أنظر:

Dictionnaire Turc- Français: op. cit, p850.

غير أن جنوح سكان هذه المناطق وميلهم إلى التمرد، أدى إلى صعوبة وصول مادة الخشب إلى مدينة الجزائر، كما أنه لم يكن كل الخشب يصلح لصناعة تلك المراكب، فالطلب المتزايد كان على أشجار البلوط والصنوبر و الزان، التي تتميز بمتانتها وصلابتها وهي التي كانت تنتشر في غابات منطقة بجاية وجيجل.[1]

ولعلاج هذا المشكل وضمان تدفق هذه المادة الحيوية، إلى مراكز تصنيعها، اضطر الحكام الأتراك إلى الارتباط بالشخصيات الدينية ذات التأثير الكبير والنفوذ القوي على السكان، وقد اشتهر بهذه المناطق المرابط سيدي محمد أمقران ابن سيدي ناصر ابن أحمد أمقران، الذي اتفق معه الأتراك على تقطيع الأشجار وإرسالها عبر البحر إلى مدينة الجزائر.[2]

وقد أشاد سعيدوني بالدور الذي لعبته أسرة أولاد مقران في تزويد الحكومة التركية بالأخشاب التي كانت تقطع من غابات جيجل وبجاية، لاستخدامها في صناعة السفن، وذلك عن طريق المرابط سيدي محمد أمقران وأسرته التي احتفظت بذلك الامتياز من بعد وفاته.[3]

كما يذكر روبان(Robin) أن نفوذ الحكام الأتراك ببلاد القبائل كانت ترتكز أساسا على تأثير الأسر الدينية على سكان المنطقة، فتقربوا من رجال الدين واستطاعوا

---

[1]- مولاي بلحميسي: «صناعة السفن بالجزائر أيام الأتراك (ق 16م- 19م) »، مجلة الدراسات الأثرية، العدد 3، الجزائر، 1995، ص52.

[2] - المرجع نفسه، ص53.

[3]- ناصر الدين سعيدوني والمهدي البوعبدلي: المرجع نفسه، ص60.

كسب ثقتهم وذلك مقابل امتيازات كانوا يمنحونها لهم، وكان من أهم هؤلاء المرابط سيدي محمد أمقران الذي نال شهرة كبيرة في منطقة بجاية وجيجل [1].وقد تمكن الأتراك من التقرب من المرابط سيدي محمد أمقران وكسب وده، من أجل مساعدتهم على توسيع سلطتهم بمنطقة القبائل التي كانت من أشد المناطق رفضا للخضوع لسلطتهم، ويرجع عبد الحميد مراد النفوذ الديني الكبير الذي كان يتمتع به محمد أمقران بالمنطقة الجبلية الممتدة من بجاية إلى جيجل، إلى انتسابه إلى أسرة أولادمقران،و إلى الصفات الفاضلة التي كان يتصف بها، فاغتنم قائد الحامية التركية ببجاية الفرصة وتقرب منه للتمكن من استغلال غابات المنطقة، [2]، وظل هذا المرابط الشهير يتمتع بنفوذ كبير حتى وفاته في بجاية، فاتخذ سكان هذه المدينة من ضريحه مزارا لهم، و عند وفاته ترك خمسة أبناء، استقر الإبن الأول بزاوية برباشة قرب بجاية، والثاني انتقل إلى بني إسماعيل قرب بجاية ثم سافر بعدها إلى تونس، أما الإبن الثالث ففضل العودة إلى مجانة حيث أجداده واستقر بها، والابن الرابع ويدعى سي الميهوب استقر عند أولاد نابت في قايدة تبابورت، ومكث الابن الخامس ببجاية ويدعى عبد القادر وهو الذي يبدو أنه ورث الامتياز عن أبيه حيث طلب منه الحكام الأتراك فيما بعد الانتقال إلى جيجل حتى يتسنى لهم استغلال المنطقة المحيطة بها والغنية بأشجارها المتنوعة [3].

ولكي يقوم الأتراك باستغلال غابات منطقة جيجل والمناطق المجاورة لها، من دون مشاكل مع سكان المنطقة الذين لم يكونوا يعترفون بسلطة الأتراك عليهم، طلبوامن الشيخ سي الحاج احمد بن المكي ابن الشيخ عبد القادر أمقران الرحيل عن بجاية والذهاب للاستقرار بجيجل، ومنحوه امتياز تقطيع الأشجار وإرسالها إلى مدينة الجزائر عبر البحر لاستخدامها في صناعة السفن.

---

[1]- N. Robin : « Notes sur l'organisation militaire et administrative dans la grande Kabylie ». in. **R.A**, n° 18, 1873, p205.
[2]- Abd El Hamid Merad Boudia : op. cit. p186.
[3]- Féraud : « Exploitation des forets». p378.

وقد استفاد أبناء المرابط سيدي محمد أمقران وأحفاده من عدة امتيازات منحها لهم الحكام الأتراك في شكل شهادات قام فيرو بترجمة تلك الشهادات وأرفق مع نشرها نصوصها باللغة العربية، في المجلة الإفريقية [1] وتنص الشهادة الأولى التي منحها الباشا الحاج محمد بن محمود المدعو التريكي في عام 1093ه (1682م) بن محمد أمقران وجاء فيها مايلي: « إلى السيد عبد القادر المعظم الفقيه الأجل السيد المولى الأعلى البركة السيد عبد القادر ابن المرحوم الوالى الصالح القطب الناصح الشيخ البركة سيدي محمد امقران نفعنا الله ببركاته وافاض علينا، يقوم هذا الشيخ بالاشراف على عرش برباشة بأقسامها الثلاثة، أولاد عبد الله وبري وبرباشة، تكون كل هذه الفرق زوايا تحت إشرافه، وتكون تلك الزوايا حبسا عليه وعلى أعقاب أعقابه من بعده، ولا يدفع أية ضريبة الحكومة التركية».[2]

و في شهر جمادى الثاني 1107ه(1695م) منح الحاج أحمد باشا الذي حكم الإيالة من 1695 إلى 1698م، شهادة أخرى [3] لفائدة أولاد سي عبد القادر بن سيدي محمد أمقران، في منطقة برباشة، ومنح هذا الامتياز إلى السيد محمد الشريف ابن المرحوم بكرم الحي القيوم المقدس المنغمس الشيخ سيدي عبد القادر بن سيدي محمد امقران ويتمثل الامتياز في اشرافه على زوايا المنطقة ويقيم زاوية ببني بومسعود «وحبسناها عليه وعلى عاقبه وعاقب اعقابه ذلك صدقا منا عليه لوجه الله العظيم ورجاء ثوابه الجسيم ولاطعامه للفقراء والمساكين وعلى كافة اهل الزاوية المذكورين خصوصا زاوية بني بومسعود أن يكون كلهم عند نظره وسمعه وطاعته كما اننا اقمناه في مقام والده المذكور على شغل البايلك يجري عليه مثل الكراسة وغيرها من غير ممانع له في ذلك مع حرمه واحترامه ورعيه وحفظ جنابه بحيث لا تهتك له حرمه ولا من يتعدى

---

[1]- Féraud : op, cit, p378.

[2] - أنظر نص الشهادة في الملحق رقم13.

[3]- أنظر نص الشهادة في الملحق رقم14.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

وانطلاقا من هذه الامتيازات والعلاقات الحسنة التي كانت تجمع الحكام الأتراك بأسرة محمد أمقران، أصبح سكان منطقة بجاية يشعرون بالشرف والاعتزاز وهم يحملون تلك الشهادات التي تحمل ختم الباشا [1]، بعد أن كانت الحامية التركية بنفس المدينة لا يحاولون الابتعاد عن أبراجهم وذلك حسب شهادة شوفالي دارفيو (le Chevalier d'Arvieux) الذي زار بجاية في عام 1670 حيث يذكر أنه وجد المدينة في حالة يرثى لها، حيث البيوت كانت عبارة عن خراب، وان الأتراك لا يغادرون حصونهم، لأن السكان الجبليين كانوا في حالة حرب معهم، وكانوا يقاتلونهم بشراسة كلما صادفوهم في طريقهم.[2]

وعليه فإن الدور الذي لعبته أسرة أولاد مقران من خلال الشيخ سدي محمد أمقران، لم يتوقف على الجانب الاقتصادي المتمثل في استغلال خشب الغابات المنطقة، بل ساهمت الأسرة أيضا في فرض السلطة التركية على تلك المناطق الجبلية التي لولا هذا المرابط لما تمكن الأتراك من الاقتراب من شجرة واحدة من تلك الغابات، لأن الشجرة بالنسبة لهؤلاء السكان كانت تعتبر المورد الأساسي في حياتهم، ذلك أن وعورة المنطقة لا يسمح بقيام أي نشاط آخر، فكانت الشجرة شيء مقدس بالنسبة لهم،[3] وقد استمر أحفاد سيدي محمد أمقران في التمتع بامتياز استغلال غابات الخراسة إلى غاية الاحتلال الفرنسي عام 1830.

وبتلك السياسة تمكن الحكام الأتراك من ضمان تدفق مادة الخشب لاستخدامها في بناء السفن الحربية والتجارية، التي كانوا في أمس الحاجة إليها لمواجهة الخطر المسيحي المحدق، كما تمكنوا من فرض سلطتهم على هذه المناطق الوعرة التضاريس والتي كان

---

[1]- Féraud : op, cit, p39.
[2]- Laurent (le Chevalier) d'Arvieux : **Mémoires du chevalier d'Arvieux**. Pris, 1735, p236.
[3]- Féraud : op. cit, p37.

سكانها يميلون إلى الاستقلال و رفض الخضوع لأية سلطة مهما كانت، وضمنوا أيضا سلامة الحاميات العسكرية التي كانت تتجول بالمنطقة من حين لآخر.

ومن خلال هذه الشهادات تتضح لنا المكانة التي كان يتمتع بها الشيخ سيدي محمد أمقران وأبناءه وأحفاده في المنطقة الممتدة من بجاية إلى جيجل، فكانوا يعفون من الضرائب ويتمتعون بحماية كبيرة من طرف الحكام الأتراك فلا يحق لأحد أن يتعرض لهم سواء من سكان الأهالي أو الأتراك، ونتيجة لذلك أحاطهم السكان بهالة من التقديس والتبجيل فكان لهم دورا فعالا في دعم الأمن والاستقرار في تلك المناطق المستعصية على الحكام الأتراك.

2- الحياة الاجتماعية:

كان يتشكل المجتمع في إمارة أولاد مقران ببني عباس ومجانة أساسا من مجموعة من الدواوير التي تشكل بدورها القبيلة، التي كانت تحكمها الجماعة، وتتكون الجماعة عادة من وجهاء القوم، من حيث السن والخبرة، والعلم والجاه والكلمة المسموعة والأهم من ذلك الانتماء إلى القبيلة، فلا يعقل أن يختار لحكم الجماعة من كان غريب عن القبيلة[1].

وكانت للمرأة في منطقة مجانة وبني عباس مكانتها في المجتمع، على عكس ما كان يشاع على أن المجتمع لجزائري هو مجتمع رجال، ذلك أنها كانت تلعب دورها في المجال الاقتصادي والاجتماعي والسياسي، فالمرأة الريفية كانت تقوم بمعظم الأعمال التي هي غالبا من اختصاص الرجل، كأعمال الحرث والزراعة وكانت تجلب العلف للحيوانات، كما كانت تقوم علاوة على ذلك بجمع المحاصيل وجلب الحطب من الغابة للتدفئة في

1-Pierre Hakoun: **étude sur l'évolution des coutumes Kabyles**, ancienne maison Bastide, Jourdan, Alger. 1921, p36.

فصل الشتاء واستخدامه في طهي الطعام، بالإضافة إلى أعمال البيت من تربية الأولاد ونسج الملابس للأسرة من برانس وقشابيات وقنادير ومنادل وشواش وزرابي وحياك وغيرها [1]، كما كانت تقوم بطحن الحبوب الجافة بالمطحنة الحجرية [2]، وهي أعمال تتميز بها المرأة الريفية عن المرأة الحضرية، فلم يكن في الحقيقة وقت الفراغ في حياة المرأة الريفية، فهي تختلف عن المرأة الحضرية في ذلك، فكانت تقضي أغلب أوقات فراغها في الغزل والنسيج، وصناعة الأواني الفخارية.[3]

أ- النظام الاجتماعي للأسرة:

كان النظام الاجتماعي في أسرة أولاد مقران يتكون من الأسرة الموسعة التي تعد الخلية الاجتماعية الأساسية إذ كانت مركز مختلف شؤون أفراد الأسرة، فيما يتصل بالاقتصاد والعرف والعادات والتقاليد، وكان يرأس الأسرة شيخ واحد وهو الذي يحدد لكل فرد وبيت مكانه المحدد داخل الجماعة وكانت القضايا المتعلقة بالأسرة الموسعة تناقشها الجماعة [4].

وكانت إمارة بني عباس تحت حكم أسرة أولاد مقران تتكون من البربر بالدرجة الأولى، ثم يأتي العرب والمهاجرين الأندلسيين بما فيهم اليهود كما سبقت الإشارة إلى ذلك،[5]

---

[1]- أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص157.

[2]- René Vigier: **La femme Kabyle (Grande Kabylie), sa succession légitime**, les éditions Véga, Paris, 1932, p2.

[3]-Mouloud. Gaid: **Les Beni Yala**, op, cit. p30.

[4]- العيد مسعود: المرجع نفسه، ص17.

[5]- Levi Provençal: op. cit, p774-775.

ويؤكد البارون أوكابيتان Aucapitaineأن بعض يهود قلعة بني عباس ومجانة انتقلوا إلى بوسعادة للاستقرار بها [1]، غير أنه لم يحدد لنا الأسباب التي دفعتهم إلى مغادرة القلعة.

وأما سكان مجانة فكان أغلبهم من العرب و يتكونون من أسرة أولاد مقران وقبيلة الحشم العربية [2].

وفيما يتعلق بعدد سكان قلعة بني عباس فهناك خلاف بين الكتاب والمؤرخين، حيث قدر كاريت عددهم ب25000 نسمة [3]، أما فلة القشاعي فتذكر أن عددهم في أواخر العهد العثماني لم يكن يتجاوز 10000 نسمة [4] وكان الغذاء الأساسي للسكان الكسكسي، الذي يصنع من القمح بالنسبة للأغنياء والشعير بالنسبة للفقراء، وأما اللحم فلم يكن السكان يتناولونه إلا في المناسبات والأعياد وأيام الأسواق الأسبوعية، وحين قدوم الضيوف، فإكرام الضيف سمة بارزة لدى السكان[5]، حيث يذكر حمدان خوجة أن سكان المنطقة لا يأكلون الأغنام ولا الدواجن، ولا يذبحونها إلا عندما يؤمهم ضيف لأن قانون الضيافة مقدس عندهم [6] وبالإضافة إلى الكسكسي يتناول السكان بكثرة اللبن والكسرة، فهو غذاءهم اليومي.[7]

---

[1]- Le baron Aucapitaine: «les fondateurs de Bousaada», in, R.A, n°: 7, 1857, p491.

2- Féraud: op, cit, p220.

[3]- Carette: op, cit, T2, p405.

[4] – فلة القشاعي: المرجع نفسه، ص25.

[5]- A. Hanoteau, A. Letourneux : op, cit, p413.

[6] – حمدان خوجة: المصدر نفسه، ص62.

[7]- A. Hanoteau, A. Letourneux : op, cit, p413.

وسكان المنطقة يمتازون بالقامة المتوسطة والوجه العريض والمربع، وتضع النساء وشما على جباههن يحمل إشارة (زائد)، وهي عادة ضاربة في القدم تعود إلى العهد الروماني حسب ما يذكر الجنرال ريمون [1].

ولم يكن التزين يقتصر على المرأة الحضرية فقط، بل أن المرأة الريفية أيضا كانت تعتني بزينتها وتحرص على الظهور بمظهر لائق، فالمرأة في قلعة بني عباس ومجانة لا تختلف عن المرأة القبائلية في اهتمامها بمظهرها الخارجي وزينتها اليومية، فقد كانت حريصة على إظهار زينتها من خلال اقتناءها للحلي والمجوهرات، التي تعبر عن وضعها الاجتماعي ومكانتها، وترجع عائشة حنفي تفضيل نساء بني عباس ومجانة عموما التزين بالحلي الفضية إلى عدة اعتبارات، منها، غلاء سعر معدن الذهب وكونه صعب المنال بالنسبة للسكان الريفيين، عكس الفضة التي كانت في متناولهم، كما أن ذوق المرأة الريفية التي تفضل الفضة لأنها تتناسب مع بشرتها، وللاعتقاد السائد لدى المرأة الريفية أن معدن الفضة ذي اللون الأبيض يمثل رمز النقاء والصفاء [2]، كما أن هذه الحلي واللئالئ كان ينتجها السكان محليا،[3] ويدعي كاريت ان نساء القلعة لم تكن تضع أي شيء على رؤوسهن [4] وهو ما نشك في صحته، فالمجتمع الجزائري هو مجتمع محافظ وخاصة في المناطق الريفية والجبلية، فلا يعقل أن تخرج فيه المرأة مكشوفة الرأس.

---

[1]- Général Brémont : **Berbères et Arabes, La Berbérie et un Pays Européen**, Payot, Paris, 1950, p310.
أنظر كذلك، Gaid: **Les Berberes dans l'Histoire**, Alger, 1990, p65.

[2] – عائشة حنفي: « الحلي القبائلية والحلي الأوراسية– دراسة مقارنة »– **حوليات المتحف الوطني للآثار القديمة، جامعة الجزائر، العدد 12، 1423ه/ 2002م**، ص68.

[3] – ناصر الدين سعيدوني والمهدي البوعبدلي المرجع نفسه، ص66.

4- Carette: op, cit, p358.

ومن أهم أنواع الحلي التي كانت تتزين بها المرأة في هذه المنطقة الخلخال والمقياس والأقراط، بالإضافة إلى الخواتم، وكان اهتمام المرأة بالتزين يتزايد في المناسبات والأعياد والأفراح.[1]

ب- العلاقات مع المناطق والقبائل المجاورة:

لقد سبقت الإشارة في الفصل الأول إلى علاقة أسرة أولاد مقران بجيرانهم أمراء كوكو، وهي علاقة حرب وعداء تقليدي استمر طوال فترة الحكم العثماني بالجزائر، بالرغم من وجود مصالح مشتركة بين الإمارتين، كالتبادل التجاري الذي كان بإمكانهما تلبية حاجاتهم دون اللجوء إلى أسواق خارج المنطقة، وبالتالي الاستغناء عن الأتراك نهائيا، ولا سيما وأن أمراء كوكو كانوا يملكون ميناء أزفون [2]، ولا نستبعد أن يكون للحكام الأتراك يد طويلة في العداء بين الإمارتين.

وأما علاقة الأسرة بسكان المناطق التي كانت تابعة لها فقد كانت علاقة الولاء والخضوع للأسرة، رغم إحساسهم بثقل تلك الضرائب إلا أنهم وجدوا آباءهم وأجدادهم يدفعونها منذ أكثر من قرنين من الزمن وأصبحت تقليدا يجب إتباعه كما أن المكانة الدينية للأسرة جعلت بعض المناطق تعترف بحكمها وتدفع لها الضريبة رغم بعد المسافة، دون أن يجبرها أحد على ذلك.[3]

وكانت علاقة أولاد أمقران بزمورة التي تحدها من الجهة الشرقية، فيبدو أنها لم تكن على ما يرام، فقد كانت زمورة خاضعة لنفوذ أمراء بني عباس و لم يكونوا راضين بهذا الوضع، ويسود الاعتقاد بين المؤرخين أن سبب ضغط المقرانيين على الزموريين إلى

---

[1] - عائشة حنفي: المرجع نفسه، ص69.

[2] - هو مرسى صغير يقع غرب مدينة بجاية و يبعد عنها بحوالي 100 كلم.

[3] - Leila Babes: op, cit. p20.

أنهم هم من قام باستدعاء الأتراك إلى منطقتهم وإقامة برج بها، واعتبر المقرانيون ذلك خطرا عليهم وبقاء الحامية التركية بها اعتبروه مراقبة لهم عن كثب، وقد ازداد ضغط أولاد مقران على زمورة خاصة بعد ارتباط الأتراك بسكانها عن طريق المصاهرة، هذا الارتباط الذي أدى إلى تجذر العلاقة بين السكان والأتراك من خلال عنصر الكراغلة، الذين مكنهم النظام التركي من امتلاك الأراضي، فأصبح هؤلاء الكراغلة واسطة بين السكان والأتراك وساهموا إلى حد بعيد في تحسن العلاقات بين الطرفين، وكذلك بعد انتقال سلاطين أولاد مقران في حكمهم من قلعة بني عباس إلى سهل مجانة المتاخم لبرج زمورة، وأصبحوا تابعين إداريا إلى بايلك قسنطينة، وتحت تأثير فئة الكراغلة أظهر سكان زمورة رغبة كبيرة في التخلص من نفوذ أولاد مقران، وكانوا متحمسين لمقاومتهم، لكنهم ظلوا خاضعين لنفوذهم من خلال دفع الضريبة لهم إلى غاية الاحتلال الفرنسي [1]، وعلى الرغم من ذلك كانت الأسرة تملك أراضي ومنازل بزمورة [2]، وعلى ما يبدو أن العلاقات بين أولاد مقران وسكان زمورة قد تحسنت فيما بعد، حيث تزوج الباشاغا "الحاج محمد بن أحمد المقراني" من إحدى نساء زمورة [3].

وفيما يتعلق بعلاقة أمراء بني عباس من أولاد مقران بقبائل بني مليكش فيبدو أنها كانت سيئة حيث يخبرنا كاريت أن سكان بني مليكش كانوا مجبرين على تحسين علاقاتهم ببني عباس وذلك بالخضوع لهم، حتى يتمكنوا من جني الزيتون والغلال الزراعية في أراضيهم المجاورة لبني عباس.[4]

وكانت الأسر الكبيرة ببايلك الشرق الجزائري حريصة على الارتباط بأسرة أولاد مقران الشريفية، حيث يذكر الشيخ محمد خير الدين في مذكراته أن شيخ العرب أحمد

---

[1]-Archives du Cadastre de Constantine, P.V, n°. 280, Zamoura, 1869. p21.

[2] - يحي بوعزيز: المرجع نفسه، ص141.

[3]- Ernest. Mercier : **le Bachagha Mokrani et les causes de l'insurrection de1871, Beaugencey Imprimerie, Paris, 1888, p10.**

[4]- Carette : op, cit. p346.

بن علي بوعكاز بن الصخري زوج إحدى بناته إلى أحد شيوخ أولاد مقران و لم يذكر اسم هذا الشيخ ولا اسم ابنة بوعكاز [1].

لا توجد لدينا معلومات تؤكد انتماء أسرة أولاد مقران إلى أية طريقة من الطرق الصوفية التي كانت منتشرة في الإيالة، إلا أنه يمكن الاستنتاج من خلال علاقاتهم الحسنة بمرابطي المنطقة، حيث استعانوا بالمرابط سيدي أحمد بن خليفة بمنطقة أوراسة في استرجاع حكم مجانة بعد أن اغتصبها منهم الحكام الأتراك في عام 1710، دليل على علاقتهة الحسنة بالطريقة الرحمانية، وهو ما يوحي لنا بأن شيوخ الأسرة ربما كانوا من أتباع الطريقة الرحمانية، ويذكر يوسف نسيب أن أحد أبناء شيخ من شيوخ مجانة كان تلميذا للشيخ محمد بن بلقاسم شيخ زاوية الهامل ببوسعادة، الأمر الذي جعل هذا الشيخ يستقبل مجموعة أفراد من أسرة أولاد مقران التجأوا اليه بعد ثورة 1871 وقام باستقبالهم واسكنهم بحي بالقرب من الزاوية [2] لا يزال هذا الحي يعرف إلى يومنا هذا بحي المقارنية.

ج- اللباس:

كان شيوخ أسرة أولاد مقران يعتنون بمظهرهم وكانوا حريصين على الظهور أمام الناس بمظهر يليق بمكانتهم السياسية ونسبهم وتاريخهم العريق، لأن ذلك يزيدهم احتراما وهيبة وتقديرا وسط القبائل والمناطق التابعة لحكمهم، فكانوا يرتدون أفخم الألبسة، خاصة من البرانس الرفيعة التي كانت تنسج من الصوف العسلية وتطرز بالفضة، [3] كما كانوا

---

[1]- محمد خير الدين: **مذكرات الشيخ محمد خير الدين**، ج1، مطبعة دحلب، الجزائر، 1985، ص46.

[2]- Youssef Nacib: **cultures oasiènnes, Bousaada-Histoire sociale**, E.N.A.L. Alger, 1986, p254.

[3]- Carette: op, cit, p322.

يتميزون عن باقي السكان بما كانوا يرتدونه من الألبسة الفاخرة التركية الصنع التي كان الحكام الأتراك(باشوات وبايات) يقدمونها لهم كهدايا كما ذكر كل من فيرو ومرسي[1].

أما لباس السكان اليومي فلا يختلف عن لباس سكان منطقة القبائل، الذين كانت تميزهم القندورة والقشابية والبرنوس بالنسبة للرجال، والحياك بالنسبة للنساء حسب ما ذكر حمدان خوجة في مرآته [2]، وكانت تلك الألبسة تصنع محليا، حيث كانت نساء القلعة ومجانة بارعات في صناعة النسيج، والأواني الفخارية، ومختلف الوسائل المستخدمة في صناعة النسيج كالقرداش وغيره، الأمر الذي كان يجعل الطلب عليهن كثير من قبل القبائل المجاورة.[3]

د- المسكن:

بحكم توفر منطقة بني عباس على مادة الحجارة والغابات بكثرة، فسكان المنطقة كانوا مهرة في البناء، حيث يستخدمون الحجارة والطين الممزوج بالتبن في عملية البناء، ويقومون بتغطية السقف بواسطة القرميد [4].

وبهذا الصدد يذكر حمدان خوجة في مرآته أن بقلعة بني عباس منازل تبنى بالحجارة تطلى الجدران بالكلس والجير [5] ويتكون المسكن في منطقة القبائل بصفة عامة حسب الطبيب الإنجليزي شو من غرفتين رئيسيتين، غرفة مخصصة للطبخ والنوم وأثاث البيت، والغرفة الثانية للمواشي، وكانت ترتفع عن الأولى بمقدار نصف متر [6]، وتتشابه المنازل في القلعة

---

[1]- Féraud : «Hidtoire des villes de Constantine», p230.

[2] - حمدان خوجة: المصدر نفسه، ص79.

[3]- Daumas: op, cit, p135.

[4]- Hanoteau et Letourneux : op, cit, 409.

[5] - حمدان خوجة: المصدر نفسه، ص66.

[6]-Thomas Shaw (Dr): op. cit.. p369.

في بناءها، حيث يوجد فناء صغير عند مدخل كل بيت وتظلل هذا الفناء شجرة أو شجرتين.[1]

وتتوفر بقلعة بني عباس مساجد تشبه مساجد مدينة الجزائر حسب ما ذكر حمدان خوجة الذي زار قلعة بني عباس، التي يقول عنها أنها محصنة طبيعيا لا يمكن للأعداء الوصول إليها، وأن سكانها يعرفون طريقة لتخزين الحبوب في المطامير لمدة تزيد عن العشرين سنة، وذكر أيضا أن سكان السهول كانوا يودعون حبوبهم بالقلعة ولا يبقون لديهم إلا ما كان ضروريا لحاجتهم اليومية.[2]

ويحيط بقلعة بني عباس سور مبني بالحجارة ويحتوي على فتحات خصصت لوضع المدافع للدفاع عن القلعة من الجهة الجنوبية [3] لا يزال جزء من ذلك السور قائما إلى يومنا هذا، ذلك أن القصف الذي تعرضت له القلعة على يد الجيش الفرنسي عام 1959 أدى إلى تخريب بنايات القلعة، لأنها كانت معقلا للثوار نظرا لحصانتها وبعدها.

وأما فيما يتعلق بمساكن مجانة، فيذكر كاريت أن الخيمة كانت الميزة الأساسية للسكان في هذا السهل، وقال أيضا أنه قلما توجد منازل بالمنطقة، وكان السكان يضطرون إلى بناء مساكنهم من الحطب المتوفر في الغابات، لقضاء فصل الشتاء، ثم يقضون باقي الأيام تحت الخيام، ومع مرور الأيام وعندما بدأت حياتهم في الاستقرار أكثر بدأت تختفي الخيام شيئا فشيئا، وكانت المنازل بمجانة تبنى بالحجارة والطين وتغطى سقوفها بالقرميد، كما كانت تغطى بالقش أيضا [4].

---

[1]- Carette : op, cit, p321.

[2] - حمدان خوجة: المصدر نفسه، ص67.

[3]- Carette : op. cit. p311.

[4]- Ibid, p134.

كانت كل عشيرة أو أسرة كبيرة لها مضرب من الخيام معين في أرض القبيلة يطلق عليه دوار، فكانت كل قبيلة تتألف من دواوير، وكان الدوار بمثابة قرية، إلا أن الدوار يختلف عن هذه الأخيرة القرية أن سكانه كانوا يقيمون في بيوت من الشعر [1].

٥- التعليم:

يقول الشيخ المهدي البوعبدلي:«إن العصر العثماني في الجزائر أمتاز بانتقال المراكز الثقافية من المدن إلى الجبال والقرى..» [2]، ومن هذا المنطلق كان سلاطين أولاد مقران سواء ففي قلعة بني عباس أو في مجانة يهتمون بالتعليم ونشره، بدءا بالشيخ عبد الرحمان مؤسسس الإمارة الذي تتلمذ على يد الشيخ عمر ابن القاضي بإمارة كوكو، وكان أول عمل قام به سيدي عبد الرحمان بمنطقة بني عباس عند انتقاله إليها بناءه زاوية لتعليم السكان [3]، كما أن ابنه السلطان أحمد كان تلميذا للعالم الشهير يحي العيدلي، حسب الورثيلاني [4] وقام هو الآخر ببناء زاوية للتعليم بقلعة بني عباس لا تزال هذه الزاوية قائمة إلى يومنا هذا، وتقول الرواية الشفوية حسب ما يذكر فيرو أن السلطان أحمد بن عبد الرحمان قام بتشييد عدة مدارس بمنطقة بني عباس الحضنة والزيبان [5]، ولا شك أن ابنه عبد العزيز قد حذا حذوه في الإهتمام بالعلم والتعليم، ومن بعده أحمد أمقران ثم ابنه سيدي ناصر ثم سيدي بتقة، وماتلقيب شيوخ الأسرة ب"سيدي" إلا دليل على تبحرهم في العلم وتدينهم أيضا.

---

[1] - العيد مسعود: المرجع نفسه، ص15.

[2] - المهدي البوعبدلي: «الثقافة والتوجيه بالجزائر»، ملتقى الفكر الإسلامي، الجزائر 1979، ص9.

[3] - Féraud: op, cit, p206.

[4] - الورثيلاني: المصدر نفسه، ص36.

[5] - Féraud: op, cit, p208.

ولم يكن التعليم في إمارة بني عباس ومشيخة مجانة يختلف عن التعليم في باقي أنحاء الإيالة خلال العهد العثماني بالجزائر، من حيث مؤسساته وأساليبه، فكانت الزاوية المركز الأول والأساسي في مزاولة التعليم.

وكان الأطفال في الزاوية يتلقون في بداية الأمر تعلم مبادئ القراءة والكتابة، ثم يشرعون في حفظ القرآن الكريم حتى نهايته، وكانت طريقة التعليم تعتمد على إملاء المعلم للآيات القرآنية على التلاميذ الذين يقومون بكتابتها على لوحاتهم، وعندما يتأكد من أن كل التلاميذ تمكنوا من حفظ تلك الآيات، يملي عليهم آيات أخرى وهكذا حتى ينتهون من حفظ كل آيات القرآن الكريم، [1] وينتقلون بعد ذلك إلى دراسة قواعد اللغة العربية وعلم التوحيد والتصوف، والقانون وتعاليم الدين الإسلامي حسب المذهب المالكي، والحديث الشريف وبعدها يتعلمون تفسير القرآن وعلم الحساب والهندسة والفلك وفي الأخير علم الأوراد.[2] وكانت الزاوية تتكفل بكل مصاريف التعليم من إقامة ومأكل طوال فترة الدراسة، وكان التلاميذ عندما ينهون دراستهم بالزاوية ويعودون إلى ديارهم يفتحون مدرسة أو زاوية للتعليم لفائدة أطفال القرية وتستغرق مدة ذلك التكوين من ثمان إلى تسعة سنوات [3]، ورغم غياب المعلومات حول الهيئة التي كانت تتكفل بمصاريف التعليم، إلا أنه يمكننا القول أن الزوايا كانت تتلقى الإعانات من السكان، الذين كان بعضهم يحبس أمواله في الإنفاق على الزوايا والتعليم.

وقد أعجب القنصل الأمريكي وليم شالر، في مذكراته بطرق التعليم التي كان يمارسها الجزائريون في ذلك عهد، حيث كان كل تلميذ يحمل لوحة، يمكن الكتابة والمحوعليها بسهولة، ويكتب عليها سورة من القرآن الكريم، يمليها عليهم االشيخ، والتلميذ الذي

---

[1] - العيد مسعود: «حركة التعليم في الجزائر خلال العهد العثماني» مجلة الدراسات التاريخية، ع1، 1986، ص62.

[2]- Daumas et Fabar: op, cit, p358.

[3]- Ibid, p64.

يتعلم بسهولة يعلم ذلك لبقية التلاميذ، ويتم التعليم بصوت مرتفع حيث يجلس المعلم، وحوله التلاميذ.[1]

ن- نظام القضاء:

لا توجد لدينا معلومات كافية تتحدث عن القضاء في ظل حكم سلاطين وشيوخ أسرة أولاد مقران في قلعة بني عباس ومجانة، لكننا يمكن أن نستنتج أنه ما دامت الأسرة كانت تتمتع بالاستقلال عن السلطة العثمانية حسب ما ذهبت إليه المصادر، فإنه بلا شك كان للأسرة نظام قضائي لا يختلف عن النظام الذي كان سائدا في منطقة القبائل بصفة عامة، حيث يذكر دوماس أن مصدر الحكم في إمارة بني عباس كان القرآن والحديث والعادات والتقاليد والأعراف [2]، وكان يعتمد على مجلس الجماعة وهو بمثابة المجلس الاستشاري، الذي يتألف من مجموعة من الشيوخ يمثلون القرى والدواوير، يجتمع مرتين في السنة للنظر في شؤون الإمارة، وقد يعقد اجتماعا طارئا إذا اقتضى الأمر. وكان الحكم بالشريعة الإسلامية [3]، وللإمارة قانونها الخاص فيما يتعلق بالمخالفات والعقوبات، وكانت جلسات المحاكمة تعقد في المسجد، وكان سلطان الإمارة هو القاضي والحاكم في الوقت نفسه، حيث ذكر فيرو أن السلطان أحمد أمقران بنى مسجد كبير في القلعة وكان يحكم فيه بين الناس [4]، ومن أمثلة تلك المخالفات والعقوبات:

- عقوبة الشتم، دفع غرامة قدرها1 بسيطة، وقيمتها 2 فرنك وخمسون سنتيم.
- الضرب دون إسالة الدم، يدفع صاحبه غرامة قدرها 2 بسيطة، وقيمتها 5 فرنكات.

---

[1] - وليم شالر: المصدر نفسه، ص85.

[2]- Hanoteau et Letourneu: op, cit, p136.

[3]- Pierre Hacoun: op, cit, p38.

4- Féraud: op, cit, p232.

- الضرب مع إسالة الدم، يدفع الفاعل 5 بسيطات، وقيمتها 12 ونصف فرنك فرنسي.

- تصويب بندقية اتجاه أي شخص، يدفع الفاعل 20 بسيطة(50 فرنكا).

- إذا أطلق النار وأصاب الشخص يدفع 100 بسيطة، (250 فرنك).

- وأما إذا أصاب الشخص ومات، فالقاتل وجب عليه القصاص وفق الشريعة الإسلامية، وإذا فر تصادر أمواله وممتلكاته، ويقوم الشيخ المسئول عن القرية ببيعها وتوزيع المال على سكان القرية، ويبقى الثأر يلاحقه حيثما ذهب [1].

يمكننا القول أن أسرة أولاد مقران كانت تمارس سلطة حقيقية في المناطق التابعة لحكمها. وكان لحكامها الكلمة المسموعة والأمر المطاع، فكانت تمثل دولة داخل دولة كما وصفها أحد الكتاب الفرنسيين.

[1]- Carette: op, cit, T2, p483.

خاتمة:

من خلال دراستنا لموضوع أسرة أولاد مقران خلال العهد العثماني تمكنا من التوصل إلى النتائج التالية:

اختلاف الروايات حول نسب الأسرة مع أننا نرجح القول الذي ينسبهم إلى الأشراف، ويدعم قولنا هذا أن نسب الأسرة لم يكن يوما مثار جدل.

أن علاقة الأسرة بسكان بني عباس هي علاقة ولاء للشيخ عبد الرحمان جد الأسرة الأول الذي مكنهم من التحرر من عبودية واستغلال أمراء كوكو من آل القاضي لهم.

ولعبت الأسرة دورا فعالا في مقاومة الوجود العثماني في المنطقة في بداية الأمر، وذلك يبرز رغبة سكان المنطقة في العيش أحرارا من لأية سيطرة خارجية، ثم ساهمت الأسرة بعد ذلك في تمكين الحكام العثمانيين من بسط نفوذهم على الإيالة الجزائرية عامة والمنطقة الغربية التي كانت تمثل همزة الوصل بين بايلك الشرق ودار السلطان وبايلك الغرب، وذلك من خلال تحالف سلاطينها مع خير الدين وخلفائه من بعده.

ولاحظنا من خلال هذه الدراسة أيضا تأرجح علاقة الأسرة بالحكام الأتراك بين السلم والصداقة والتحالف تارة، والصراع والحرب والمواجهة تارة أخرى، وتعود أسباب التوتر إلى رغبة سلاطين وشيوخ الأسرة في المحافظة سيادتهم على المنطقة وإصرار الحكام الأتراك على إخضاعهم لسلطتهم.

وقد تمتعت الأسرة بالاستقلال عن الحكام الأتراك، وكانت تسيطر على الطريق السلطاني الذي كان يربط بايلك الشرق بمقر السلطة المركزية بمدينة الجزائر والذي كان يمر عبر مضائق بيبان الحديد، وفرضت عليهم ضريبة عبور استمروا في دفعها طوال فترة تواجدهم في الجزائر، رغم المحاولات العديدة للتخلص من تلك الضريبة والسعي لإخضاع الأسرة، إلا أنهم لم يتمكنوا من الوصول إلى القلعة ولا من إخضاعها، وذلك بسبب حصانة هذه الأخيرة والتضاريس الصعبة المحيطة بها من جهة، وقوة جيش الإمارة و

سلاطينها من جهة أخرى، وقد كان للأسرة دور في تشييد الأتراك عدة أبراج لحراسة ومراقبة الطريق السلطاني كبرج حمزة(البويرة) ومدينة سور الغزلان وبرج بوعريريج وبرج بجانة وبرج الغدير، وقد توسعت تلك الأبراج ونمت وتطورت وأصبحت مدن عامرة بالسكان.

غير أن الأسرة دخلت طور الضعف منذ منتصف القرن الثامن عشر وذلك بسبب ظهور الشقاق والصراع بين شيوخها على شؤون الحكم ودور الحكام الأتراك في تغذية ذلك الصراع للقضاء على الأسرة تطبيقا لسياسة فرق تسد التي كان البايات يستعملونها مع أسر محلية أخرى.

ولعبت الأسرة دورا في تمكين الحكام العثمانيين من استغلال غابابت منطقة بجاية وجيجل وفرض سلطتهم على سكان تلك المنطقة الذين كانوا لا يعترفون بالحكم العثماني عليهم وذلك من خلال كسب ود وثقة المرابط سيدي محمد أمقران الذي ينحدر من أسرة أولاد مقران، ذلك أن المرابطين كانت كلمتهم مسموعة وأوامرهم مطاعة بين السكان.

وأثناء الحملة الفرنسية على الجزائر عام 1830 كان شيوخ الأسرة -رغم ما آلت إليه من الضعف والهوان بسبب الحروب التي قسمت ظهرها- من الأوائل الذين هبوا لتلبية النداء الذي وجهه الداي حسين إلى القبائل والسر المحلية الكبيرة للدفاع عن مدينة الجزائر كما دافعت الأسرة عن مدينة قسنطينة إيضا واستمربعض شيوخها في المقاومة إلى جانب أحمد باي حتى استسلامه، غير أن الانقسام الذي كانت تعاني منه الأسرة يبدو أنه انعكس سلبا على مواقف الأسرة بعد سقوط حكم أحمد باي، وكان من نتائج ذلك وضع أحمد بن محمد المقراني نفسه في خدمة السلطة الاستعمارية الفرنسية ابتداء من عام 1838 وقام الفرنسيون بتعيينه خليفة على بجانة التي كان الأمير عبد القادر قد عين خصمه محمد بن عبد السلام خليفة عليها، فكان الصراع بين الخصمين يعكس الصراع بينه وبين الفرنسيين.

الملاحق

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ملحق 1

خريطة المواصلات والتقسيم الإداري في إيالة الجزائر خلال العهد العثماني، نقلا عن ناصر الدين سعيدوني: النظام المالي في الجزائر.

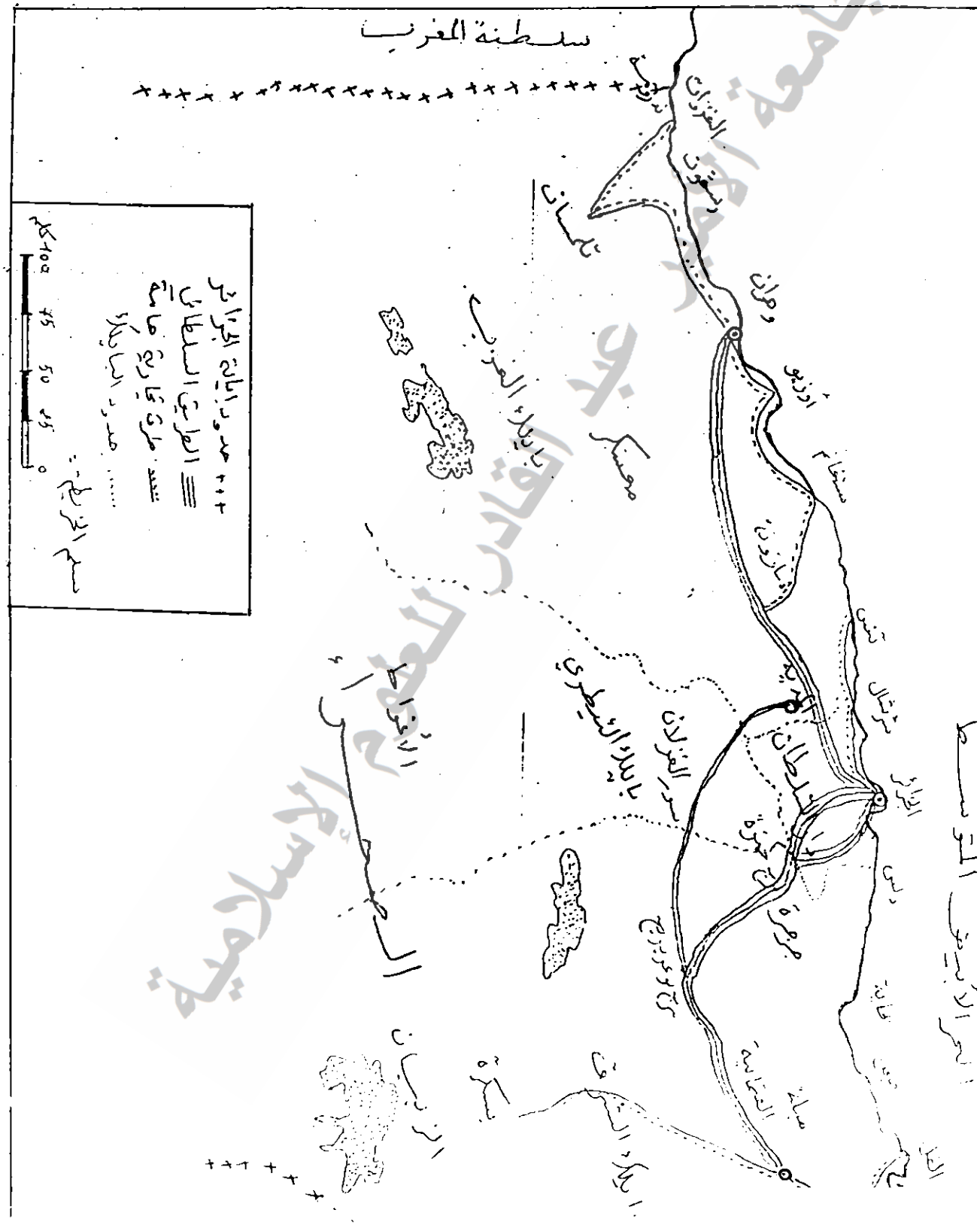

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ملحق 2: خريطة تبين موقع قلعة بني عباس وقرية الشواريخ وموقعة اعتمادا على:

صالح فركوس: احتلال ومقاومة المكاتب العربية، نقلا عن، A.O.M, H47

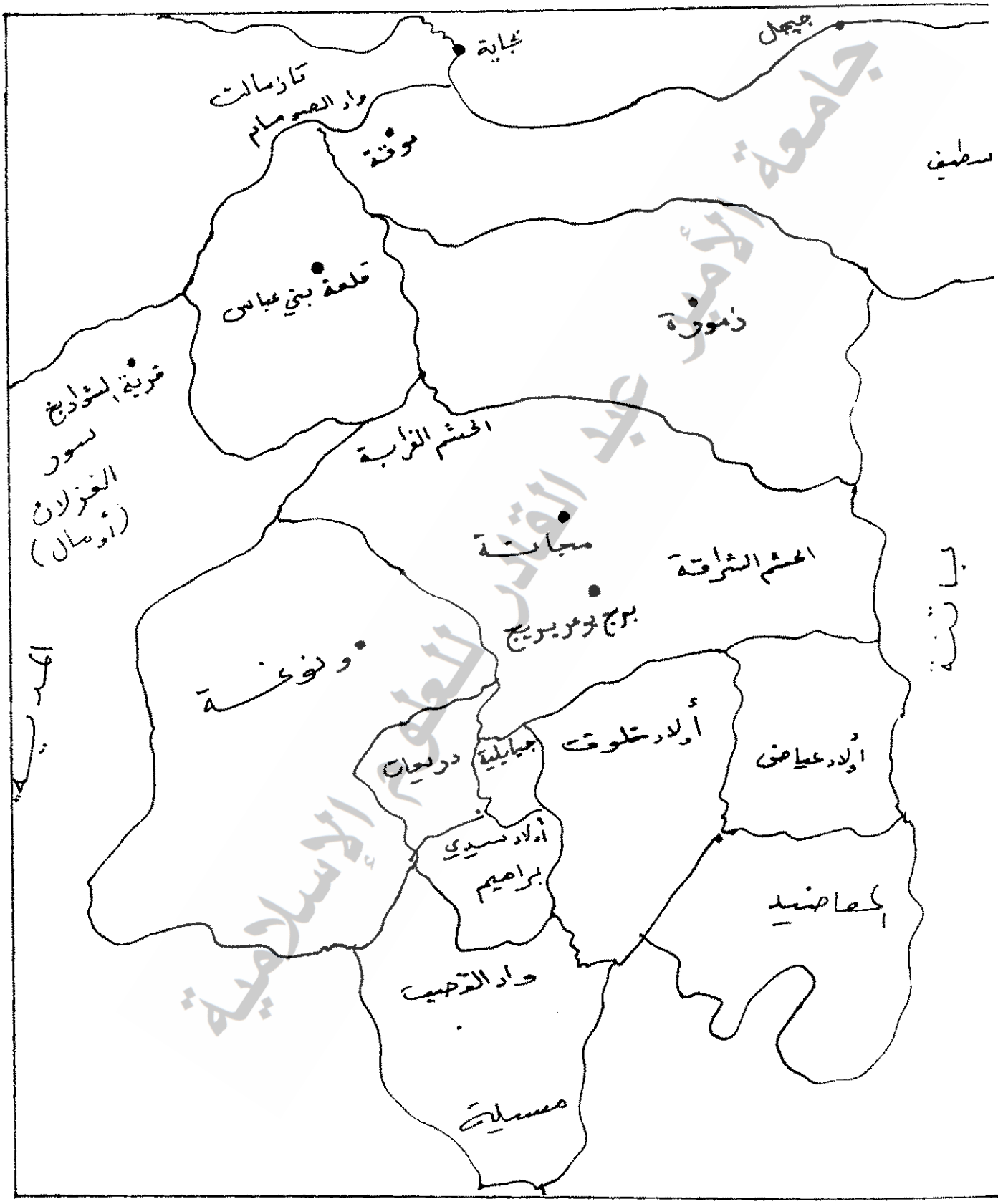

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ملحق 3

منظر لقلعة بني عباس، أخذت الصورة في ماي 2005

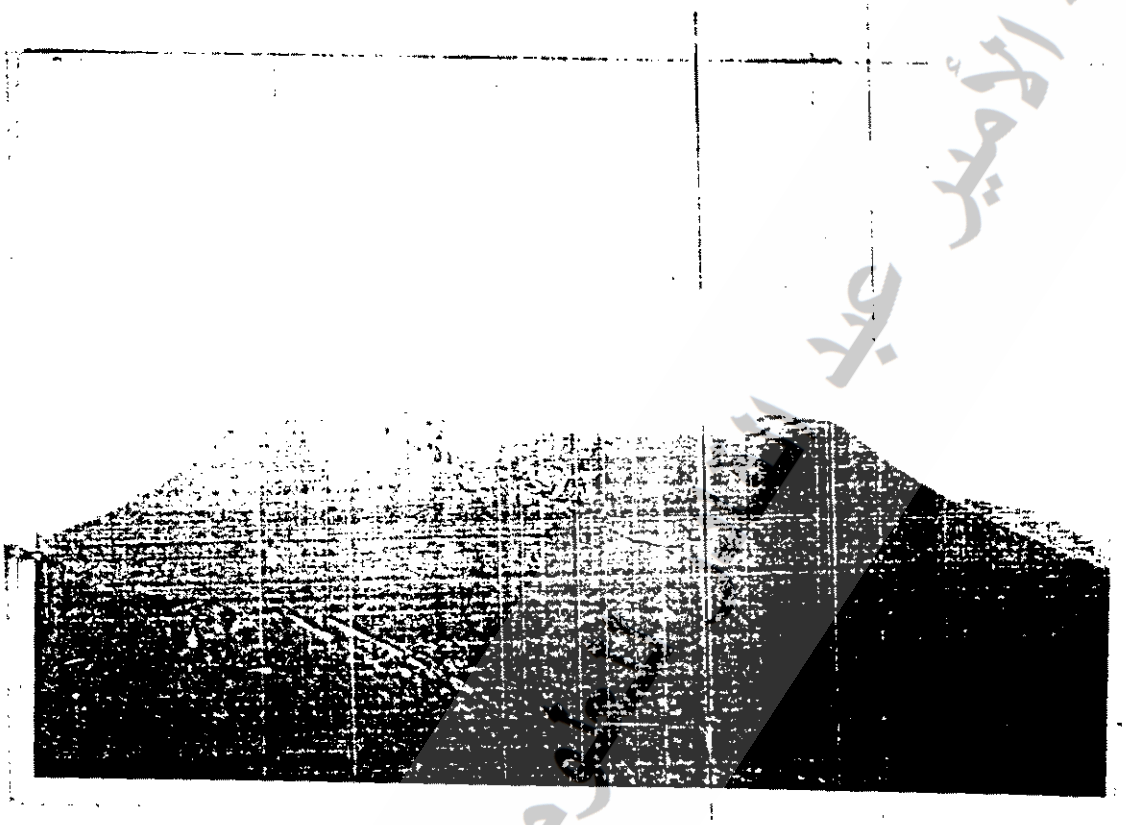

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ملحق 4: خريطة تبين موقع منطقتي بني عباس ومجانة، نقلا عن، صـــالح فركوس: **احتلال ومقاومة المكاتب العربية**، ص399.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ملحق 5

شجرة نسب أسرة أولاد مقران

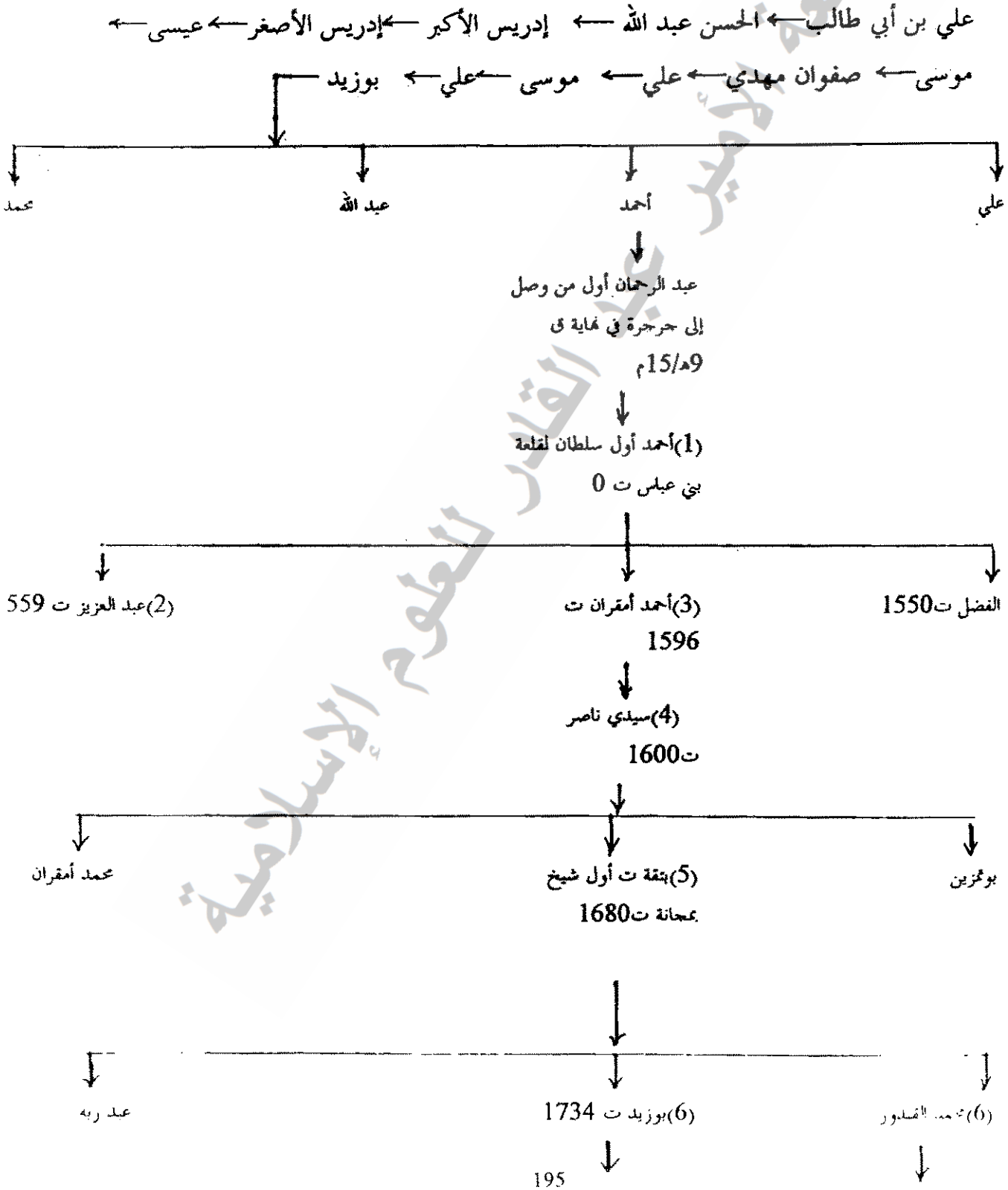

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

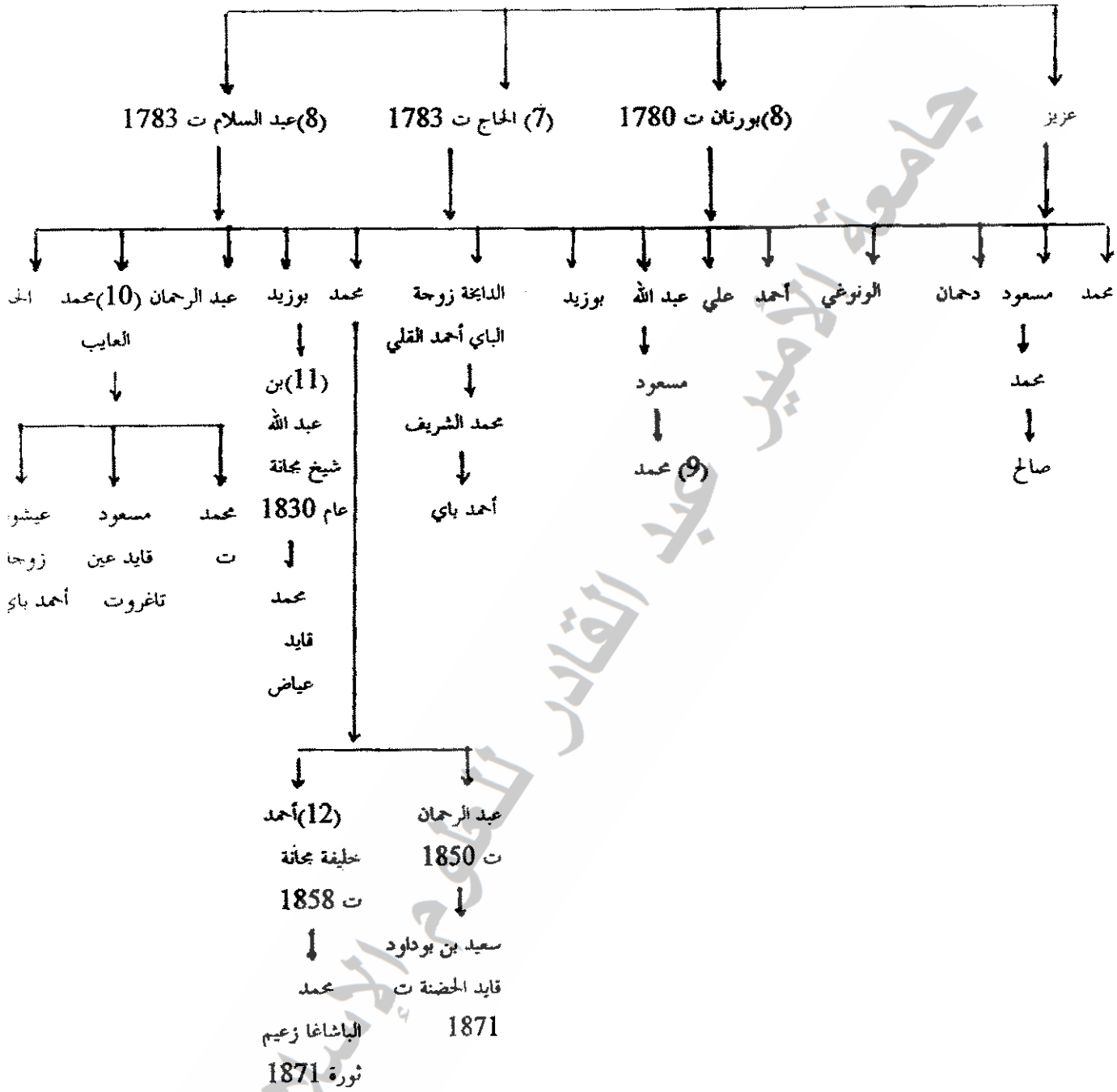

وضعت هذه الشجرة اعتمادا على الشجرة التي وضعها رين في Rinn: Histoire de l'insurrection و« Féraud: «Histoire des Villes de Constantine وجميلة معاشي، وتشير الأرقام من (1)إلى (12) إلى أسماء الشيوخ الذين حكموا الإمارة والمشيخة.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ملحق 8

ضريح عبد الرحمان، الجد الأول لأسرة أولاد مقران المتوفى عام 1500 في قلعة بني عباس.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ملحق 8: خريطة تبين موقع قبيلة بني بومسعود وقرية أمدان مقر زاوية الشيخ محمد أمقران في أوائل القرن 17، نقلا عن: Féraud: « Histoire de Bougie»,in **R.S.A.C**, 1869.

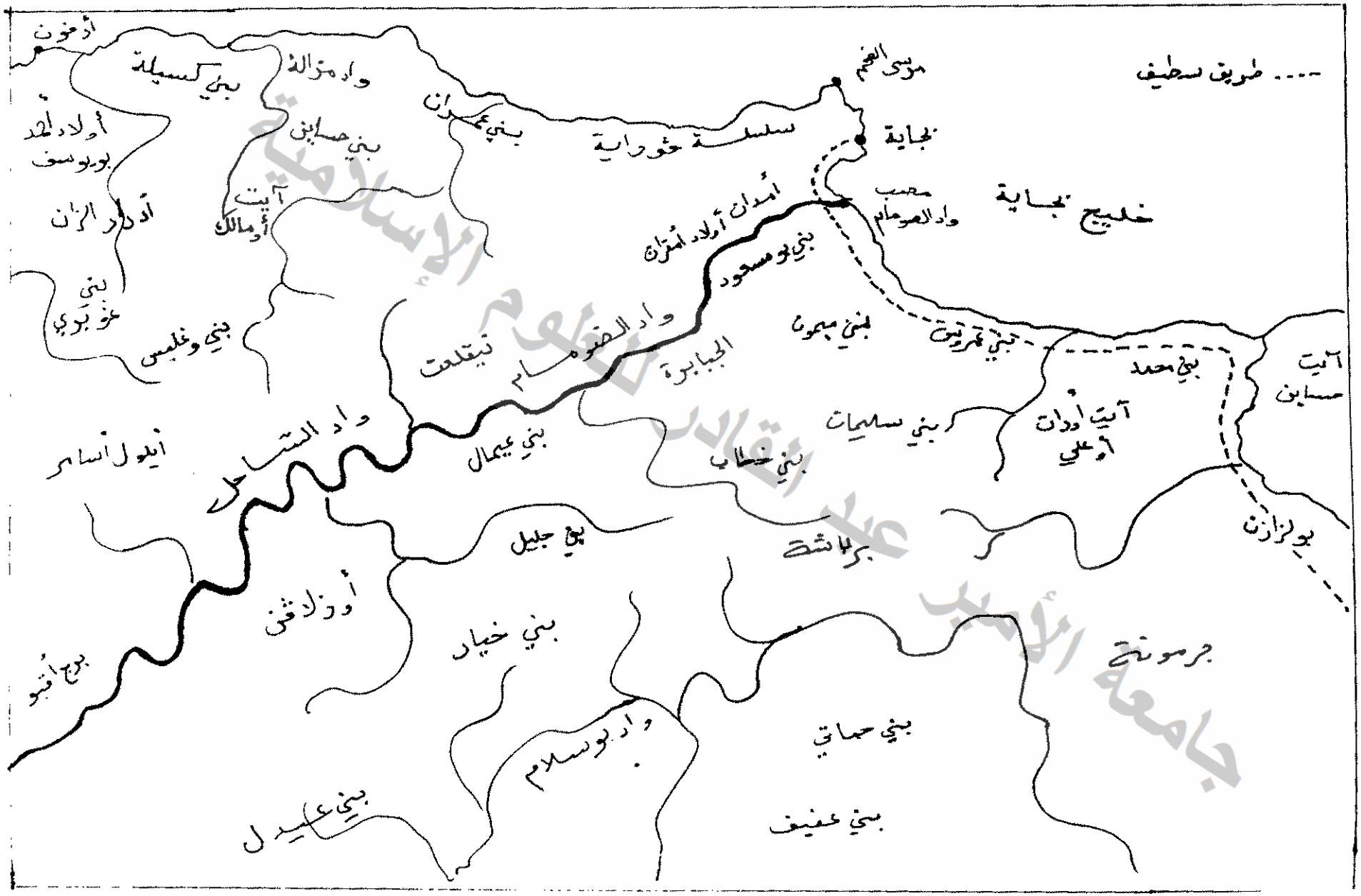

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ملحق 9

مشيخة أولاد مقران في مجانة والقبائل التابعة لها خلال العهد العثماني نقلا عن:

Louis Rinn : « Le Royaume d'Alger sous le dernier Dey», In, **RA**, n°, 43, 1898.

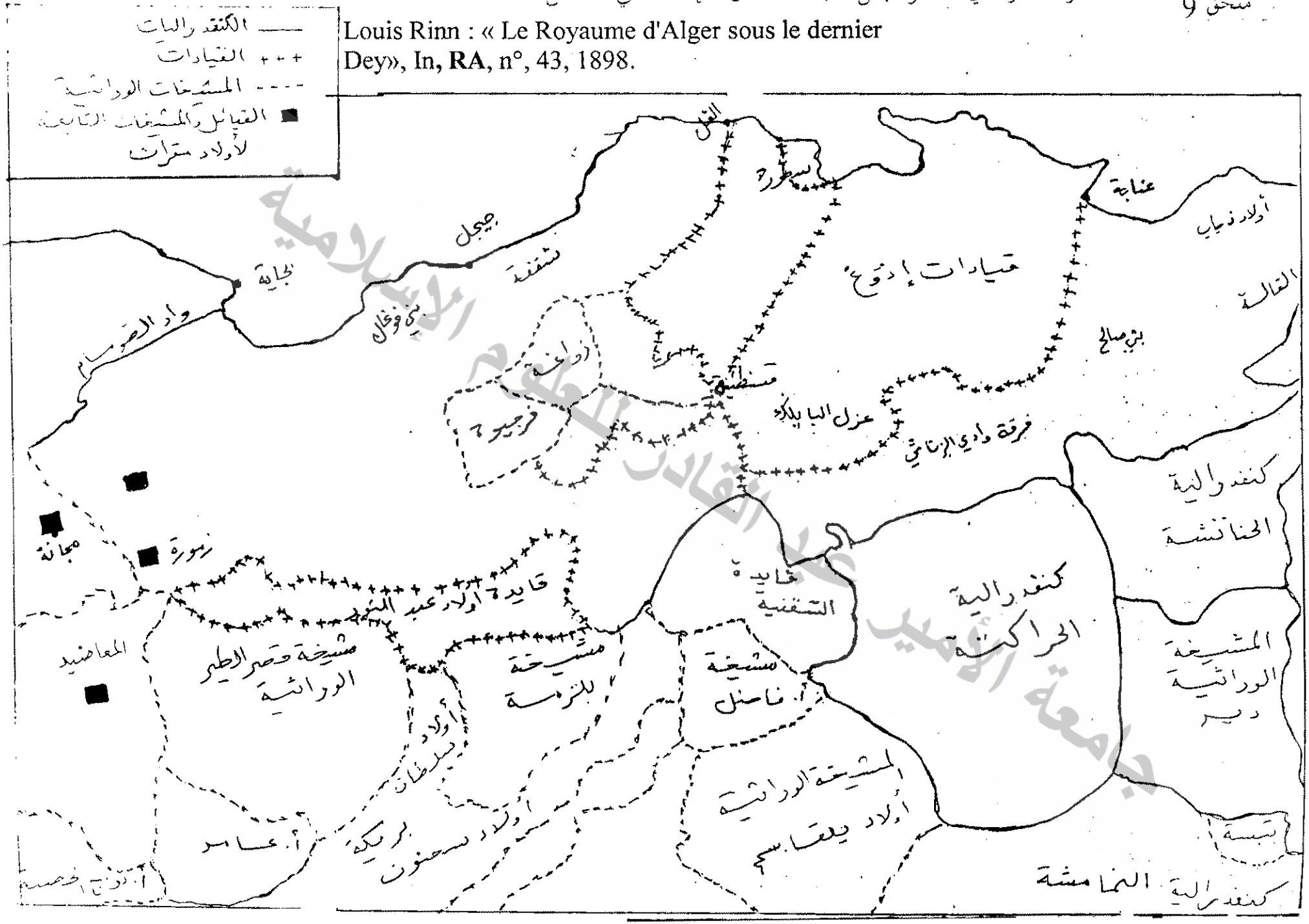

ملحق 11

جامع أحمد أمقران بقلعة بني عباس، قام ببنائه في أواخر القرن 16

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ملحق [ ] : أحد المدافع التي وجدها الفرنسيون في قلعة بني عباس نقلا عن :

Ayssettes (Eugène) : « notice sur les canons de la Kalaa des Beni Abbas», in **R. S. A. C.** 1865.

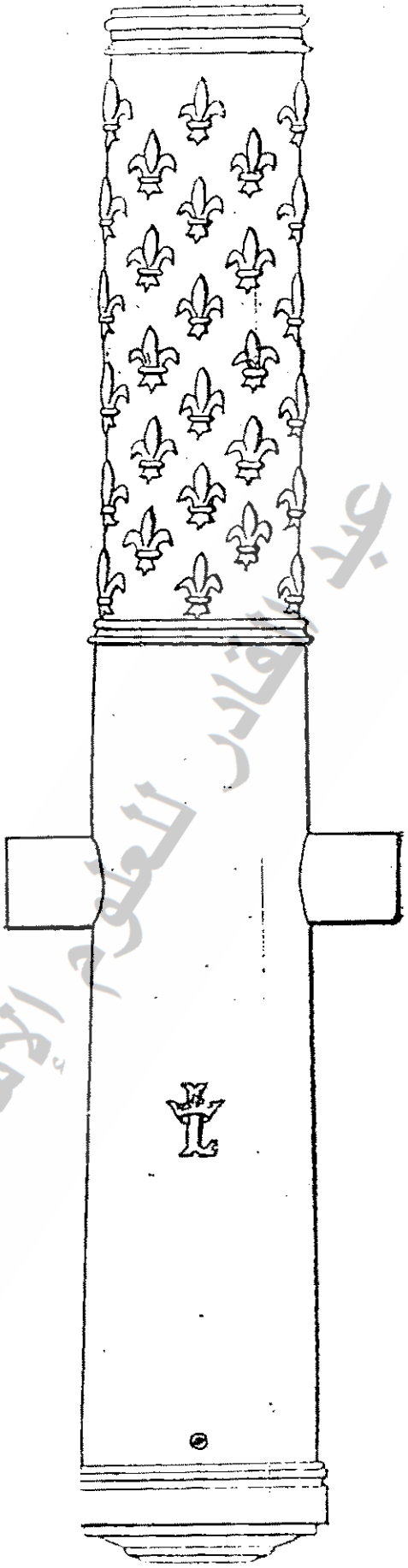

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ملحق 12

أحد مدافع قلعة بني عباس نقلا عن:

Charles Féraud : «Histoire des Villes de Constantine». p185.

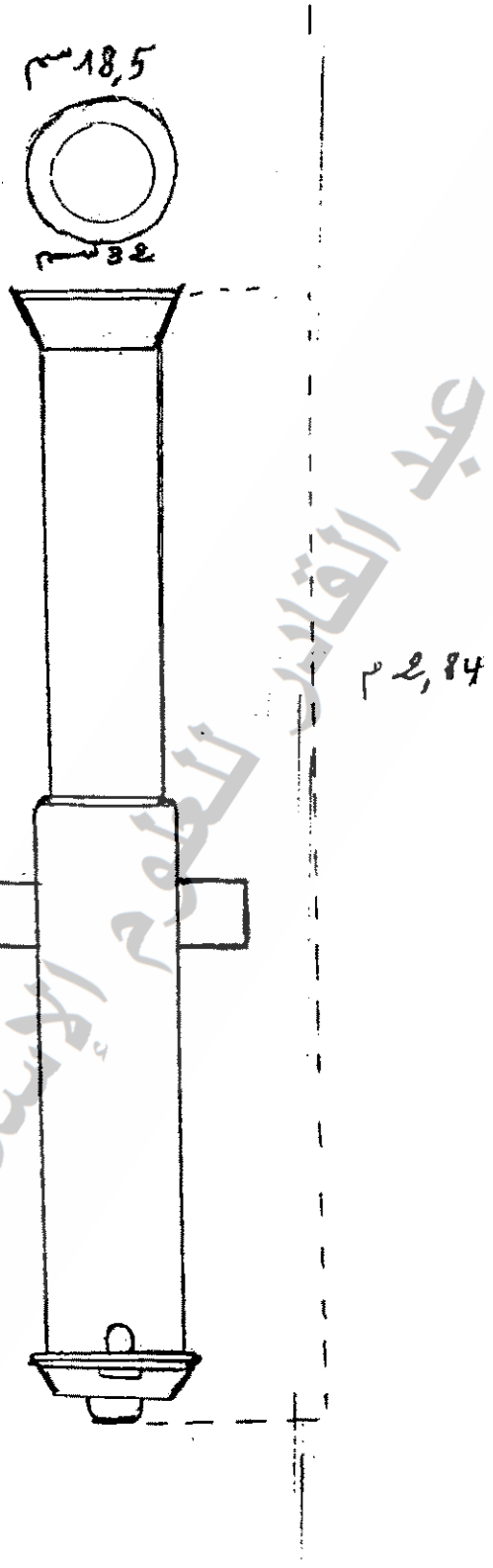

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ملحق 13

شهادة تحمل امتياز منحه محمد باشا إلى عبد القادر بن محمد أمقران بتاريخ 1093ه(1682).

نقلا عن:

Féraud (Charles : « Exploitation des forets de la karasta...», **R.A, N° : 13,1868, pp384-385.**

الواثق بالردود

Cachet : الحاج محمد بن محمود

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى اله وصحبه وسلم

ليعلم من يقف على هذا الامر الكريم والخطاب الواضح الجسيم من المعظمين الباى الار وكافة القواد والعمال والخاص والعام وجميع النظر في الاحوال بالناحية الشرقية اسعد الله الجميع امـــا بعد فان حامله المعظم الفقيه الاجل السيد المولى الاعلى البركة السيد عبد القادر ابن المرحوم الوالى الصالح القطب الناصح الشيخ البركة سيدي محمد امقران نفعنا الله ببركاته واباض علينا انعمنا عليه بكافة عرش برباشة الذي هما على ثلاث فرقات فرقة يقال لها اولاد عبد الله والفرقة الثانية يسمى ببرّي والفرقة الثالثة التى تجمع الجميع يقال لها برباشة يكون الجميع كلهم زاوية له من جميع زواياه ويكون كلهم حبسا عليه وعلى اعقاب اعقابه يتنفع بمقرّهم وزكاتهم وربعنا عليهم يد باى الار المحال هذا الناحية الشرقية وعمالهم * عن اذن المعظم الارفع مولانا الدولاتلى الحاج محمد باشا ايده الله بمنه امين

اوسط شهر جماد الثانى سنة ١٠٩٣

شهادة تحمل امتياز منحه مصطفى داي إلى محمد الشريف بن عبد القـــادر بـــن محمـــد أمقـــران بتاريخ1113ه (1702)

نقلا عن:

Féraud (Charles : « Exploitation des forets de la karasta...», **R.A, N° : 13, 1868, pp387-388.**

الحمد لله وحده

ليعلم من يقف على هذا كلامر الكريم والخطاب الواضع الجسيم العلي شانه وقدره من باي لآز الناحية الشرقية وكابة الفواد والعمال والخاص والعام وجميع المتصرفين في الاحوال ببلدنا الجزاير المحمية بالله تعالى وبلد بجاية سدد الله الجميع ووفق الكل الى الصالح القول وحسن الصنيع امـــا بعـد فان حاملـه المكرم الوجيه البركة السيد محمد الشريف ابن المرحوم بكرم الحيي القيوم المقدس المنغمس الشيخ سيدي عبد القادر بن سيدي محمد امقران انعمنا عليه وقدمناه على كابة زواياه وافيناه في مقام والده المذكور وانزلناه بمنزلته ينظر في امور الزوايا المذكورين ويكونوا كلهم عند نظره وسمعه وطاعته واطلقنا يده فيهن بحيث يتشبع بخراجهم جريا في ذالك على سبيل عادته المعلومة وعادة السادات المرابطين اسلافه المتقدمين قبله السابقة المعهودة كما انعمنا عليه بزاوية بني بو مسعود وحبسناها عليه وعلى عاقبه

وعاقب اعقابه ذلك صدقا منا عليه لوجه الله العظيم ورجاء ثوابه الجسيم ولاطعامه للفقراء والمساكين وعلى كابة اهل الزواية المذكورين خصوصا زاوية بني بو مسعود ان يكون كلهم عند نظره وسمعه وطاعته كما اننا اقمناه في مقام والده المذكور على شغل البايلك الكاين بالبلد المذكورة يجري عليه مثل الكراستة وغيرها من غير مانع له في ذلك مع حرمه واحترامه ورعيه وحفظ جنابه بحيث لاتهتك له حرمة ولا من يتعدى عليه ولا على كابة زواية ولا يكلفهم احد بشي من التكاليف المخزنية * عن اذن المعظم الاربع الدولاتلي السيد مصطفى داي اواخر حجة الحرام عام ١١١٣

Cachet au dos.

المصادر والمراجع

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

أولا: المصادر والمراجع باللغة العربية:

1- ابن أبي دينار: **المؤنس في أخبار افريقية وتونس**، ط1، تونس، 1286ه.

2- ابن حمدان خوجة (علي أفندي): **وصف رحلة من الجزائر إلى قسنطينة عبر الجبال عام 1832**، تعريب وتقديم، الدكتور، احميدة عميراوي، منشورات جامعة منتوري، قسنطينة، 2000.

3- ابن حوقل (أبو القاسم النصيبي): **كتاب صورة الأرض والمسالك والممالك والمغاور والمهالك، وذكر الأقاليم والبلدان على مر الدهور والأزمان**، طبعة بيروت، مكتبة الحياة، (د. ت).

4- ابن خلدون(عبد الرحمان): **كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**، المجلد السادس، الكتاب الثالث، دار الكتاب اللبناني، 1969.

5- الإدريسي(الشريف): **وصف إفريقيا الشمالية**، مقتبس من نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، نشر هنري بربس، الجزائر، 1957.

6- ألفريد (بيل): **الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي من الفتح العربي حتى اليوم**، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1981.

7- الأندلسي (إبراهيم ابن أحمد غانم): **العز والمنافع للمجاهدين في سبيل الله بالمدافع**، مخطوط بالمكتبة الوطنية الجزائرية، رقم 1115.

8- أوصديق (الطاهر): **ثورة 1871، ترجمة جباح مسعود**، م. و. ك، الجزائر، 1989.

9- بجاجة (عبد الكريم): **معركة قسنطينة، 1836-1837**، تعريب محمد الهادي لعروق، دار البعث، الجزائر، 1984.

10- برنشفيغ (روبار): **تاريخ إفريقيا في العهد الحفصي من القرن 13 إلى 15م**، تعريب حمادي الساحلي، ط1، ج2، دار لغرب الإسلامي، بيروت، 1988.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

11- برنيان (أندري)، نوشي (أندري)، لاكوست (إيف): **الجزائر بين الماضي والحاضر**، ترجمة اسطنبولي رابح ومنصف عاشور، د.م.ج، الجزائر، 1984.

12- بفايفر (سيمون): **مذكرات أو لمحة تاريخية عن الجزائر**، ترجمة أبو العيد دودو، ش. و. ن. ت، الجزائر، 1974.

13- البكري (أبو عبيد الله)، **المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب(المسالك والممالك)** نشر البارون دي سلان ط2، الجزائر 1913.

14- بن عبد (الكريم محمد): **حمدان بن عثمان خوجة الجزائري ومذكراته**، ط1، دار الثقافة، بيروت، 1972.

15- بورويبة(رشيد): **الدولة الحمادية، تاريخها وحضارتها**، د. م. ج، الجزائر، 1977.

16- بوعزيز (يحي): **أعلام الفكر في الجزائر المحروسة**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1995.

17- بوعزيز (يحي): **مواقف العائلات الأرستقراطية من الباشاغا المقراني**، م. و. ك، الجزائر، 1994.

18- بوعزيز(يحي): **ثورة 1871 (دور عائلتي المقراني والحداد)**، ش، و، ن، ت، الجزائر، 1975.

19- بوعزيز(يحي): **كفاح الجزائر**، م. و. ك، الجزائر، 1986.

20- تشرشل هنري): **حياة الأمير عبد القادر**، ترجمة وتقديم وتعليق، أبو القاسم سعد الله، ش و ن ت، الجزائر، 1982.

21- التميمي (عبد الجليل): **بحوث ووثائق في التاريخ المغربي(1816-1871)**، ط1، الدار التونسية للنشر، تونس، 1972.

22- الجزائري (محمد بن الأمير عبد القادر): **تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر**، ج1، الإسكندرية، 1903.

23- جودت عبد الكريم (يوسف): **الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية في المغرب الأوسط خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين (9-10 م)**، د. م. ج، الجزائر، 1992.

24- جوليان، (شارل أندري): **تاريخ إفريقيا الشمالية، (تونس، الجزائر، المغرب الأقصى)، من البدء حتى الفتح الإسلامي 647م**، تعريب، محمد مزالي، والبشير بن سلامة، الدار التونسية للنشر، تونس، 1969.

25- الجيلالي (عبد الرحمان): **تاريخ الجزائر العام**، ج3، ط7، د م ج ، الجزائر، 1994.

26- الحاج (أحمد المبارك): **تاريخ حاضرة قسنطينة**، تحقيق نور الدين عبد القادر، المطبعة الرسمية، الجزائر، 1952.

27- حشلاف (سيدي عبد الله بن محمد بن الشارف بن سيدي علي): **كتاب سلسلة الأصول في شجرة أبناء الرسول**، المطبعة التونسية، تونس، 1929.

28- الحفناوي (إبراهم بن أبي بكر): **تعريف الخلف برجال السلف**، تحقيق محمد أبو الأجفان، وعثمان بطيخ، ط1، المكتب العتيق، تونس، 1982.

29- حليمي (عبد القادر): **جغرافية الجزائر، طبيعية-بشرية- اقتصادية**، ط1، المطبعة العربية، الجزائر، 1968.

30- حماش (خليفة): محاضرة ألقيت على طلبة السنة الأولى ماجستير، السنة الدراسية 2003/2002.

31- الخنقي (عاشور بن محمد): **كتاب منار الأشراف على فضل عصاة الأشراف ومواليهم من الأطراف**، ط1، المطبعة الثعالبية، الجزائر، 1914.

32- خير الدين (محمد): **مذكرات الشيخ محمد خير الدين**، ج1، مطبعة دحلب، الجزائر، 1985.

33 دودو (أبو العيد): **الجزائر في كتابات الرحالين الألمان(1830- 1855)**، ش. و. ن. ت، الجزائر، 1975.

34- الراشدي (أحمد بن محمد بن علي بن سحنون): **الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني**، تحقيق وتقديم، المهدي البوعبدلي، الجزائر، 1973.

35- الزبيري (محمد العربي): **التجارة الخارجية للشرق الجزائري، (1792- 1830م)**، ط2، م و ك، الجزائر، 1984.

36- الزبيري (محمد العربي): **الكفاح المسلح في عهد الأمير عبد القادر**، ش و ن ت، الجزائر، 1982.

37- الزبيري (محمد العربي): **مذكرات أحمد باي و حمدان خوجة وبوضربة**، م و ن ت، الجزائر، 1973.

38- ساحي (أحمد): **من أعلام زواوة**، طباعة الثورة الافريقية، (د. ت).

39- سبنسر (وليم): **الجزائر في عهد رياس البحر**، ترجمة عبد القادر زبادية، ش.و.ن.ت، الجزائر، 1980.

40 - سعد الله (أبو القاسم): **الحركة الوطنية الجزائرية**، ج1، م. و. ك، الجزائر، 1992.

41- سعد الله (أبو القاسم): **تاريخ الجزائر الثقافي من القرن العاشر إلى القرن الرابع عشرا الهجري(10-20م)**، ج1، ش. و. ن. ت، الجزائر 1981.

42- سعد الله (أبو القاسم): **تاريخ العدواني**، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 1996.

43- سعد الله (أبو القاسم): **محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث (بداية الاحتلال)**، ط3، م. و. ك، الجزائر، 1982.

44- سعيدوني (ناصر الدين): **دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر-العهد العثماني-** م.و.ك، الجزائر، 1984.

45 سعيدوني (ناصر الدين)، و البوعبدلي المهدي: **الجزائر في التاريخ (العهد العثماني)**، وزاره الثقافة والسياحة، م. و. ك. الجزائر، 1984.

46- سعيدوني (ناصر الدين): **دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر – العهد العثماني**- م. و. ك، الجزائر، 1984.

47- سعيدوني(ناصر الدين)، **النظام المالي للجزائر في الفترة العثمانية، 1830/1800**، الجزائر، ش.و.ن.ت ، 1979.

48- سعيدوني(ناصر الدين)، **دراسات في الملكية العقارية**، م.و.ك،الجزائر 1986.

49- سعيدوني، (ناصر الدين): **ورقات جزائرية، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2000.

50- سي يوسف (محمد): **مقاومة منطقة القبائل للاستعمار الفرنسي(ثورة بوبغلة)**، دار الأمل، تيزي وزو، 2000.

51- شالر (وليم): **مذكرات وليم شالر، قنصل أمريكا في الجزائر(1818-1824)**، تعريب وتعليق وتقديم، إسماعيل العربي، الجزائر، 1982.

52- شلوصر (ف): **قسنطينة أيام أحمد باي(1832- 1834)**، ترجمة أبو العيد دودو، ش. و. ن. ت، الجزائر، 1977.

53- عدي (الهواري): **الاستعمار الفرنسي في الجزائر**، سياسة التفكيك الاقتصادي والاجتماعي، 1830- 1960، ترجمة جوزيف عبد الله، دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، بيروت، 1983.

54- العربي (إسماعيل): **دولة الأدارسة، ملوك تلمسان وفاس وقرطبة**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983،

55- عميراوي (حميدة): **بحوث تاريخية**، دار البعث، قسنطينة، 2001.

56- عميراوي (حميدة): **دور حمدان خوجة في تطور القضية الجزائرية(1827-1840)**، ط1، دار البعث، قسنطينة، 1987.

57- عميراوي(أحميدة): **علاقات بايلك الشرق الجزائري بتونس، أواخر العهد العثماني وبداية الاحتلال الفرنسي**، دار البعث، قسنطينة 2002.

58- العنتري (صالح): **مجاعات قسنطينة**، تحقيق وتقديم رابح بونار، ش. و. ن. ت، الجزائر، 1979.

59- العنتري (صالح): **فريدة منيسة في حال دخول الترك قسنطينة واستيلاءهم على أوطانها أو تاريخ قسنطنة**، مراجعة و تقديم وتحقيق، بوعزيز يحي، د. م. ج، الجزائر، 1991.

60- الغبريني (أبو العباس أحمد): **عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية**، تحقيق عادل نويهض، لجنة التأليف والترجمة والنشر،بيروت، 1969.

61- غراية عبد الكريم (محمود): **تاريخ العرب الحديث**، طبع الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت، 1984.

62- فركوس (صالح): **الحاج أحمد باي قسنطينة(1823- 1850)**، د م ج، الجزائر، 1993.

63- الفقون (عبد الكريم): **منشور الهداية في كشف من ادعى العلم والولاية**، تقديم وتحقيق وتعليق سعد الله أبو القاسم، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1987.

64- كاتكارت (جيمس ليدن): **مذكرات أسير الداي كاتكارت، قنصل أمريكا في المغرب**، ترجمة وتعليق، إسماعيل العربي، د.م.ج، الجزائر، 1982.

66- كوران (أرجمند): **السياسة العثمانية اتجاه الاحتلال الفرنسي للجزائر**، ترجمة عبد الجليل التميمي، ط2، منشورات الجامعة التونسية، تونس، 1970.

67- لقبال (موسى): **دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية منذ تأسيسها إلى منتصف القرن الخامس** عشر الهجري، (11م). ش. و. ن. ت، الجزائر، 1979.

68 - بن علي شغيب (محمد): **أم الحواضر بين الماضي والحاضر**، الجزائر، 1980.

69- الطمار (محمد بن عمرو): **تلمسان عبر العصور، دورها في سياسة وحضارة الجزائر**، م. و. ك، الجزائر، 1984.

70- المدني (أحمد توفيق): **جغرافية الجزائر**، ط2، الجزائر، 1953.

71- المدني (أحمد توفيق): **محمد عثمان باشا داي الجزائر(1766-1791)**، م، و، ك، الجزائر، 1986.

72- المدني (أحمد توفيق): **حرب الثلاثمائة عام بين الجزائر وإسبانيا(1492-1792)**، ش. و.ن. ت، الجزائر، 1976.

73- المراكشي (ابن عذارى): **البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب**، ج1، دار الثقافة، بيروت، (د ت).

74- المقدسي: **كتاب أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**، نشر دي غوية، مطبعة لبنان، 1906.

75- المقراني (محمد الصديق ابن عبد الله الشريف): **عقد اللئالي الفريدة المنظومة في سلك هذه الجريدة**، 1314ه، ورق X30 40سم، غير مرقم.

76- المطوي (محمد العروسي): **السلطنة الحفصية تاريخها السياسي ودورها في المغرب الإسلامي**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1986.

77- المغربي (أبي الحسن بن موسى بن سعيد): **كتاب الجغرافيا**، تحقيق اسماعيل العربي، ط2، د م ج، الجزائر، 1982.

78- الميلي (مبارك بن محمد الهلالي): **تاريخ الجزائر في القديم والحديث**، مكتبة النهضة الجزائرية، ط2، الجزائر، 1963.

79- الناصري (أبو العباس أحمد بن خالد): **كتاب الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى**، ج1، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1954.

80- نور الدين (عبد القادر): **صفحات في تاريخ مدينة الجزائر من أقدم عصورها إلى انتهاء العهد التركي**، مطبعة البعث، قسنطسنة، الجزائر، 1965.

81- هلال (عمار): **أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر المعاصرة (1830- 1962)**، د. م. ج، الجزائر، 1995.

82- الورثيلاني (الحسين بن محمد): **نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار**، تحقيق ونشر محمد بن أبي شنب، مطبعة فونتانا، الجزائر، 1908.

83- وولف (جون باتيست): **الجزائر وأوروبا**، ترجمة وتعليق، أبو القاسم سعد الله، م. و. ك، الجزائر، 1986.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ثانيا: المصادر والمراجع باللغة الأجنبية:

1-**Archives du Cadastre de Constantine** : PV, n°:24, Medjana, 1890. 2 -**Archives du Cadastre de Constantine,** P.V, n°. 280, Zamoura.

3 -Babes (Leila): **Mythes d'origines et structures dans le Constantinois sous la domination Turque, essai sur le fondement du pouvoir politique**, Thèse 3ème cycle en étude politique, Aix- en-Provence, 1984.

4-Babes (Leila) : **Tribus, Structures Sociale et Pouvoir politique dans le Beylik de Constantine sous les Turques**, D.E.A, Fac du Droit et des sciences politique, Aix-en-Provence, 1981.

5-Ben Oudjit (Youssef): **La Kalaa des Beni Abbés**, au XVIe siècle, édition Dahlab, 1997.

6-Berbrugger (Adrien): **les époques militaires dans la grande Kabylie**, Paris, 1857.

7-Berque (jacques) : **le Maghreb histoire et société** S.N.E.D, Alger, 1974.

8-Berteuil (Arsène) : **l'Algérie Française**, T1, Paris, 1856.

9 9-Boudicourt (Louis de) : **La guerre et le gouvernement de l'Algérie**, Paris, 1853.

10-Boulifa (Said): **le Djurdjura à travers l'histoire depuis l'antiquité jusqu'à 1830**, Alger, 1925.

11-Bourde (Paul) : **à travers l'Algérie**, G. Charpentier, Paris, 1880.

12 -Boyer (Pierre) : **l'évolution de l'Algérie médiane (ancien département d'Alger) de 1830 à 1956**, librairie d'Amérique et d'Orient, Adrien Maisonneuve, Paris, 1960.

13-Braudel (Fernand) : **La Méditerranéen et le monde méditerranéen à l'époque de Philippe II**, Paris, 1985.

14-Brémond (le Général) : **Berbères et Arabes, la Berbérie et un pays Européen**, Payot, Paris, 1950.

15-Brossard (le Général) : **mélanges sur l'Afrique**, Perpignon, Imprimerie Baptiste, Paris, 1838.

16-Brunshvig (Robert) : **la Bèrbérie orientale sous les Hafsides des origines à la fin du XVe siècle**, Maison neuve, Paris, 1940.
17-Carette (Ernest) : **Exploration scientifique de l'Algérie pendant les années, 1840, 1841, 1842, Etudes sur la Kabylie,** T1, Imprimerie Nationale, Paris, 1847.
18-Corinne (Chevalier) : **Les trente Années de l'Etat d'Alger**, 1510- 1541, O.P.U, Alger, 1986.
19- Dan François Trinitaire, (le père): **Histoire de la Barbarie et de ces corsaires**, 2ème édidion, Paris, 1649.
20- Dapper. O. D.M (Dr) : **Description de l'Afrique,** Amestredam, M.D.C, LXXXVI.
21-Daumas et Fabar : **la grande Kabylie**, études historiques, L, Hachette, Paris, 1847
22-Derdour (h'sen) : **Annaba ,25 siècle de vie quotidienne de lutte**, T2, S.N.E.D, Alger 1981.
23 -Devoulx (Albert): **defter tachrifat**, Alger, 1853
24-Esterhazy (Walsin) : **de la domination Turque dans l'ancienne régence d'Alger**, Paris, 1844.
25-Fontaine de Resbecq. (Adolphe de): **Alger et les cotes d'Afrique**, Gaume Frères, Paris, 1837.
26-Gaid (Mouloud): **chronique des Beys de Constantine**, O.P.U, Alger, 1974.
27-Gaid (Mouloud): **Histoire de Bejaia et de sa région**, t3, Alger, 1976.
28 -Gaid (Mouloud): **l'Algérie sous les Turcs**, s.n.e.d, Alger, 1974.
29-Gaid (Mouloud): **les Beni yala**, O. P, U, Alger, 1990.
30-Gaid (Mouloud): **les Berbères dans l'Histoire**, Alger, 1990.
31-Gaid (Mouloud): **Mokrani**, édition Andalouse, Alger, 1993.
32-Gouvion (Marthe) et (Edmond).: **kitab Ayane el Maghariba**, Imprimerie Orientale fontana-frères, Alger 1920.
33-Grammont (Henri Delmas de): **Histoire d'Alger sous la domination Turque1515-1830**, édition bouchène, 2002.
34-Haedo (Fray Diego de): **Topographie et histoire générale d'Alger**, traduit de l'espagnol par Monmreau et A Berbrugger, édition bouchène, paris, 1998.

35-Hakoun (Pierre) : **Etude sur l'évolution des coutumes Kabyles**, ancienne maison Bastide, Jourdan, Alger, 1921.
36-Hanoteau et Letourneux : **La Kabylie et les coutumes Kabyles**, T1, Paris, 1893.
37-Julien (Charles André) : **Histoire de l'Afrique du nord**, T2, Paris, 1975.
38-Kaddache (Mahfoud) : **l'Algérie durant la période ottomane**, O.P.U, Alger, 1992.
39-Laroui (Abd allah) : **Histoire du Maghreb**, T II, Paris, 1976.
40-Laurent (le Chevalier) d'Arvieux : **Mémoires du chevalier d'Arvieux,** Pris, 1735.
41- Mahé (Alain): **Histoire de la grande Kabylie XIX- XX**, édition Bouchéne, Paris, 2001.
42-Marmol (Carvajal Louis del): **Description général de L'Afrique**, traduit par Nicolas Perrot Sieur D'ablancourt, Paris, T2, LV.
43-Merad Boudia (Abd El Hamid): **la formation Sociale Algérienne précoloniale**, o.p.u, Alger. (s.d).
44-Mercier (Ernest) : **le Bachagha Mokrani et les causes de l'insurrection de1871,** 12. Ernest Leroux éditeur, Paris, 1888.
45-Mercier (Ernes) : **Histoire de Constantine, Constantine**, 1903.
46-Mercier (Ernest) : **Histoire de l'Afrique septentrionale depuis les temps les plus reculés jusqu'à la conquête Française (1830),**
47-Merouche (Lemnouar): **Recherches sur l'Algérie à l'époque Ottomane, I Monnaies, prix et Revenus, (1520-1830)**, édition Bouchène, Paris, 2002.
48 - Nacib (Youssef) : **cultures oasiènnes, Bousaada-Histoire sociale.** E.N.A.L, Alger, 1986, p254.
49-Noushi (André): **Enquête sur le niveau de vie des populations rurales Constantinoise de la conquête Française jusqu'en 1919.** Paris, 1961.
50-Oussedik (Tahar) : **le Royaume de Koukou**, E.N.A.L, Alger, 1986.
51-Péllissier (De Reynaud) : **Annales Algériennes**, première édition, vol. I-II-III, Alger, 1836.

52-Péquet (V) : **Les civilisations de l'Afrique du Nord,** A. Colin, Paris, 1909.
53-Peyssonnel et Desfontaines **: Voyages dans les Régences de Tunis et d'Alger**, T1.
54-Rinn (Louis): **Histoire de l'insurrection de 1871en Algérie**, paris, 1891.
55-Robin (le Colonel): **l'insurrection de la grande Kabylie en 1871**, Alger, 1901.
56-Rozet et Carette : **L'Algérie, Etat Tripolitaine**, édition Bouslama, Tunis, 1980.
57-Shaw (Thomas) : **Voyage dans la Régence d'Alger**, Tunis, 1980.
58-Temimi (Aeb El Djallil) : **le Beylik de Constantine et Ahmed Bey, (1830-1837)**, Tunis, 1978.
59-Vayssette (Eugène) : **Histoire des Beys de Constantine sous la domination Turcs (1517-1837)**, édition Bouchène, 2002.
60 -Vayssettes (Eugène) : **Histoire de Constantine sous la domination Turcs (1517-1837)**, édition Bouchène, 2002.
61- Venture (de Paradis) : **Alger et Tunis aux XVIII siècle**, édition Sindbad, Paris, 1983.
62 - Vigier (René) : **La femme Kabyle (Grande Kabylie), sa succession légitime**, les éditions Véga, Paris, 1932.
63 -Wintzer (Paul) : **Bougie, place fort Espagnol**, Paris, 1972,

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الدوريات:

أولا: باللغة العربية:

1- بلحميسي (مولاي): «غارة شارل الخامس على مدينة الجزائر»، **مجلة الأصالة**، العدد الثامن، جوان 1972.

2- بلحميسي (مولاي): «صناعة السفن بالجزائر أيام الأتراك (ق 16م- 19م)»، **مجلة الدراسات الأثرية**، العدد 3، الجزائر، 1995.

3- بوعزيز (يحي): «الحالة الاقتصادية والاجتماعية للمجتمع الريفي بالشرق الجزائري خلال القرن 19»، **مجلة الثقافة**، ع80، 1984.

4- تابليط (علي): « مدينة قسنطينة في الفترة العثمانية»، **جريدة السلام**، عدد 1558، الخميس 1996/12/12.

5- حنفي (عائشة): « الحلي القبائلية والحلي الأوراسية- دراسة مقارنة »- **حوليات المتحف الوطني للآثار القديمة**، جامعة الجزائر، العدد 12، 1423ه/ 2002م.

6- سعيدوني (ناصر الدين):« دور قبائل المخزن في تدعيم الحكم التركي بالجزائر» **مجلة الأصالة**، تصدرها وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، عدد 32، 1987.

7- سعيدوني (ناصر الدين):« العلاقة بين الأمير عبد القادر والحاج احمد باي وانعكاسها على المقاومة في أوائل عهد الاحتلال»، **مجلة الدراسات التاريخية**، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، ع 2، 1986.

8- شراد (ن): « برج المقراني في عداد الآثار المنسية»، **جريدة الشروق اليومي**، عدد 1392، 2005/05/31.

9- العيد (مسعود): «حركة التعليم في الجزائر خلال العهد العثماني»، **مجلة الدراسات التاريخية**، ع 2، الجزائر، 1989.

10- قداش (محفوظ): « جيش الأمير عبد القادر، تنظيمه وأهميته»، ترجمة حسن بن مهدي، **مجلة الثقافة**، تصدرها وزارة الثقافة بالجزائر، عدد 75، 1983.

11- البوعبدلي (المهدي): «الثقافة والتوجيه بالجزائر»، ملتقى الفكر الإسلامي الجزائر، عام 1979.

12- نايت بلقاسم (مولود قاسم): « استمرارية الدولة الجزائرية في نظر الأمير عبد القادر»، **مجلة الثقافة**، الجزائر، عدد، 75، رجب – شعبان 1403، ماي- جوان 1983.

ثانيا: باللغة الأجنبية:

1- Achile (Robert): « notes sur quelques Mérabtines du département de Constantine », in, **R.A.S.C**, Constantine, 1923- 1924.

2- Aucapitaine (Le baron) : «les fondateurs de Bousaada», in, R.A, n°: 7, 1857.

3- Boyer (Pièrre): «la Conquète de l'Algérie», in, Initiation à l'Algérie, Libairie d'Amérique et d'Orient, Paris, 1957.

4- Emrit (Marcel):« les mémoires d'Ahmed Bey dernier Bey de Constantine », in, **R.A**, n:°8, 1863.

5- Féraud (Charles : « Exploitation des forets de la karasta dans la Kabylie oriental sous la domination Turque» in, **R.A**, n°: 13, 1868.

6- Féraud (Charles): « histoire des villes de Constantine – Bordj Bou Arrérij», in, **R. S. A. C**, Constantine, 1872.

7- Féraud (Charles): « les ben djellab sultans de Touggourt, notes historiques sur la province de Constantine», in **R.A**, n°: 27, 1882.

8- Féraud (Charles): « les corporations des métiers à Constantine avant la conquête Française », traduction d'un manuscrit arabe, in **R.A**, n°: 16, 1872.

9- Féraud (Charles): «Conquète de Bougie par les Espagnoles d'après un manuscrit Arabe»in **R.A** n°: 13, 1868.

10- Haedo (Fray Diego de): « Histoire des Rois d'Alger », in **R.A**. N 24-25, 1880-1881.

11- Maitrot (A): « quelques armes curieuses des dépôts de Constantine », in, **R.S.A.C**, 1910.
12- Provençal (Levi) : «Complement à l'Histoire de la Galaa des Beni Abbes », in, **R.S.A.C**, 1913.
13- Rinn (Louis) : «le royaume d'Alger sous le denier Dey», in, **R.A**, n° : 43, 1898.
14- Robin (N): « Notes sur l'organisation militaire et administrative dans la grande Kabylie », in, **R.A**, n° 18, 1873.
15- Sadok (Hadj): « à travers la Berbérie orientale du 18ème siècle avec le voyageur El Warthilani », in, **R.A** n°: 1951.
16- Vayssettes (Eugène): « notice sur les canons de la Kalaa des Beni Abbas », in **R. S. A. C**, 1865.
17- Watbled (Ernest):« Expédition du Duc de Beaufort contre Djidjeli 1664», in, **R.A**, n°: 18, 1873.

الموسوعات والقواميس:

مجموعة من المؤلفين: **الموسوعة العسكرية**، ط3، المؤسسة العربيـــة للدراســـات والنشـــر، بيروت، 1990.

- Dictionnaire Turc- Français, par: Diran Kélékian, éditor, imprimeur, mihran Istanbul, 1911.
- Dictionnaire Encyclopédique Larousse, Paris, 1983.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الرسائل الجامعية:

1- بليدة (كاميليا): **ماهية المجال الشبه الحضري لمدينةسيدة- حالة مدينة برج بو عريريج**، رسالة ماجستير في التهيئة العمرانية، كلية علوم الأرض والجغرافية، قسم التهيئة العمرانية، جامعة منتوري، قسنطينة، 1992.

1- حماش (خليفة): **العلاقات بين إيالة الجزائر والباب العالي من سنة 1798م إلى 1830م**، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الإسكندرية، 1988.

2- درياس (لخضر): **المدفعية الجزائرية في العهد العثماني**، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه الدرجة الثالثة، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، 1989- 1990.

3- سي يوسف (محمد): **العلج علي ودوره في البحرية العثمانية**، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، 1986.

3- شويتام (أرزقي): **نهاية الحكم العثماني بالجزائر وعوامله (1800- 1830)** رسالة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الإسكندرية، 1988.

4- عمراني (معاد): **أسرة بني جلاب في منطقة وادي ريغ من بداية القرن ال19 إلى عام 1962**، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الأمير عبد القادرللعلوم الإسلامية، 2002-2003.

5- سيساوي (أحمد): **فريدة مؤنسة في حال دخول الترك قسنطينة واستيلائهم على أوطانها وذكر شيء مستفاد من سيرة بايانها في انقضاء دولتهم واحتواء الفرنسيين على مملكتهم**، المشهورة ب (تاريخ بايات قسنطينة)، نحمد الصالح العنتري، بحث قدم لنيل، ش.د.م. في التاريخ الحديث، ، معهد العلوم الاجتماعية، جامعة قسنطينة، 1983.

6- العيد (مسعود): **المجتمع الجزائري في العهد العثماني**، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، 1974.

8- فركوس (صالح): **احتلال ومقاومة المكاتب العربية بمقاطعة قسنطينة**، (1844-1871)، رسالة دكتوراه دولة في التاريخ المعاصر، قسم التاريخ، كلية العلوم الاجتماعية و الإنسانية، جامعة منتوري، قسنطينة، ج2، 2000-2001.

9- القشاعي (فلة): **الريف القسنطيني اقتصاديا واجتماعيا**، مذكرة دبلوم الدراسات المعمقة، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، 1980.

10- القشاعي (فلة): **النظام الضريبي بالريف القسنطيني أواخر العهد العثماني(1771- 1837)**، رسالة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر، 1990.

11- قشي فاطمة الزهراء: **قسنطينة المدينة والمجتمع في النصف الثاني من القرن 13ه**، رسالة دكتوراه في التاريخ، جامعة تونس الأولى، 1998.

12- معاشي(جميلة): **الأسر المحلية الحاكمة في بايلك الشرق الجزائري، من القرن 16، إلى القرن ال19**، رسالة ماجستير معهد العلوم الاجتماعية، جامعة قسنطينة، 1990/ 1991.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفهارس

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهرس الأعلام

أ

إبراهيم باي الغربي، 128.

إبراهيم باي الكريتلي، 135.

إبراهيم داي، 104.

ابن الصخري، 94، 95، 96.

ابن القندوز المقراني، 134.

ابن أوجيت، 32، 34، 380.

ابن خلدون، 15، 16، 29، 31.

ابن عبد الله بن الحاج، 127.

ابن فرحون، 27.

أبو العباس الغبريني، 39، 44.

أبو بكر، 48.

أبو حمو، 59.

أبو علي إبراهيم المريني، 37.

أنبح هلال بن عامر، 29.

أحمد ابن القاضي، 27، 45.

أحمد القلي(الباي)، 106.

أحمد المقراني الخليفة، 109، 137، 138، 142، 144، 180.

أحمد أمقران، 77، 79، 80، 81، 82، 83، 84، 85، 86، 93، 149، 170، 187، 186.

أحمد باي بن عبد الله المملوك، 129.

أحمد بن بورنان، 106.

أحمد بن عبد الرحمان، 20، 27، 43، 44، 45، 46، 47، 120، 148، 156، 184،

أحمد بن محمد، 131، 132، 133، 134، 136، 137، 138، 139، 141، 142، 143، 145، 189.

أحمد ساحي، 42.

إدريس الأصغر، 33.

إدريس الأكبر، 33.

أنجلز باي، 122

أورليان الدوق، 109

ب

الباي حسن بوحنك، 107

الباي محمد الميلي، 127

بتقة، 91، 92، 93، 95، 96، 97، 101، 102، 104، 105، 112، 117، 184.

بربروجر، 52، 57، 65، 80، 88.

برثيزين، 136.

برودال، 15.

البكري، 23، 24، 83.

بن قانة، 104، 105، 107، 134، 135، 138، 143.

بن هاني بن يلس، 142

بوعزين، 92.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

بوعكاز بن عاشور، 136، 142.
بوعكاز بن علي(بن الصخري)، 94.
بوليفة، 40، 43، 45، 49، 53، 73.
بورنان بن بوزيد، 104، 120، 133، 138،174.
بوعزيز بن قانة، 104.
بيسونال، 97، 147، 167.
بيليسي، 145.

ت

تركية، 106.
التميمي، 139.
توفيق المدني، 17.

ج

جعفر باشا، 84.
جميلة معاشي، 33، 34، 107، 110.

ح

الحاج أحمد باشا، 172.
الحاج أحمد باي، 107، 129، 136، 137.
الحاج بكير، 62، 113.
الحاج بن بوزيد، 113، 117، 118، 120، 121.
الحاج محمد الباشاغا، 189.
الحاج محمد بن عبد السلام، 127، 130.
الحاجة رقية، 130، 135.
الحاجة زوينة، 112، 113.
حسن آغا، 60، 61، 62.
حسن باشا، 57، 62، 63، 63، 67، 73، 74.
حسن باي، 108، 109.
حسن شاوش الباشا، 173.
حسن قورصو، 62، 63، 67، 68، 75، 77، 83.
الحسين ابن القاضي، 61.
حسين الداي، 129، 132، 133، 189.
الحسين بن علي، 28.
حمدان خوجة، 44، 177، 182، 183.

خ

خالد المقراني، 94.
خديجة، 106.
خضر باشا، 84، 85.

د

دان الأب، 94.
الدايخة بنت بوزيد المقراني، 106.
دحمان بن القندوز، 127.

س – ش

سليم الأول(السلطان)، 60.
سنان رايس، 72.
سي الباي الونوغي، 130.
سي بوضياف شيخ أولاد ماضي، 136.
سيدي أحمد بن خليفة، 116، 181.
سيدي ناصر، 46، 86، 87، 88، 89، 91، 92، 93، 94، 96، 170.
سيساوي أحمد، 106.
شارل أندري جوليان، 57.
شارل الخامس، 61.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

شارل فيرو، 22، 28، 35.
شاكر باي، 126، 127، 135.
الشريف ابن الأحرش، 123.
شو (الدكتور)، 105.
شوفالي دارفيو، 174.

ص – ط

صالح باي، 107، 108.
صالح بن القندوز، 130.
صالح بن يلس، 136.
صالح رايس، 65، 67، 69، 71.
صالح فركوس، 33.
طوبال باي، 125.

ع

عبدالقادر(الأمير)، 133، 140، 141، 143.
عبد الكريم الفقون، 41.
عبد الله بن الحسن، 33.
عبد الله بن بتقة، 117.
عبد الله حشلاف، 30.
عبد ربه، 112، 121.
عبد السلام المقراني، 107، 135، 137، 139، 141.
عبد العزيز(الأمير)، 33.
عبد الرحمان الجيلالي، 57.
عبد الرحمان(الأمير)، 37، 38، 40، 41، 42، 43، 46.
عزيز(بن القندوز)، 114، 119.
عثمان باي، 123.
علي بن أبي طالب(ض)، 33.
عمر آغا، 26.
عمر بن القاضي(الشيخ)، 38، 39، 42، 45.
عمروس، 31، 32.
العنتري، 106.
عيشوش، 107، 137.

ف – ق

فاطمة بنت الرسول(ص)، 28.
فالي، 142.
فايسات، 44، 102، 106، 166.
فرحات بن جلاب، 108.
فرحات بن سعيد، 135، 136.
قداش، 70.

م – ن

محمد أمقران، 38، 91، 92، 170، 171، 172، 174، 175.
محمد باشا، 173.
محمد باي ابن صالح رايس، 71.
محمد باي مماي، 129.
محمد بقداش الباشا، 173.
محمد بن القندوز، 129، 139.
محمد بن مسعود، 123.
محمد خير الدين (الشيخ)، 95، 180.
مولاي عبد القادر ابن سلطان فاس، 63.
مولود فايد، 49، 51، 61، 68، 73، 88، 95،

جمعية الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

131.
ميترو، 157.
الناصر بن علناس، 23، 81.
نعمان باي، 95، 125.

هـ

الهادي (الخليفة)، 28.
هارون الرشيد(الخليفة)، 28.
هايدو، 39، 42، 50، 53، 56، 57، 60، 65، 72.
هنري كوفان، 32.

و – ي

الو نوغي، 120.
واتبلد، 101.
الورثيلاني(الحسين)، 27، 29، 30، 35، 64، 88، 184.
وليم سبنسر، 155.
وليم شال، 128، 160، 185.
يحي آغا، 128، 132.
يحي العيدلي، 114، 115، 184.
يحي بوعزيز، 16، 139، 140، 166 .
اليعقوبي، 18، 38، 82، 165 .
يوسف قايد، 94، 95.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهرس القبائل والجماعات

أ

الأتراك، 16، 26، 35، 42، 46، 47، 49، 50، 52، 54، 57، 63، 66، 69، 70، 72، 74، 75، 76، 80، 89، 90، 91، 100، 120، 136، 140، 152، 167، 170، 174.

أثبج، 29.

الأدارسة، 28، 34، 39.

الأشراف، 27، 31، 33، 34، 39، 110، 172.

الأعلاج، 71، 76.

الانكشاريين، 107،

الأوروبيين، 48، 83.

أولاد الحاج، 21، 121، 122، 123، 124، 125، 129، 139، 167.

أولاد الحداد، 137.

أولاد القندوز، 21، 30، 122، 126، 127، 130، 141، 167.

أولاد أحمد، 168.

أولاد براهم، 16.

أولاد بليل، 16.

أولاد بن قانة، 134، 135، 138.

أولاد بن يوسف، 15، 16.

أولاد بورنان، 120، 121، 123، 126، 129، 132، 167.

أولاد ديفان، 168.

أولاد سحنون، 136.

أولاد سلامة، 168.

أولاد سليم، 15.

أولاد سواق، 15.

أولاد عامر، 134، 136، 142.

أولاد عباس، 168.

أولاد عبد الرحمان، 167.

أولاد عبد السلام، 30، 122، 123، 124، 125، 126، 128، 129، 131، 132.

أولاد عبد الله، 167، 172.

أولاد قبيلة، 168.

أولاد قايد، 161.

أولاد ماضي، 71، 92، 93، 112، 114، 116، 122، 135، 149.

أولاد مسلم، 168.

أولاد مقران، 15، 18، 22، 25، 27، 30، 34، 38، 46، 64، 88، 92، 96، 102، 106، 110، 114، 118، 124، 130، 134، 147، 154، 163، 169.

أولاد موصلي، 135.

أولاد نائل، 81.

أولاد نايت، 171.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

أولاد بوضياف، 135.
أولاد تبان، 123.
أولاد تريف، 168.
أولاد جلال، 168.
أولاد حناش، 30.
أولاد خلوف، 123، 129، 166، 168.
أولاد دراج ، 122، 123.
أولاد عبد النور، 134، 135.
أولاد عثمان، 168.
أولاد علاوة، 15.
أولاد علي، 168.
أولاد فاضل، 116.

ب

بني إسماعيل، 171.
برباشة(عرش)، 171، 172.
البربر ، 28، 33، 176.
بربروس(الإخوة)، 47، 49، 51.
بني بومسعود، 91، 172.
بني جبار، 37.
بني حفص، 34.
بني حماد، 23، 28، 29، 31، 32، 38، 45، 81.
بني عباس، 15، 16، 18، 22، 25، 29، 34، 38، 43، 46، 50، 59، 64، 67، 72، 76، 80، 84، 105، 154، 160، 178، 180.
بني عبدل، 17، 139، 166.
بني مليكش ، 180.
أولاد يلس، 135،
بني منصور، 17، 166.
بني مهدي، 16.
بني ميزاب، 151.

ت– ث

التلاغمة، 134، 135.
التمزنية، 92.
الثعالبة (قبيلة)، 54.

ج– ح –خ

الجبايلية، 166.
الجعافرة، 16، 80.
الحشم (قبيلة)، 18، 21، 25، 63، 71، 82، 91، 103، 120، 132، 141، 177.
الحفصيين، 31، 32، 34، 36، 38، 59.
الحمادين، 23.
الحنانشة، 95.
خبابشة، 168.

ذ – ر

الذواودة ، 95.
الرومان، 18، 22، 24، 25.
ريغة الظهارة، 135.
ريغة القبالة، 134، 142.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

س- ع

سبخة، 168.

سدويكش، 15.

العثمانيين، 124، 188، 189.

عجيسة، 29.

العرب، 22، 23، 24، 29، 38.

عياض، 123.

ف

فج مزالة، 143.

الفرنسيين، 33، 100، 101، 109، 129، 133، 134، 136، 139، 144، 187.

ك

كتامة، 15.

الكراغلة، 180.

كوكو، 27، 39، 41، 42، 45، 46، 50، 51، 71، 80، 88، 105، 156.

م- ه

المسيحيين، 53، 71، 75.

الهلاليين، 29، 36.

و- ي

ويزران، 161.

اليهود، 149، 150، 176.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهرس الأماكن والبلدان:

أ

أزرو، 19، 138.

أسبانيا، 83.

استانبول، 60، 62، 64.

الأصنام، 166.

الأغواط، 36، 46، 65، 81.

إغيل علي، 138.

الأندلس، 28، 149، 150.

أوروبا، 157.

أولاد نايل، 93، 112، 121، 143، 144.

أولاد بلس، 135.

ب

باب الحديد، 17.

باب عزون. 63، 79.

البابور، 16، 70.

بني بومسعود، 91، 172.

بني عيدل، 17، 139، 166.

بني مليكش، 180.

بني إسماعيل، 171.

بجاية، 15، 17، 19، 23، 31، 34، 37، 46، 52، 61، 71، 81، 91.

البحر الأبيض المتوسط، 47.

برباسة، 171، 172.

برج بو عريريج، 17، 18، 29، 97، 118، 126، 129، 166.

بسكرة، 68، 70، 81، 87، 111، 143.

بني جبار، 37.

بني منصور، 17، 166.

بني ميزاب، 151.

بوجليل، 120، 161.

بوسعادة، 143، 144، 177، 181.

بوندة جبل، 117.

البيبان، 16، 17، 18، 19، 29، 34، 37، 70، 86، 94، 97، 98، 103، 111، 120، 134، 143.

ت – ث

تادلة، 30، 31.

تازايرت، 160.

تازلة، 70، 78.

تازمالت، 16، 17.

تافرطاست ، 81.

تافرق، 16، 166.

تافنة ، 140.

تالفسة، 161.

تابورت، 171.

التيطري، 131، 136، 143.

ثالة مريطة، 70.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ج

جبال الونوغة، 16، 37.

جبل بوني، 69، 71.

جبل سالة، 81.

جبل قطاف، 81.

جرجرة، 19، 27، 28، 38، 39، 58، 70.

الجزائر، 17، 27، 33، 47، 54، 58، 69، 71، 80، 99، 103، 112، 133، 145، 150.

الجعافرة، 16، 70.

جغالين، 168.

الجنينة، 67، 68، 85.

جيجل ، 48، 51، 59، 100، 150، 170.

الجلفة ، 81، 143.

ح

الحضنة، 16، 29، 75، 82، 87، 93، 99،112، 118، 126، 139، 144، 166.

حمزة البويرة، 189.

خ

خبايشة، 168.

خراطة، 18، 70.

د – ذ

دار السلطان، 31، 71، 110، 188.

دريعات، 168.

الدولة العثمانية، 55، 157.

ذراع متنان، 81.

ر – ز

رابطة، 124.

رأس الواد، 166.

ريغة الظهارة، 135.

ريغة القبالة، 134، 142.

زمورة، 18، 77، 98، 107، 131، 166، 179.

س

الساطور، 117.

سبخة، 168.

سطيف، 33، 38، 80، 95، 120، 140، 142.

سيدي مبارك، 103، 120، 166.

سور الغزلان، 18، 80، 86، 112، 131، 140، 166، 189.

سيدي فرج، 134.

ش

شرشال، 169.

شفعة، 143.

الشواريخ، 19، 37، 139.

ض – ط

ضلعة، 168.

طرابلس، 150

طولقة ، 81.

طولون، 157.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ع

عنابة، 60، 150، 160.

العناصر، 166.

عين تاسرة، 166.

عين سلطان، 166.

غ – ف

غفستان، 31.

فاس ، 30، 31.

فج مزالة،

الفضالة، 168.

ق

القرقور، 18، 143.

قسنطينة، 16، 17، 32، 37، 48، 60، 80، 85، 94، 102، 106، 110، 122، 129، 130، 137، 144، 145، 180.

القصر، 168.

القل، 60.

القلة، 117.

قلعة بني عباس، 15، 20، 26، 32، 38، 78، 81، 90، 101، 109، 117، 138، 147، 150، 155، 163، 177، 180.

قلعة حجر النسر، 30، 31.

ك – ل

كوكو، 27، 39، 40، 43، 49، 61، 75، 88، 105، 156، 179، 184.

ليون، 157.

م

الماين، 139.

مجانة ، 17، 20، 23، 25، 90، 95، 104، 112، 114، 118، 122، 129، 134، 141، 151، 163، 168، 177، 181، 189.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهرس الموضوعات:

الإهداء.....1

المختصرات.....2

مقدمة.....3

المدخل: الإطار الجغرافي والتاريخي لقلعة بني عباس ومجانة.....15

الفصل الأول:

أولاد مقران بقلعة بني عباس(1510-1600)

1- أصول أولاد مقران 27

2- تأسيس قلعة بني عباس.....35

3- قيام إمارة أولاد مقران بقلعة بني عباس.....38

4- علاقة إمارة بني عباس بالحامية الأسبانية ببجاية

أ- علاقة تحالف وتعاون.....47

ب- علاقة حرب وتصادم.....51

5- علاقة إمارة بني عباس بالحكام الأتراك

أ- علاقة صراع وحرب.....54

ب- علاقة تحالف وتعاون.....56

ج- أولاد مقران بين السلم والحرب مع الأتراك.....64

- عودة الخلاف بين صالح رايس وسلطان بني عباس.....67

6- مقتل سيدي ناصر وزوال إمارة أولاد مقران ببني عباس.....87

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الثاني:

أولاد مقران بمجانة (1635م- 1830م)

1- انتقال أولاد مقران من قلعة بني عباس إلى مجانة وتأسيس المشيخة..91

2 - علاقة شيخ مجانة بالحكام الأتراك.....93

ب- علاقة حرب وتصادم.....94

ب- علاقة الود والتعاون.....100

ج- علاقات المصاهرة بين أولاد مقران والحكام الأتراك.....105

3- الصراع بين أولاد مقران شيوخ مجانة.....112

4- موقف الحكام الأتراك من صراع شيوخ أولاد مقران بمجانة.....115

5- أولاد مقران في الحاج أحمد باي.....129

6- موقف أولاد مقران من الاحتلال الفرنسي.....132

أ- مرحلة المقاومة.....133

ب- مرحلة الاستسلام.....141

الفصل الثالث:

الحياة الاقتصادية و الاجتماعية للأسرة:

1)-الحياة الاقتصادية: 147

أ- التجارة 148

ب- الصناعة.....154

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ج- الزراعة 163
د- دور أسرة أولاد مقران في استغلال غابات الخراستة..... 169
2)- الحياة الاجتماعية: 175
أ- النظام الاجتماعي للأسرة..... 176
ب- العلاقات مع المناطق والقبائل المجاورة..... 179
د- اللباس..... 181
ج- المسكن..... 182
ه- التعليم..... 184
ن- نظام القضاء..... 186
خاتمة..... 188
الملاحق..... 190
المصادر والمراجع..... 206
الفهارس..... 224
فهرس الأعلام..... 225
فهرس القبائل والجماعات..... 231
فهرس المناطق والبلدان..... 234
فهرس الموضوعات..... 236

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية